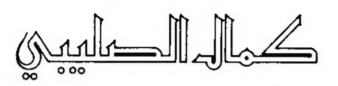
التوراة جاءت من جزيرة العرب

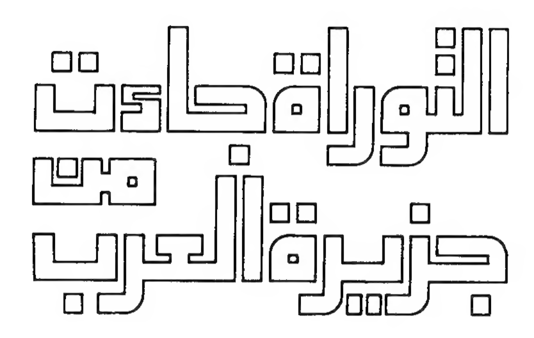
كمال الصليبي



ترجمة:
عفيف الرزاز

مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.





ترجمة :
عفيف الرزّاز

مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.
ص.ب : ٥٠٥٧ - ١٣ (شوران) بيروت - لبنان

* الدكتور كمال سليمان الصليبي: **التوراة جاءت من جزيرة العرب**
* الطبعة العربية السادسة ١٩٩٧، الطبعة الخامسة ١٩٩٤، الطبعة الرابعة ١٩٩١، الطبعة الثالثة ١٩٨٦، الطبعة الثانية ١٩٨٦، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
* **جميع الحقوق محفوظة ولا يجوز إعادة النشر بأية طريقة إلا بموافقة خطية مسبقة من مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.**
ص.ب: ٥٠٥٧/ ١٣ (شوران) هاتف: ٦/ ٨١٠٠٥٥

فاكس: ٨٠٤٢٥٧ (١ ـ ٩٦١)، بيروت ـ لبنان
* مراجعة وتنقيح: المؤلف.
* تصميم الغلاف: نجاح طاهر
* رسم الخرائط: أحمد شاه دُرّاني وميشال كاليدس
* أعد الكشاف: الدكتور يوسف ق. خوري
* حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر: *Rowohlt Verlag Gmbh. Reinbek bei Hamburg* بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.
* يضم هذا الكتاب الترجمة الكاملة عن الأصل الانكليزي: *The Bible Came From Arabia* الذي نشر أصلاً بالألمانية تحت عنوان: *Die Bible Kam aus dem Lande ASIR.*

إلى أحمد وجون

المحتويات

صفحة

فهرس الخرائط

قبل أن تقرأ الكتاب

هذا الكتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، وضعه عـربي من لبنان، وهو أستاذ جامعي منذ ثلاثة عقود يـدرّس مادة التـاريخ وعـرف بموضوعيته وجديته في دراساته التاريخية العديدة التي تناولت بعض الأقطار العربية. وناقش مضمون كتابه مع عدد من المختصين العرب في عدد من المؤسسات العلمية العربية قبل أن يضعه بصيغتـه النهائيـة. وحين أعـد الدكتور كمال الصليبي كتابه عرضه على عدد من دور النشر الأجنبية، فرفضت أكثرها نشره بشكل فظ وأهمل البعض الآخر الإجابة على عرض المؤلف للنشر. أما مؤسسة «دير شبيغل» الألمانية، فبادرت إلى طلب حقوق النشر من المؤلف، وكان شرطها أن تعرض الكتاب على مجموعة من العلماء وأساتذة التاريخ لتقويمه من الناحية العلمية قبل إقرار نشره وأن تتولى إصداره وتوزيعه على بلدان العالم إذا كان تقويم الكتاب إيجابياً. وقبل المؤلف بشروط المؤسسة الألمانية.

وجاءت توصية علماء اللغات السـامية إيجـابية في حـين وقف علماء التوراة موقف العـداء وراحوا يشنـون الحملة عليه لأن الكتـاب ـ برأي مؤلفه ـ يحمل في ثناياه تناقضاً كاملاً لنظرياتهم التقليدية التي افتقرت الى التمحيص والتدقيق فيما يتعلق بأصول التوراة.

وبدأت حملة إعلامية واسعة ضد الكتاب ومؤلفه في أجهزة الاعلام والدوائر الأكاديمية الغربية والصهيونية، داخل فلسـطين المحتلة وخارجها. والمؤلم في الأمر ليس قيام مثل هذه الحملة، إنما وقوف أوساط

عربية معينة موقفاً سلبياً من الكتاب. ومما يزيد في غرابة الأمر أن الحملة شنت قبل أن يخرج الكتاب إلى النور، وينشر، أي أن الكتاب تعرض للهجوم والنقد قبل أن يعرف مضمونه وقبل أن تقرأ نصوصه بأية لغة من لغات العالم. وفي هذا شيءمن الظلم. وتعاقدت المؤسسة الألمانية مع عدد كبير من مؤسسات النشر الأجنبية لينزل الكتاب الى الأسواق في ٢٧ آذار/مارس الماضي باللغات التالية: الألمانية والانكليزية والفرنسية والهولندية والدانمركية، إضافة إلى اللغة العربية، على أن تدرسه قبل إقرار التعاقد.

إلا أن شدة الحملة على الكتاب أجبرت مؤسسة نشر عالمية على التراجع عن عقدها مع «دير شبيغل» مما أرغم الأخيرة ان تطلب من الدور الأخرى المتعاقدة معها تأجيل موعد النشر الموحد باللغات المختلفة إلى ٢٧ أيلول/سبتمبر الحالي بدلاً من الموعد الأول.

ومن حق القارىء العربي أن يتساءل: لمَ الحملة وماذا يتضمن الكتاب؟ إن المؤلف يطرح نظرية جديدة تقوم على وجوب إعادة النظر في «الجغرافيا التاريخية للتوراة»، حيث يثبت أن أحداث «العهد القديم» لم تكن ساحتها في فلسطين، بل إنها وقعت في جنوب غربي الجزيرة العربية، ويستند في ذلك على أدلة اكتشفها في مجالي اللغة والآثار، ويقارنها بالمألوف والسائد من «الجغرافيا التاريخية للتوراة».

إن هذا النقد معناه برأي المؤلف « إعادة النظر بأسس الحضارة الغربية. حضارتنا العربية لها أسس أخرى. أما في الغرب فهم يعتبرون الكتاب المقدس (العهد القديم) هو أساس بناء الحضارة الغربية» ـ مجلة «الشراع» ـ بيروت ـ في ١٩٨٤/٩/٣.

ويشرح المؤلف نظريته في تحديد أسماء الأمكنة والمواقع المذكورة معتمداً على زياراته الشخصية لتلك المناطق في عسير وجنوب الحجاز، وعلى «معجم لأسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية» وضعه مجموعة

من العلماء السعوديين وعلى رأسهم الشيخ حمد الجاسر، فهو بالتالي لم يستند على مصادر ومراجع أجنبية، بل اعتمد على المشاهدة وعلى مراجع عربية، من ناحية، واعتمد، من ناحية ثانية، على قراءاته المتأنية للتوراة وشروحاتها وما كتب عنها وما ورد فيها من وقائع وأحداث وأسماء لأمكنة كثيرة. وخرج بعد ذلك بنظريته التي يفصلها في هذا الكتاب.

إن أكثر ما يؤلم في الهجوم على الكتاب من جانب الأوساط العربية الزعم بأن الكتاب يحمل دعوة لاحتلال بلد عربي آخر. ويرد المؤلف «إن البعض يتهمني بأني أدل اليهود على عسير لكي يستردوها. وأنا أجيب بأن من يقول هذا القول فإنما يعترف بحق الدعوة الصهيونية ويؤمن بصحتها من حيث المبدأ. وهكذا نكون كمن يوافق على حق شعب في أن يعود إلى الأرض التي كان موجوداً فيها منذ ألفي سنة. فالمبدأ خطأ. فأنا لا أضع الكتاب لأقول لليهود عودوا إلى عسير واتركوا فلسطين. فعسير أرض عزيزة غالية علي كأرض فلسطين أو لبنان أو سورية، أو أية أرض عربية أخرى» - المصدر نفسه.

وأخيراً فإن المؤسسة العربية الناشرة لهذا الكتاب - وهي تضم مواطنين عربا سلاحهم الفكر والفكر وحده - تقف بما تنشره - خلافاً للموجة السائدة الآن في أوساط عربية عديدة بحكم مأساة واقعنا الراهن - موقف الرفض المطلق من الوجود الصهيوني في فلسطين، وتعتبر أن الصراع مع إسرائيل والحركة الصهيونية صراع حتمي على البقاء والوجود وليس مجرد خلاف على الحدود. وتؤمن، أيضاً، برغم قتامة الوضع الراهن، أن الفجر العربي قادم لا محالة، ويومها لن تبقى أرض عربية تحت سنابك خيول الغزاة، صهاينة كانوا أم قوى أخرى غير عربية، في فلسطين وفي بعض المناطق العربية التي اغتصبت منذ عقود وعقود من الزمن.

هذه الأراضي العربية المسلوبة عربية وستبقى إلى الأبد عربية. وهي إن غُزيت واستُبيحت فإن سقوطها لم يكن بسبب كتاب صدر أو مقال نشر،

بل كان السبب في ضياعها أن الجسد العربي مريض وممزق فكان طبيعياً أن يتعرض للغزو والهيمنة والسيطرة. وحين تسترد الأمة عافيتها وأوضاعها الطبيعية فلن يكون هناك بقاء لاسرائيل وسوف يستعـاد التراب الـوطني الفلسطيني كاملاً من النهر الى البحـر. وتسترد كـل قطعـة أرض عربيـة اغتصبها الغزاة في مرحلة من مراحل الزمن العربي الرديء وفي ظل غياب الوعي القومي السليم.

وبعد.. والكتاب إذ يتناوله القراء اليوم في شتى أنحاء العالم ليطلعوا عليه ويقرأوه، أليس من حقنا ـ كمواطنين عرب ـ أن نقرأ ما يُباح لغيرنا خاصة وان الأمر يتناولنا ويتعلق بنا سواء كان ذلك من ناحية المؤلف أو من ناحية الموضوع؟

بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥ **مؤسسة الأبحاث العربية**

مقدمة الطبعة العربية

هذا الكتاب بحث في جغرافيا التوراة على أسس جديدة. وخلاصته أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن. وبالتالي، فإن بني اسرائيل من شعوب العرب البائدة، أي من شعوب الجاهلية الأولى. وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم، ثم انتشرت من موطنها الأصلي، ومنذ وقت مبكّر، إلى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم. وقد اعتمدت في هذا الكتاب استعمال لفظة «التوراة» تبسيطاً للدلالة على كامل ما يسميه المسيحيّون «العهد القديم» من الكتاب المقدّس. و«العهد القديم» هذا يشمل ثلاث مجموعات من الأسفار التي يعترف بها اليهود، وهي «التوراة» و«الأنبياء» و«الكتب» (وبالعبرية سفر توره نبيءيم وكتوبيم). أمّا «العهد الجديد» الذي يعترف به المسيحيون وحدهم فيشمل الأناجيل الأربعة المقدّسة، وسفر «أعمال الرُّسل»، والرسائل (وهي التوجيهات التي وجّهها الرُّسل، أي الحواريّون، إلى أتباعهم في مختلف الأقطار). والجدير بالملاحظة أن لفظة «التوراة» لا تطلق عُرفاً إلّا على الأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم» المنسوبة لموسى، وهي سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاّويّين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

ولا بدّ، في البداية، من توضيح الفرق الأساسي الهام بين مفهوم «بني

إسـرائيل» ومفهوم «اليهود» و«اليهودية». فبنو إسـرائيـل كانـوا في زمانهم شعبـاً دان باليهـودية. وقـد كان لهم، بـين القرن الحـادي عشر والقرن السادس قبل الميـلاد، مُلكاً في بـلاد السراة (أي في جنـوب الحجاز وفي المنطقة المعروفة اليوم بعسير). وقد زال هذا الشعب من الوجود بـزوال مُلكه، ولم يعد له أثر بعد أن انحلّت عناصره وامتزجت بشعوب أخرى في شبه الجزيرة العربية وفي غير شبه الجزيرة العربية. وهذا تماماً ما حدث لغيره من الشعوب البائدة. أمّا اليهوديـة، فهي ديانـة توحيـدية وضعت أسسها أصلاً عـلى أيدي أنبيـاء من بني اسرائيـل، بناءً عـلى شريعـة أو «توراة» موسى (قابل العبرية توره مع العـربية «تـرثية»)، أي «تعليم»).
وقد كان بنو إسرائيل أوّل من دان باليهودية، لكنهم لم يكـونوا وحـدهم اليهود حتى في زمانهم. والديانة اليهودية التي ربّما انتشـرت على أيـديهم أوّل الأمـر استمرّت في الانتشـار بعد زوالهم وانقـراضهم كشعب. وما زالت هذه الديانة منتشرة في معظم أرجاء العالم بين شعوب مختلفة لا تمت الى بني اسرائيل بصلة، لغة وعرقاً، مع العلم بأن هنالك عناصر من بني إسـرائيـل القـدامى لا بـدّ أنها انصهـرت في المجتمعـات اليهـوديـة التي انتظمت في مختلف الأقطار بعد زوال مُلك اسرائيل حيث قام. ولا بدّ ان هنـالك عنـاصر أكثر من شعب إسـرائيل البـائد انصهـرت في مجتمعات عربية، يمنية أو عراقية أو شاميـة أو مصريـة، وتحوّلت بمـرور الزمن إلى المسيحية فالاسـلام. ومن البديهي أن العـرق بحدّ ذاتـه لا يموت، إنمـا الذي يموت هو المجتمع والانتماء والاسم، وذلك عن طريق التحوّل من واقع تاريخي الى واقع آخر. والادّعاء السائـد بين يهـود العالم بـأنهم من سـلالة بني اسـرائيل هـو ادعاء شِـعْريّ لا يقـوم عـلى أي أسـاس من التاريخ. وبناء على ذلك، فإن الادعاء «الصهيوني» الحديث بأن اليهـود ليسـوا مجتمعاً دينيـاً فحسب بـل شعبٌ وريثٌ لبني اسـرائيـل، وأن لـه الحقـوق التاريخيـة لبني اسرائيل، إنّما هـو ادّعاء بـاطـل اصلاً، لأن بني اسرائيل شعب باد منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وهـو باطـل حتى في

حال إقرار المبدأ بأن للشعوب حقوقاً تاريخية في أراضٍ معيّنة تبقى قائمة على حساب الآخرين مهما طال الزمن. وأقلّ ما يقال في هذا المبدأ أنه غير مقبول إلّا من أصحاب الهوس العرقي.

والواقع أن هذا الكتاب يبحث في الجغرافيا التاريخية للتوراة وليس في أي أمر آخر، بما فيه قضية الصهيونية. والغرض منه هو توضيح غوامض التاريخ التوراتي عن طريق اعادة النظر في خريطة التوراة. وقد يستنتج القارىء من الكتاب أن يهود اليوم لا حقوق تاريخية لهم في أرض فلسطين. والصحيح أن الحقوق التاريخية للشعوب تزول بزوالها. فيهود اليوم ليسوا استمراراً تاريخياً لبني اسرائيل ليكون لهم شيء يسمّى حقوق بني اسرائيل، وذلك سواءً أكانت أرض بني اسرائيل أصلاً في فلسطين أو في غير فلسطين. وقد رأيت أن هذا التوضيح ضروري، وإن كان بديهيّاً، حتى لا يساء فهم القصد من مقولة هذا الكتاب، وهو قصد علمي بحت، ولا يمت إلى واقع العصر الحاضر بصلة إلّا بقدر ما في المقولة بطبيعة حالها من دحض للمفهوم الصهيوني المغلوط للتوراة، وهو مفهوم تتبناه اليوم فئة كبيرة من اليهود، ويتبعهم في ذلك الكثيرون من جهلة المسيحيين في الغرب.

وأساس الكتاب هو المقابلة اللغوية بين اسماء الأماكن المضبوطة في التوراة بالحرف العبري، وأسماء أماكن تاريخية أو حالية في جنوب الحجاز وفي بلاد عسير مأخوذة إما عن قدامى الجغرافيين العرب (ومنهم الحسن الهمداني، صاحب «صفة جزيرة العرب»، وياقوت الحموي، صاحب «معجم البلدان»)، أو عن «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية» الذي بدأ في الظهور عام ١٩٧٧ م، وقد قام بجمعه عدد من العلماء السعوديين (حمد الجاسر، ومحمد العقيلي، وعبدالله بن خميس، وعلي بن صالح السلوكي الزهراني). أضف الى ذلك «معجم معالم الحجاز» و«معجم قبائل الحجاز» اللذين صنّفهما المقدّم عاتق بن غيث البلادي،

و«معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي صنفه الشيخ حمد الجاسر. ومن اسماء الأماكن في جنوب الحجاز وعسير ما أخذته أيضاً عن الخرائط المفصّلة لتلك المناطق، وعن مؤلّفات الرحّالة في تلك الجهات. وأخصّ بالذكر مؤلفات الرحّالة البريطاني فيلبي H. St. J. B. Philby، وكتاب «في ربوع عسير، ذكريات وتاريخ» لمحمد رفيع (القاهرة، ١٩٥٤)، وكتاب «في بلاد عسير» لفؤاد حمزه (الرياض، ١٩٥١). وقد قمت بزيارة المنطقة المعنيّة شخصياً للاطّلاع المباشر على طبيعتها، وللتحقّق من اللفظ المحلّي لبعض اسماء المواقع فيها. ومن هذه الأسماء اسم وادي أضم بمنطقة الليث، الذي يبدو أنه أُضَم (كما ضبطه البلادي)، وهو غير وادي إِضَم، وادي المدينة، الذي يسمّى اليوم وادي حمض. وفي الفصل الثاني من الكتاب وصف دقيق للنهج الذي اتبعته في المقابلات اللغوية وفي أمور أخرى تتعلّق بالمادة غير اللغوية للبحث.

وجدير بالاشارة إلى أن المسح الأثري للمناطق الغربية من شبه الجزيرة العربية لم يتمّ بعد بشكل كامل. ولم يقم علماء الآثار بحفريات منتظمة في هذه المناطق. ولذلك فمقولة الكتاب لا تأخذ علم الآثار بالاعتبار. ولربّما جاء هذا العلم في المستقبل بما يدعم الاستنتاجات اللغوية والنظرية الموجزة في هذا الكتاب ويزيد في توضيحها. وجلّ ما هو معروف عن هذا الأمر حتى الآن هو أن المناطق المشار اليها غنيّة جدّاً بالآثار والنقوش القديمة. وهذا ما يجمع عليه الجغرافيّون والرحّالة من عرب وأجانب. ومن الكتابات الصخرية الموجودة هناك ما كتب بأحرف ابجديّة لم تحلّ رموزها بعد، كنقش رهو الرّاء في وادي الخَلَصَة الذي يذكره الزهراني في معجمه الجغرافي لبلاد غامد وزهران (ص ٩٣). ويبدو أن الأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد تبدو مقولة الكتاب في منتهى الغرابة للوهلة الأولى ليس فقط *بالنسبة الى اليهود والمسيحيين الذين اعتادوا على الفكرة بأن أرض التوراة*

هي فلسطين، بل أيضاً بالنسبة الى المسلمين الذين أخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين. والواقع هو أن القرآن الكريم يقول بكلّ وضوح أن مقام ابراهيم كان ببكّة (سورة آل عمران، ٩٦ - ٩٧). وليس هناك في النصّ القرآني ما يشير إلى أيّة علاقة بين بني اسرائيل وأرض فلسطين. *ناهيك عن أن مفسّري القرآن الكريم لم يستبعدوا وجوداً تاريخياً لبني* إسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية (وهناك مثال على ذلك في الفصل ٧). والوجود اليهودي القديم في شبه الجزيرة العربية مشهود به في التواريخ العربية وفي الشعر الجاهلي. وقد كانت اليهودية ديانة آخر ملوك حِمْيَر باليمن، وربّما كانت أيضاً ديانة واسعة الانتشار في مملكة حِمْيَر منذ أن قامت هذه المملكة عام ١١٥ قبل الميلاد.

ويقول القرآن الكريم ان هناك من اليهود من «يحرّفون الكلم عن مواضعه» وأنهم يفعلون ذلك «ليّاً بألسنتهم» (سورة النساء ٤٦). وفي هذه الآية إشارة واضحة وبالغة الدقة في الوصف الى العمل الذي كانت تقوم به فئة دون غيرها من أحبار اليهود، وهم المعروفون بالمسّوريّين (أي أهل التقليد)، ابتداءً بالقرن الميلادي السادس. وقد استمرّ المسوريّون في عملهم هذا حتى القرن العاشر. وقد قام هؤلاء بتحقيق دقيق للنصوص التوراتية بالأحرف الساكنة، لكنهم أدخلوا الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة، ممّا غيّر إعراب الجمل وحوّر المعاني. ولم يرق عمل المسُّوريّين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين بالربّانيين في البداية، لكن الربّانيين هؤلاء قبلوا ما عمله المسّوريّين مع الوقت، بحيث أصبح النص التوراتي المسُّوري المضبوط من التوراة هو النصّ المعتمد من اليهود. وقبل المسيحيّون أيضاً بهذا النص المسُّوري *للتوراة، وأخذوا عنه ترجماتهم المعتمدة للـ «عهد القديم» من الكتاب* المقدّس. وعلماء التوراة اليوم، بمن فيهم العلماء اليهود، يعرفون تماماً أن ضبط المسُّوريّين للتوراة لم يكن صحيحاً في مواقع كثيرة، وقد قامت عدّة محاولات لاعادة النظر في هذا الضبط، خصوصاً من قبل العلماء الذين

حاولوا وما زالوا يحاولون تصحيح ترجمة الأسفار التوراتية. لكن هذه المحاولات لم تف بالمطلوب حتى الآن، لأن التحريف الذي أدخله الضبط المسُّوري على النصّ التوراتي هو أضخم بكثير ممّا يتصوّره علماء التوراة.

وبناء على ذلك، فقد عمدت في معالجتي للنصوص التوراتية في هذه الدراسة إلى إهمال الضبط المسُّوري لهذه النصوص، واجتهدت قدر الامكان في فهم المقصود منها كما وردت أصلا بالأحرف الساكنة. وقد نتج عن ذلك فهم جديد لمقاطع توراتية عديدة، وذلك زيادة عن النتائج التي توصّلت اليها بشأن جغرافيا التوراة التي هي موضوع الكتاب، وهذا ما سوف يتّضح للقارىء من مضمون الكتاب. ومن علماء التوراة من يفترض بأن المسُّوريين لم يكتفوا بتحريك النصّ التوراتي حسب ما ارتأوا، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فغيّروا الأحرف الساكنة في بعض الأحيان. وربّما حدث ذلك بالفعل دون أن يمسّ بأسماء الأماكن. والدليل على ذلك هو أن الأكثرية الساحقة من أسماء الأماكن التوراتية ما زالت موجودة الى اليوم، بشكل أو بآخر، في غرب الجزيرة العربية، وفي ذلك ما يثبت صحّتها.

ويلفت نظر القارىء إلى أن هذه الدراسة لا تتطرّق الى أصول أسماء الأماكن المشار اليها، ومعاني هذه الأسماء، إلّا في حالات قليلة. ومن هذه الأسماء ما هو كنعاني أو آرامي في صيغته، ومنها ما هو عربي، ومنها ما هو ساميّ قديم يعود عهده إلى ما قبل الكنعانية والآرامية والعربية. وفي ذلك ما يفرض إعادة النظر في تاريخ اللغات الساميّة وانتشارها الجغرافي. فأهل الاختصاص اليوم يصنّفون الكنعانية (ومنها العبرية والأوجاريتية والفينيقية) والآرامية (ومنها السريانية) على أنها من اللغات الساميّة «الشمالية». وهم يصنّفون العربية على أنها من اللغات الساميّة «الجنوبية». ويتّضح من وجود اسماء أماكن كنعانية وآرامية في شبه

الجزيرة العربية ان هذا التصنيف الجغرافي للغات الساميّة الثلاث ليس صحيحاً. وهناك في التوراة نفسها اسماء أماكن يقرّ العلماء بأنها عربية الصيغة وتحمل الأداة العربية للتعريف، ومنها اسم «الموداد» (بالكتابة العبرية «لمودد) المذكور في سفر التكوين (١٠ : ٢٦) وفي سفر أخبار الأيّام الأوّل (١ : ٢٠). وهناك نقش بالحرف الفينيقي وجد في جوار بلدة جبيل بلبنان، وقد احتار الباحثون في أمره لأن اللغة الساميّة التي كتب فيها هذا النقش ليست الفينيقية (أي الكنعانية). وأخبرني أحدهم، وهو من المختصّين في الموضوع، أنه حاول قراءة النقش باعتبار أنه كتب بلغة ساميّة غير الكنعانية، فلم يستقم فيه التركيب والمعنى إلاّ عندما قرأه كنصّ عربي (وأنا لم أتمكّن بعد من التحقّق من هذا الأمر بنفسي). وفي كلّ ذلك ما يفيد بأن اللغات الساميّة الثلاث التي نحن بصددها كانت لغات قائمة جنباً إلى جنب، سواء في الشام أو في غرب الجزيرة العربية، في آن واحد. وفي هذا الواقع وحده ما يقلب المفاهيم بالنسبة الى جغرافيا اللغات الساميّة وتاريخها رأساً على عقب. ولا عجب في أن اللغة العربية كانت معاصرة للكنعانية والآرامية في الأزمنة التوراتية. فالعربية، سواء من ناحية تصويتها (أي فونولوجيتها) أو من ناحية صرفها ونحوها (أي مورفولوجيتها)، تعتبر أقدم اللغات الثلاث من قبل أهل الاختصاص. وربّما كانت في الأصل لغة الأعْراب من أهل البادية، في حين أن الكنعانية والآرامية كانتا من لغات النبط (أو النبيط، وهم سكّان الحواضر) في مناطق التحضّر المحيطة بالبادية، سواء في الشام والعراق أو في الجزيرة العربية. ولا بدّ أن انهيار حضارات النبط في هذه الأقطار، ابتداء بالقرن الثاني أو الثالث للميلاد، وامتداد نفوذ الأعراب الى الحواضر المحيطة بالبادية، كان هو السبب في انتشار لغة الأعراب وحلولها مكان اللغات النبطية حيث وجدت. وكان قد سبق للآرامية أن تغلّبت على الكنعانية في المناطق الحضرية التي صارت للعربية فيما بعد، ربّما بالطريقة نفسها. وفي اليمن حلّت اللغة العربية محلّ اللغة اليمنية القديمة القريبة من الحبشية.

واللغويون يصنّفون هاتين اللغتين على أنهما من اللغات الساميّة «الجنوبية الهامشية». والواضح من اسماء الأماكن في اليمن أن لهجات من الكنعانية والآرامية كانت منتشرة هناك قبل تحوّل هذه المنطقة من شبه الجزيرة العربية إلى اللغة اليمنية القديمة. وربّما حدث هذا التحوّل في وقت سابق للقرن السادس قبل الميلاد، إذ هناك نقوش باللغة اليمنية تعود، حسب تقدير أهل الاختصاص، الى ذلك القرن. ويبدو أن هذه اللغة كانت منتشرة في زمانها من اليمن شمالاً حتى مشارف الحجاز.

والمهمّ في ذلك أن الدراسة اللغويّة لأسماء الأماكن هي ضرب من علم الآثار، لأن أسماء الأماكن هي في الواقع آثار، وهذا ما يشرحه الفصل الثاني من هذا الكتاب بشيء من التفصيل. وقد كان قصدي في البداية أن أقوم بمثل هذه الدراسة لأسماء الأماكن في شبه الجزيرة العربية، آملاً بأن أجد من خلالها ما يلقي الضوء على المجهول من تاريخ العرب البائدة. ثم تحوّلت عن هذا القصد عندما تبيّن لي بما لا يقبل الشك وجود معظم الأسماء التوراتية بشكلها الأصلي، أو بشكل معرّب، في بلاد السراة وما يليها من جبال تهامة ووهادها غرباً، والمناطق الداخلية الواقعة بين وادي نجران ووادي تُرَبَة حتى واد وَجّ (وهو وادي الطائف) شرقاً. وما أن تبيّن لي ذلك حتى تذكّرت ما جاء في القرآن الكريم عن مقام إبراهيم ببكّة. وتذكّرت أيضاً ما تناقله الجغرافيون العرب على أن موطن ابراهيم كان، في وقت ما، بـ« كوثى ربّى». وفي نظر هؤلاء الجغرافيين أن «كوثى ربّى» هذه كانت كوثى العراق. والواقع أن هناك «كوثى» (الكوثة) و«ربّى» (الربّة) في جوار خميس مشيط بعسير، حيث هناك أيضاً «الشباعة» التي ثبت لي أنها **شبعه** (أي «بئر سبع») التوراتية (انظر الفصل ٤)، وفي سفر التكوين أن **شبعه** هذه كانت من مواطن ابراهيم. وهكذا عدت إلى الكتاب المقدّس لأقرأ سيرة ابراهيم كما وردت في سفر التكوين، متفحصّاً جغرافيا هذه السيرة على ضوء خريطة الحجاز وعسير. وكانت هذه بداية البحث في موضوع هذا الكتاب.

وعندما بدأت تراودني فكرة وضع كتاب حول الموضوع تردّدت كثيراً في ذلك. وكنت اتساءل إذا كان لي الحقّ بأن أحدث بلبلة في أفكار الناس بمثل هذا الخروج عن المألوف والمتعارف، خصوصاً وأني كنت خبرت هذه البلبلة بنفسي عندما تبيّن لي ما تبيّن عن جغرافيا التوراة للمرّة الأولى. ومن ناحية أخرى، كنت اشعر بأن الواجب العلمي يفرض عليّ أن لا أبقي ما توصّلت اليه من المعرفة بشأن التوراة سرّاً. فالناس ليسوا قاصرين، ولذلك لا يجوز أن تكون هناك معارف سرّية يحتفظ بها الباحثون لأنفسهم كما كان يفعل الكهنة في القدم. وعلى كلّ حال، فليس للباحث أن يأخذ على عاتقه القرار بما يجوز نشره من المعارف أو لا يجوز. وهكذا اقتنعت أخيراً بضرورة وضع هذا الكتاب وطرح مقولته علناً حتى تثبت صحتها أو لا تثبت عن طريق الأخذ والردّ. وقد شجّعني عدد من الزملاء والأصدقاء على الوصول إلى هذا الاقتناع.

ومهما كان الأمر بالنسبة الى صحة مقولة هذا الكتاب على وجه العموم، فلا بدّ أني وقعت في أخطاء كثيرة في التفاصيل، خصوصاً وأني أوّل من عالج هذه التفاصيل. وربّما اكتشفت بعض هذه الأخطاء بنفسي في المستقبل، وربّما لفتني القُرّاء الى غيرها. فالموضوع المطروح يكاد أن يكون واسعاً ومتشعباً إلى ما لا نهاية، وليس بقدرة أحد أن يبتّ وحده في جميع تفاصيله. وجلّ ما في الأمر أني اجتهدت قدر الامكان في دراسته، وليس بالضرورة أن يكون كلّ مجتهد مصيباً. وقد قيل إن الحقيقة هي وليدة الزمن، ولا يصحّ في النهاية إلّا الصحيح.

كمال سليمان الصليبي
٢٧ آذار ١٩٨٥

ملاحظات لغوية

تشترك الابجدية العربية مع الابجدية العبرية التوراتية في ٢٢ حرفاً، وتنفرد الابجدية العربية بستة أحرف إضافية. والأحرف المشتركة بين الابجديتين هي: ء، ب، ج، د، ه، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت. هذا مع العلم بأن حرف الشين بالعبرية (ש) ينقط على شكلين، فيلفظ سيناً (שׂ) في بعض الكلمات وشيناً (שׁ) في غيرها. اما الأحرف العربية التي لا وجود لها في العبرية، فهي: ث، خ، ذ، ض، ظ، غ.

وهناك جذور كثيرة مشتركة بين العبرية التوراتية والعربية، وذلك دون تغيّر في الأحرف في بعض الأحيان، ومع تحوّل في الأحرف في أحيان أخرى. والتحوّلات في الأحرف التي يقرّها علماء اللغات السامية بين اللغتين هي الآتية:

الأحرف العبرية:	الأحرف العربية:
ء	و، ي
ج	غ، ق
د	ذ، ز، واحياناً ت، ض، ظ في اللفظ العامي
و	ء، ي

ز	ذ، ص، ض، ظ
ح	خ
ط	ت
ي	ء، و
ك	خ، ق
م (خصوصاً في لاحقة جمع المذكّر)	ن (خصوصاً في لاحقة جمع المذكّر)
ن	م
ع	غ
ف	ث (والتحول هذا وارد بين اللهجات العربية)
ص	س، ض، ز، ظ
ق	ج، غ، ك
שׁ (الشين)	س، ث
שׂ (السين)	ش
ت	ث، ط

ويبقى هنـاك أربعة أحـرف عبريـة (ب، ه، ل، ر) لا تتحوّل إلى أحرف أخرى بالعربية، بل تبقى هي ذاتها دوماً في الجذور المشتركة بين اللغتين. وهناك حرف س بالعبـرية غـير السين يسمّى «سـامك» وهـذا الحرف يبقى سيناً بالعربية، وقد يتحول أحياناً الى صاد في اللفظ، وربّما الى زين. ويلاحظ أن التاء المربوطة (ة) والألف المقصورة (ى) لا وجود لهما في العبرية حيث يستعاض عنهما كلاحقتي التأنيث بالهاء (ه). وهاء التأنيث العبرية هذه تنقلب تاءً عادية (ت) عند الاضافة. فيقال مثلا **ءشه**، أى «امرأة، زوجة»، و**ءشت هـ ـ ملك**، أي «زوجة الملك». وقد تتحول هاء التأنيث في العبرية إلى ألف مقصورة في العربية ويبقى اللفظ هو ذاته.

وهناك ظاهرة مشهودة كثيراً في اللغات السامية، وهي الاستبدال، أي قلب الأحرف في الجذر المشترك بين لغة وأخرى، وكذلك بين لهجة

وأخرى من اللغة الواحدة. وأفضل مثل على ذلك، في اللغة العربية، هو كلمة «زوج» في الفصحى وبعض اللهجات العامية، التي تقلب أحرفها فتصبح «جوز» في لغات عامية أخرى. والأمثلة على ذلك بين اللغات الساميّة لا تحصى عدداً.

ويلاحظ من المقابلة بين اسماء الأماكن التوراتية وتلك الموجودة الى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية أن معظم هذه الأسماء، مهما كان الأصل لغويّاً، قد تعرّب في اللفظ وليس في المعنى. ولذلك فان التغيّر في معظم هذه الأسماء قد تمّ إمّا عن طريق قلب الأحرف، أو عن طريق تغير الأحرف شبه الصوتية (ء، و، ي) دون الأحرف الصحيحة. ولم يتعرّب من هذه الأحرف، في اكثر الأحيان، إلاّ الأحرف العبرية التي تقابل الأحرف العربية الاضافية (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)، وحرف الميم عندما يكون لاحقة المذكر العبرية، فينقلب نوناً في العربية. ومن ناحية أُخرى، هناك اسماء اماكن عبرية ما زالت موجودة اليوم بشكل مترجم، لا بشكل معرب. ومن هذه الأسماء **جبعت هـ - عربوت** التي هي اليوم «ذي غلف» (انظر الفصل ٧)، **وشعلبيم** التي هي اليوم «الثعالب» (جمع التكسير العربي بدلاً من جمع المذكّر في الاسم التوراتي).

ويلاحظ أيضاً بأن حرف اللاّم في أسماء الاماكن التوراتية، مهما كان موضعه في التركيب، كثيراً ما ينقلب الى «أل» التعريف في الاسم المعرّب. فاسم المكان **جلعد** التوراتي، مثلاً، يصبح في شكله الحالي «الجعد»، واسم المكان **لمعله** يصبح «المعلاة». أضف أن أداة التعريف العبرية، وهي الهاء، تنقلب الى أداة التعريف العربية في معظم الاحيان. وهناك ايضاً اسماء الأماكن التوراتية على وزن «يفعل» و«تفعل». وهذه الأسماء تتحوّل إلى العربية على وزن «فعل» و«فعلة». فالاسم التوراتي **يقطن**، مثلاً، يصبح في شكله الحالي «قطن»، والاسم **تعنك** يصبح «عنقة».

والمقابلة بين الألفاظ (ومنها أسماء الأماكن) في اللغات الساميّة تكون بمقابلة التركيب الأساسي لهذه الألفاظ بين لغة وأخرى، دون النظر إلى اللواحق وأحرف العلّة عندما تكون هذه معتمدة فقط للتصويت. فاسم المكان التوراتي **شمرون**، مثلاً، هو في الأساس **شمرن**، يقابله بالعربية اسم المكان «شمران» الذي هو أيضاً في الأساس **شمرن**. و**شبعه** التوراتية هي في الأساس **شبع**، يقابلها بالعربية اسم «الشباعة» الذي هو أيضاً **شبع**. وقد اعتمدت هذه الطريقة المبسّطة للمقابلة بين أسماء الأماكن التوراتية والحديثة في هذه الدراسة.

ويبدو أن الطريقة التي تعرّبت فيها الأسماء التوراتية في شبه الجزيرة العربية تختلف بين منطقة وأخرى. فالشين العبرية، مثلاً، لا تنقلب عادةً إلى ثاء عربية إلّا في منطقة جيزان (حيث الاسم التوراتي **بشن**، مثلاً، انقلب إلى «بثنة»)، وفي منطقة الأودية الداخلية (حيث الاسم التوراتي **شفم**، مثلاً، انقلب الى «ثفن»، والاسم **كوش** انقلب الى «كوثة»). اما في المناطق الأخرى، فمثل هذا الانقلاب لا يحصل إلّا في حال تعريب الاسم عن طريق الترجمة، مثل **شعلبيم** و«الثعالب»، و**شديم** و«الشديين» (انظر الفصل ٦)، و**ليش** و«الليث» (انظر الملحق). والواقع هو أن **شعلبيم** تعني بالعربية «الثعالب»، و**شديم** تعني «الثديين»، و**ليش** تعنى «الليث».

ويلاحظ من لائحة تحوّلات الأحرف المدرجة أعلاه أن الكاف العبرية قد تنقلب خاءً في العربية، على ما يقوله علماء اللغات الساميّة. والمعروف أن اللفظ المفترض والمعتمد للعبرية التوراتية يقلب الكاف إلى خاء عندما تكون الكاف مسبوقة بحركة صوتية. وربّما كان ذلك نقلاً عن اللفظ السرياني الحالي للآرامية. والواقع هو أن مثل هذا التحوّل من الكاف إلى الخاء غير وارد على الإطلاق في التعريب الذي حصل لأسماء الأماكن التوراتية في شبه الجزيرة العربية، حيث الكاف التوراتية تبقى

كافاً في الاسم الحالي أو تتحوّل الى قاف، ولا تتحوّل في أيّ اسم مشهود الى خاء. وفي ذلك ما يستوجب اعادة النظر في أمر العلاقـة عملياً بـين الكاف العبرية والخاء العربية.

١ـ العالم اليهودي في العصور القديمة

لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة. كنت أبحث عن أسماء الأمكنة ذات الأصول غير العربيّة في غرب شبه الجزيرة العربية عندما فوجئت بوجود أرض التوراة كلها هناك، وذلك في منطقة بطول يصل إلى حوالي ٦٠٠ كيلومتر وبعرض يبلغ حوالي ٢٠٠ كيلومتر، تشمل ما هو اليوم عسير والجزء الجنوبي من الحجاز. وكان أوّل ما تنبهت إليه أن في هذه المنطقة أسماء أمكنة كثيرة تشبه أسماء الأمكنة المذكورة في التوراة. وسرعان ما تبيّن لي أن جميع أسماء الأمكنة التوراتية العالقة في ذهني، أو جلّها، ما زال موجوداً فيها. وقد تبيّن لي أيضاً أن الخريطة التي تستخلص من نصوص التوراة في أصلها العبري، سواءً من ناحية أسماء الأمكنة أو من ناحية القرائن، أو الإحداثيات، تتطابق تماماً مع خريطة هذه الأرض. وهي حقيقة ذات أهمية أولية، نظراً لأنه لم يثبت بعد إطلاقاً تطابق الخريطة الموصوفة في التوراة مع خريطة الأرض بين «النيل والفرات» التي اعتبرت حتى اليوم أنها كانت بلاد التوراة.

وأكثر من ذلك، فإني لم أستطع العثور على مثل هذا التجمع لأسماء الأمكنة التوراتية، وفي صيغها الأصلية عادة، في أي جزء آخر من الشرق الأدنى. وهنا قدم الاستنتاج المذهل نفسه بنفسه: فاليهودية لم تولد في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية، ومسار تاريخ بني اسرائيل، كما روي في التوراة العبرية، كان هناك، في غرب شبه الجزيرة العربية،

وليس في أي مكان آخر.

هذا لا يعني أن اليهود لم يكن لهم أي وجود في فلسطين أو في غيرها من البلدان خارج غرب شبه الجزيرة العربية في أيام التوراة، بل جلّ ما يعني هو أن التوراة العبرية ـ أو ما يفضل المسيحيون تسميته «العهد القديم» من الكتاب المقدّس ـ هي، بالدرجة الأولى، سجل للتجربة التاريخية اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية في زمن بني إسرائيل. وفي غياب السجلات الضرورية، لا بدَّ من اللجوء إلى التكهن بكيفية استقرار اليهودية منذ وقت مبكر في فلسطين. وهنا سأغامر بتفسير أقدمه.

بين الأديان المعروفة في قديم الشرق الأدنى، تقف اليهودية في فئة تضمها وحدها، إذ لم تجر أية محاولة ناجحة حقاً لتفسير أصولها من خلال الأديان العراقية أو الشامية أو المصرية القديمة، باستثناء ما جرى على مستوى الاستعارات الأسطورية (الميثولوجية) كما في قصة الطوفان[1]. وحتى في هذه الحالة، لا يمكن للمرء حقاً أن يقول أين ولدت أمثال هذه الأساطير ومن استعارها ممن أو أخذها عنه. وكما سيرى لاحقاً (أنظر الفصل ١٢)، فإنه يجب البحث عن الأصول الحقيقية لليهودية في ثنايا الاتجاه في منحى التوحيد في عسير القديمة، حيث تمّ الجمع في وقت ما بين عدد من آلهة الجبال (ومنهم **يهوه** وآلهة **صبءوت وشلم و شدي وعليون**، وهم في الترجمة العربية المعتمدة «الرب» و«اله الجنود» و«اله السلام» و«الله القدير» و«الله العلي»)، واعترف بهم كإله واحد أسمى. وربما حدث ذلك بالترافق مع قيام تآلف بين بعض القبائل المحلية. وبعد أن تبنى سكان محليون يسمون الاسرائيليين (والأصحّ بني اسرائيل) هذا التوحيد البدائي المولود في غرب شبه الجزيرة العربية، قام هؤلاء

---

(١) إحدى القصص الموازية لقصة الطوفان التوراتية، مثلاً، يمكن العثور عليها في «ملحمة جلجامش» العراقية القديمة، تضاف إليها أساطير شعبية قديمة أخرى مماثلة، إحداها صينية.

بتطويره، مرحلة بعد أخرى، إلى ديانة عميقة المضمون، لها كتبها المقدسة، وتشمل مفهوماً متطوراً للألوهية ومحتوى اجتماعياً وأخلاقياً مصقولاً إلى درجة رفيعة. وإذا أخذت كل هذه الأمور في الاعتبار، فإنه لا بد من أن هذه الديانة كانت في زمانها على قدرة فائقة في اجتذاب المهتدين إليها من خارج موقعها الأصلي وحيث وجدت مستويات معينة من عمق التفكير ومن الحساسية الخلقية. ولا بد أن مما ساعد بشكل خاص على نشرها هو أنها كانت ديانة ذات كتاب، طورها أناس قادرون على القراءة والكتابة.

إن الدراسة اللغوية لأسماء الأمكنة في الشرق الأدنى، إذا أخذت في اعتبارها التوزيع الجغرافي لهذه الأسماء، توحي بأن لغة الكتب اليهودية المقدسة، المسماة تقليدياً اللغة العبرية، هي عبارة عن لهجة من لغة «ساميّة»[٢] كانت منتشرة في الأزمنة التوراتية في أنحاء مختلفة من جنوب شبه الجزيرة العربية وغربها ومن الشام (بما فيها فلسطين). ونظراً لعدم وجود تعبير أفضل، فإن هذه اللغة تسمى في يومنا هذا «الكنعانية» نسبة إلى شعب توراتي كان يتكلمها[٣]. وإلى جانب الكنعانية، كانت هناك لغة ساميّة أخرى منتشرة في الوقت ذاته في شبه الجزيرة العربية والشام، هي الآرامية، التي سميت كذلك نسبة إلى الآراميين التوراتيين. وبغض النظر عمن كان الكنعانيون، ومن كان الآراميون، في الحقيقة[٤]، فإن اللغتين الكنعانية (العبرية) والآرامية كانتا تستخدمان

---

(٢) كان أ. ل. شلوزر هو أول من استخدم تعبير «السامية» لوصف الشعوب ذات العلاقة بالعبريين ولغاتهم. والتعبير مأخوذ عن اسم سام (شم بالعبرية) بن نوح، وهو الجد المزعوم للعبريين ولأقوام توراتية أخرى. وتتحدث التوراة العبرية عن شعوب تحدرت من سام دون أن تصفها بالسامية.

(٣) ربما كانت هذه اللغة تسمى بهذا الاسم في القدم ايضا. وهناك إشارة إلى «لغة كنعان» (سفت كنعن)، التي ربما عنت العبرية، في أحد النصوص التوراتية (أشعيا ١٩ : ١٨).

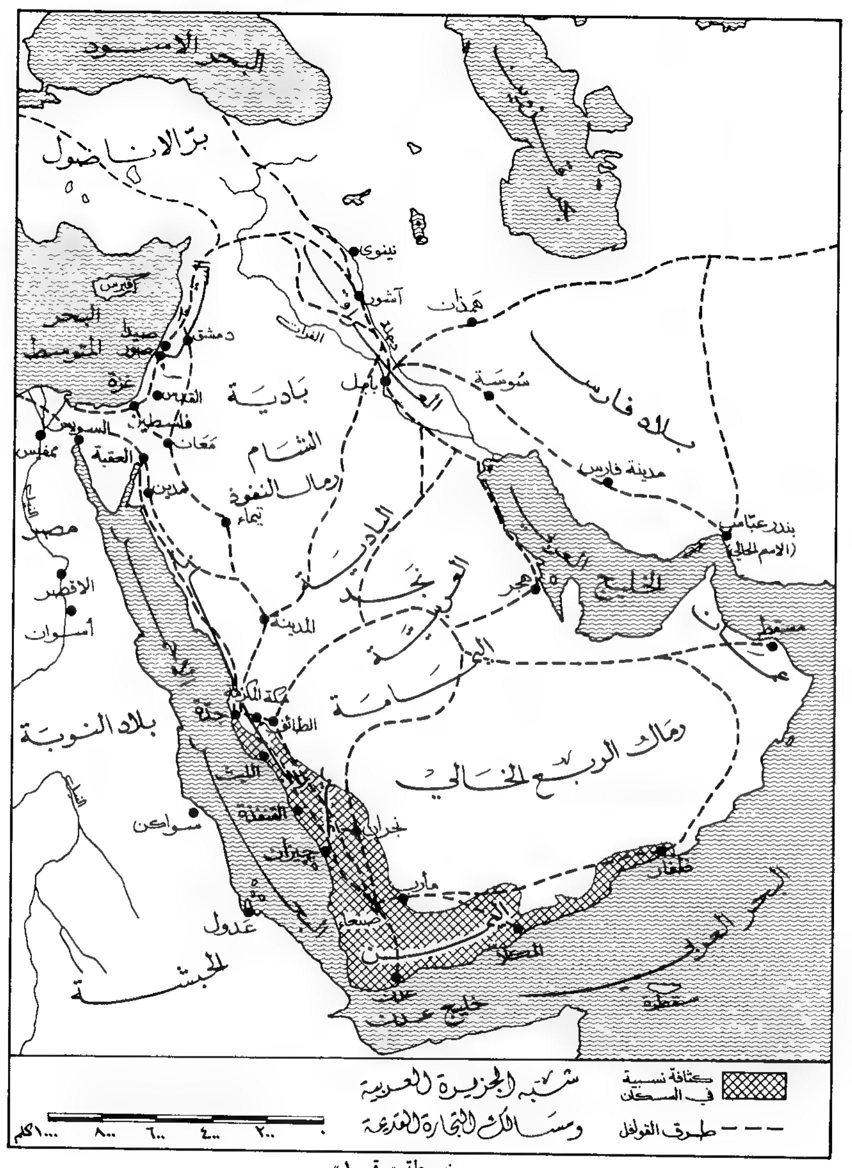
(٤) في الفصل الرابع، سيقام الدليل بالبرهان الاسمي على أن أرض كنعان التوراتية كانت تقع في الجانب البحري من عسير، وليس في فلسطين والساحل الشامي. وفي الفصل الأول =

بالتأكيد لدى مجتمعات مختلفة في غرب شبه الجزيرة العربية، في مرحلة واحدة، وفي الوقت نفسه، كما كان الأمر عليه في الشام. وهناك فقرة توراتية تبين هذا بوضوح، إذا ما أعيد أخذها في ضوء أسماء الأمكنة في غرب شبه الجزيرة العربية. واستناداً إلى سفر التكوين ٣١: ٤٧-٤٩، فإن ركاماً يدعى «كومة الشهادة» أقيم ليشهد على ميثاق عقد بين يعقوب العبري وخاله الآرامي لابان، وقد سمي هذا الركام «يجر سهْدوثا» (بالآرامية يجر سهدوتء) عند لابان، بينما سماه يعقوب «جلعيد» (جلعد بالعبرية) و«المصفاة» (هـ ـ مصفه بالعبرية، أي «نقطة المراقبة»). والأسماء الثلاثة ما زالت تطلق اليوم على ثلاث قرىً صغيرة متجاورة على

= هذا سترد إشارة إلى هجرة الكنعانيين أصلاً من غرب شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشامي. وقد افترض الباحثون الذين استندوا أكثر ما يكون إلى الدليل التوراتي المؤول تأويلاً خاطئاً أن الآراميين كانوا أصلاً من سكان منطقة من شمال الشام تقع غرب الفرات. ولكن العودة الى تمحيص الدليل التوراتي المذكور تدل على أن ما تشير إليه التوراة العبرية باعتباره آرام (ءرم) كان موجوداً في الواقع في غرب شبه الجزيرة العربية. و«آرام النهرين» (ءرم نهريم، سفر التكوين ٢٤: ١٠.. الخ)، مثلاً، لم تكن بلاد ما بين النهرين، أي العراق، بل قرية «النهارين»، وهي اليوم من منطقة الطائف في جنوب الحجاز. ويتبع ذلك ان «فدان آرام» (فدن ءرم، سفر التكوين ٢٨: ٢.. الخ) كانت قرية الدفينة (وبلا تصويت دفن) في جنوب الحجاز، وليست مكاناً في بلاد ما بين النهرين. وكذلك، فإن أسماء أخرى تربطها التوراة العبرية بآرام ـ مثل «بيت ـ رحوب» و«آرام صوبة»، وحتى دمشق («ذا مسك» في منطقة جيزان، في غرب الجزيرة العربية، قارن بالعبرية دمسق) ـ يمكن أن تكون اليوم موجودة بالاسم نفسه في الحجاز وعسير. و«وادي ورم» أيضاً يحمل اسم آرام هناك. ولفظة «إرم» في القرآن الكريم (٨٩: ٧)، التي وردت كاسم مكان، تماثل تماماً في أحرفها الساكنة كلمة آرام التوراتية التي تكتب أيضاً ءرم. وينسب القرآن الكريم هذا المكان الى «ذات العماد»، ولعلّها اليوم قرية العماد في مرتفعات زهران، جنوب الطائف، حيث ما زالت هنالك آرام محلية قيد الوجود ممثلة في قرية «أرَيْمَة» (ءريم). وفي حين أنه لا يمكن للمرء أن يتكلم في الواقع عن الامتداد الكامل الذي كان لأرض آرام التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن المؤكد أنها كانت تضم الأجزاء الجنوبية من الحجاز. وعلى كل حال، فإن «بيت رحوب» و«آرام صوبة» المذكورتين آنفاً هما اليوم إما رحاب في منطقة الطائف والصابة على مقربة منها في وادي أضَم (كذا في معجم البلادي)، أو هي رحاب المسمّــاة «رحاب المعتمة» والصوبة في منطقة رجال ألمع، وهي ليست بعيدة هناك عن وادي ورم.

منحدرات عسير البحرية في منطقة رجال ألمع، إلى الغرب من بلدة أبها، وهي: «فرعة آل شهدا» (**عل شهدء**، «الله هو الشاهد» أو «إله الشاهد»، والكلمة العربية «فرعة» تعني الكومة أو الهضبة، وهي المساوية في المعنى للكلمة الآرامية **يجر**)، و«الجعد» (**عل - جعد**، وهو الصيغة العربية المعترف بها للاسم التوراتي **جلعد**)، و«المضاف» (**مضف**، قارن مع **مصفه**، وقد قلبت الصاد فيها إلى الضاد بالعربية). وهناك قرية اسمها «المصفى» في منطقة قنا والبحر المحاذية لرجال ألمع إلى الغرب، ولا أظن أنها هي «المصفاة» المقصودة في هذا الصدد لبعدها عن «فرعة آل شهدا» و«الجعد». وكان القرب بين المتكلمين بالكنعانية والمتكلمين بالآرامية في غرب شبه الجزيرة العربية في القدم يصل حد أن الإسرائيليين احتاروا في أمر الجماعة التي كانوا إليها ينتمون. وبينما اعتبروا هم أنفسهم عادة عبريين عرقاً (انظر الفصل ١٣)، فقد حثهم سفر التثنية ٢٦ : ٥ على التذكر بأن جدهم كان آرامياً، وهي مسألة أثارت دوماً حيرة الباحثين التوراتيين نظراً لما يبدو فيها من تناقض في الظاهر.

والمرجح هو أن الانتشار المبكر لليهودية من موطنها الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية الى فلسطين وبقاع أخرى في الشمال اتَّبعَ مسار القوافل التجارية العابرة لشبه الجزيرة العربية. وفي العالم القديم، كان إقليم عسير في غرب شبه الجزيرة العربية مكان اللقاء للقوافل المحملة بتجارة بلاد حوض المحيط الهندي (الهند، جنوب الجزيرة العربية، شرق أفريقيا) الآتية من اتجاه، والقوافل المحملة بتجارة فارس والعراق وبلاد حوض شرق البحر الأبيض المتوسط (الشام، مصر، عالم بحر إيجه) من اتجاه آخر (انظر الخريطة). ونظراً لوقوع فلسطين في الزاوية الجنوبية للشام، وبالقرب من مصر، فقد كانت هي المحطة الساحلية الأولى لتجارة غرب شبه الجزيرة العربية في ذلك الاتجاه. ولا بد أن المستوطنين اليهود الأوائل هناك كانوا من تجار غرب شبه الجزيرة العربية ومن رجال القوافل العاملين في تلك التجارة. ولم يكن لهؤلاء المستوطنين أن يخفقوا


البحر الاسود
بر الاناضول
نينوى
آشور
همذان
دمشق
صيدا
صور
البحر
المتوسط
غزة
بادية
الشام
بابل
سوسة
بلاد فارس
مدينة فارس
السويس
منفيس
العقبة
معان
مدين
رمال النفوذ
تيماء
بندر عباس
(الاسم الحالي)
مصر
الاقصر
أسوان
المدينة
هجر
الخليج
مسقط
عمان
مكة المكرمة
جدة
الطائف
بلاد النوبة
رمال الربع الخالي
سواكن
القنفذة
نجران
مأرب
ظفار
صنعاء
اليمن
عدن
خليج عدن
سقطرة
عدول
الحبشة
شبه الجزيرة العربية
ومسالك التجارة القديمة
كثافة نسبية في السكان
طرق القوافل
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠كلم

خريطة «رقم ١»

في اجتذاب المهتدين المحليين إلى دينهم، الذي كان يفوق العقائد المحلية في مستواه الفكري والخلقي الى حد لا يقاس، وكذلك الديانات العليا لامبراطوريات مصر والعراق.

ولم يكن اليهود أول من استوطن فلسطين قادماً من غرب شبه الجزيرة العربية، بل هناك «الفلسطينيّون» (أي الفلستيّون، انظر الفصل ١٤) الذين وصلوا، ولا شك، من غرب شبه الجزيرة العربية قبلهم، فصارت البلاد تعرف باسمهم. وهناك أيضاً الكنعانيون (انظر الهامش ٤) الذين نزحوا من غرب شبه الجزيرة العربية في زمن مبكّر، عندما «تفرَّقت» قبائلهم في الأرجاء (سفر التكوين ١٠ : ١٨)، ليعطوا اسمهم لأرض كنعان (كنعن) على امتداد الساحل الشامي شمال فلسطين، في المنطقة التي سماها الإغريق فينيقيا (على اسم الفنيقا في عسير، انظر الفصل ١٤). وكون فينيقيا قد سميت كنعان من قبل سكانها أنفسهم أمر معروف من خلال قطعة نقد هيلينية من بيروت تصف هذه المدينة بالفينيقية بأنها «في كنعان» (بـ - كنعن)، وبالإغريقية بأنها «في فينيقيا»[٥].

وفي كتابته عن «الفينيقيين» وعن «سوريي فلسطين» في القرن الخامس قبل الميلاد، لا يبدي المؤرّخ الإغريقي هيرودوتس أي شك حول كون أصولهم من غرب شبه الجزيرة العربية. وهو يقول عن الاثنين: «هؤلاء الناس، واستناداً إلى روايتهم نفسها، قطنوا في القديم على البحر الأحمر، وبعبورهم من ذلك المكان، استقروا على ساحل البحر في سورية، حيث ما زالوا يقيمون» (٧ : ٨٩، وانظر أيضاً المصدر نفسه ١ : ١)[٦]. ومهما كان شأن الهجرات الأولى من شبه الجزيرة العربية الى

---

(٥) Zellig S. Harris, **A grammar of the Phoenician language** (New Haven, Conn., 1936), p. 7, note 29.

ويستشهد هاريس أيضاً بدليل آخر يشير إلى أن الفينيقيين، على امتداد الساحل الشامي وفي الأمكنة الأخرى أيضاً، كانوا يسمون أنفسهم كنعانيين.

(٦) المؤرخون وعلماء الآثار المعاصرون يرفضون عادة دليل هيرودوتس على هذا الأمر وعلى =

الساحل الشامي[٧]، فإن الهجرات الفلستيّة والكنعانية الى هناك لا بد أن تكون قد نمت حجماً بمرور الزمن. واستناداً إلى الكتب التاريخية للتوراة العبرية، فالواضح أن المملكة الاسرائيلية أسست في غرب شبه الجزيرة العربية بين أواخر القرن الحادي عشر ومطلع القرن العاشر قبل الميلاد، وإلى حد كبير على حساب مجتمعات مثل الفلستيّين والكنعانيين الذين كانوا من سكان تلك الأرض أصلاً. ولعلّ هجرة هؤلاء الفلستيّين والكنعانيين، من شبه الجزيرة إلى الشام، ازدادت حجماً في تلك الفترة على أثر الهزائم المتتالية التي ألحقها بنو إسرائيل بهم في مواطنهم الأصلية.

وفي فلسطين، يبدو أن الفلستيينّ أطلقوا على عدد من مستوطناتهم (مثل غزة وعسقلان) أسماء هي في الأصل أسماء لأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية جاؤوا منها. والقرية الفلسطينية «بيت دجن» («معبد» دجن، أو «داجون»)، قرب يافا، ما زالت تحمل اسم إلههم في غرب شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ١٤). وفي شمال فلسطين، أعطى الكنعانيون أيضاً أسماء من غرب شبه الجزيرة العربية لبعض مستوطناتهم، وهي أسماء مثل: صور وصيدون وجبيل وأرواد ولبنان[٨].

= نقاط تتعلق بالتاريخ القديم للشرق الأدنى باعتباره غير ذي قيمة حقيقية. وهم يعاملون هذا الدليل بهذا الترفع، على الأرجح، لأنه لا يطابق مفاهيمهم المأخوذة الى حد كبير عن سوء تأويل السجلات القديمة والاكتشافات الأثرية، المبنية بدورها على سوء تأويل المادة الجغرافية والطوبوغرافية للتوارة. ولا يجب إعطاء أية قيمة للقول بأن «البحر الأحمر» الذي يقصده هيرودوتس هو الخليج العربي وليس البحر الأحمر، مع العلم بأن قدماء الإغريق كانوا بالفعل يطلقون اسم «البحر الأحمر» على كامل الأبحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية.

(٧) يفيد هيرودوتس (٢ : ٤٤)، نقلاً عن كهنة مدينة صور الفينيقية في أيامه، أن هذه المدينة قد أنشئت قبل ٢٣٠٠ سنة من تلك الأيام.

(٨) «صور» التوراتية (صر بالعبرية) لم تكن مدينة على حافة «البحر» (يم بالعبرية) بل الواحة الحالية الكبيرة «زور» (زر)، وهي الواحة المسماة اليوم بالتحديد «زور الوادعة» في منطقة نجران، بمحاذاة بلاد «يام» (قارن مع يم العبرية) المجاورة للصحراء العربية الداخلية. و«سفنها» (ء ونيوت بالعبرية) كانت في الحقيقة قوافل حيوانات محملة («الأون» =

وعندما بدأ إسرائيليو غرب شبه الجزيرة العربية (وربما يهود آخرون من غير بني اسرائيل من غرب شبه الجزيرة) بالهجرة باتجاه الشمال للاستيطان في فلسطين، كائناً ما كان زمن الهجرة، أطلقوا بدورهم أيضاً أسماء من غرب شبه الجزيرة العربية على بعض مستوطناتهم الفلسطينية (وليس كلها بالتأكيد)، أو على أوابد دينية محلية استولوا عليها وعرّفوها بأوابد يهودية في غرب شبه الجزيرة العربية، وهي أسماء مثل **يهوده** (انظر الفصل ٨)، و**يروشليم** (انظر الفصل ٩)، و**بيت لحم** (انظر الفصل ٨)، و**حبرون** (الخليل هو اسمها الحالي بالعربية، انظر الفصل ١٣)، و**شمرون** وتعريبها «السامرة»، و**جزريم**، و**عيبل** (انظر الفصل ١٠)، و«**الكرمل**» (**كرمل**)[9]، وربما «**الجليل**» (**جليل**)[10] و«**حرمون**»

= بالعربية هو «أحد جانبي الخرج على ظهر الدابة»)، ويمكن التعرف الى أسماء الأماكن التي تاجرت معها هذه القوافل في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية. وتتحدث التوراة عن الملك حيرام (حيرم) ملك صر، وما من ملك قديم بهذا الاسم معروف بأنه نصب على مدينة صور اللبنانية، والفينيقي أحيرام (ءحرم) كان ملك جبيل، وهو مكان مختلف تماماً. وهناك اختلاف في الاسم أيضا بين حيرم و ءحرم. و«جبيل» التوراتية (جبل بالعبرية، وقد تكون جبل أو قبل بالعربية) لبست جبيل لبنان. وهناك أماكن كثيرة تحمل هذا الاسم في غرب شبه الجزيرة العربية، وهناك «جبيل» معينة تقع قرب صور التوراتية، هي «القابل» (قبل) في اقليم نجران. و«أرواد» غرب شبه الجزيرة العربية هي اليوم «رواد» (رود) في مرتفعات عسير، و«صيدون» التوراتية هي موضوع بحث خاص في الفصل ٤. والجغرافيون العرب يذكرون وجود لُبَنان ولُبَيْنان (لبنون بالعبرية) كاسمين لجبل في الحجاز وأرض باليمن. وفي جوار لبينان هناك قرية تدعى لُبَيني ما زالت موجودة (أنظر الفصل ٧). ولا بد أن أرز لبنان التوراتي كان أشجار عرعر عملاقة في أرض لبينان باليمن. والقواميس العربية تفيد بأن لفظة «أرز» تطلق على العرعر. ولا شك أيضاً في أن ثلوج لبنان التوراتية هي ثلوج محلية في المنطقة ذاتها (انظر الفصل ٢).

(٩) لقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ٥: ٤٤٨) كرمل غرب شبه الجزيرة العربية، وتحريكها كِرْمِل، على أنها «جبل.. بالقرب من حمضة ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة». ولعل «حَمضَة» المذكورة هي حمضة من قرى القحمة، في منطقة جيزان. جبل كرمل هذا، إذن، يقع مباشرة غرب أرض لبينان، أي «لبنان» اليمن (انظر الهامش ٨). وهذا يفسر لماذا يشار أحياناً إلى جبل كرمل بالترابط مع جبل لبنان في النصوص التوراتية، وأحدها النص الوارد في سفر إشعيا ٢٩ : ١٧، سب لبنون ـ ل ـ كرمل، الذي يؤخذ على أنه يعني =

(حرمون)[11] و«الأردن» (هـ ـ يردن، انظر الفصل ٧). والظاهرة هذه مرتبطة بالهجرة في كل زمن، وفي كل أنحاء العالم. فالمهاجرون يحنون دائماً إلى أوطانهم الأصلية، وكثيراً ما يسمون البلدات والأقاليم والجبال والأنهار، وحتى بلداناً أو جزراً بكاملها، بأسماء مألوفة حملوها معهم من مواطنهم القديمة. ولم تكن هناك فوارق بعيدة في اللغة بين غرب شبه الجزيرة العربية والشام في أيام التوراة، ولذلك لا يستبعد أن يكون عدد من الأماكن في المنطقتين على السواء قد سُمّي أصلاً بالأسماء نفسها، وخصوصاً حيث كانت الأسماء هذه تدل على مظاهر طوبوغرافية أو مائية أو حياتية بيئية معينة، أو كانت تتعلق بعبادة الإله نفسه. وفي الثقافة التقليدية، كما في اللغة، لم تكن الشام والجزيرة العربية متباعدتين في أي زمن من الأزمنة.

وقد كانت هنالك عوامل خارجية تعزز الهجرات من غرب شبه الجزيرة العربية باتجاه فلسطين وسائر الشام في جميع المراحل. ولا عجب في ذلك، لأن غرب شبه الجزيرة العربية كان مضرباً لأنظار الفاتحين منذ أقدم العصور، أولاً لِمَا كان فيه من موارد طبيعية، وثانياً لأنه كان يشكّل أهمّ نقاط التقاطع بين الخطوط التجارية في العالم القديم (انظر الفصل ٣). وفي الفصل الحادي عشر، سيجري الإثبات بالدلائل الاسمية على أن حملة الملك المصري شيشانق الأول ضد «يهوذا» في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد، كما هي واردة في التوراة العبرية ومدعمة بالسجلات

= «يتحول لبنان بستاناً»، ولكنه يعني في الواقع «يتحول لبنان الى كرمل» أو «يعود لبنان الى كرمل».

(١٠) أسماء الأمكنة المماثلة لـ جليل العبرية (التي تعني «المنحدرات المدرّجة») شائعة الوجود في مرتفعات غرب شبه الجزيرة العربية. وبين الأسماء الأخرى، هناك «وادي جليل» في جنوب الحجاز، جنوب شرق الطائف.

(١١) حرمون التوراتية (وفي الاستبدال حمرن أو خمرن) استمرت في الوجود كاسم لما لا يقل عن خمسة أماكن في جنوب الحجاز وعسير كلها تدعى حمران أو خمران.

المصرية، كانت موجهة ضد غرب شبه الجزيرة العربية، وليس ضد فلسطين والشام كما كان يعتقد حتى الآن. والدراسة الصحيحة لحملة مصرية أخرى تذكرها التوراة العبرية، هي حملة نكو الثاني في السنوات الأخيرة من القرن السابع قبل الميلاد، تدل على أن هذه الحملة أيضاً كانت موجهة بدورها ضد غرب شبه الجزيرة العربية الذي كان يسيطر عليه البابليّون آنذاك. ومعركة كركميش (أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٢٠، اشعيا ١٠: ٩، ارميا ٤٦: ٢) التي جرت بين المصريين والبابليين بهذه المناسبة، إنما جرت قرب الطائف، في جنوب الحجاز، حيث ما زالت هنالك قريتان متجاورتان تسميان «القرّ» و«قماشة». و«كركميش» التوراتية هي بالتأكيد غير كرغماسة الحثية، والتي هي الآن جرابلس، على الفرات[١٢]. ولعلَّ الحملات العسكرية المصرية الأبكر، والتي تعود

(١٢) وادي أضم، الذي ينبع من مرتفعات منطقة الطائف ويجري باتجاه البحر الأحمر، يشار إليه أحياناً في التوراة العبرية على أنه نهر فرت، مما يجعله قابلاً للاختلاط مع فرات العراق. وهذا الاختلاط يتعزز بالوصف التوراتي لـ نهر فرت بكونه هـ ـ نهر هـ ـ جدول، أي «النهر العظيم»، باعتبار أن وادي أضم هو أحد أكبر الوديان في غرب شبه الجزيرة العربية. عملياً، إن الاسم التوراتي لهذا الوادي يأتي من اسم قرية تدعى اليوم «فِرت»، أو أخرى تدعى «فرات»، في المنطقة نفسها. وكما هو الأمر بالنسبة لمعركة كركميش، فإن معركة كركرة (أو بالأحرى قرقرة) التي حاربها الآشوريون ضد ملوك أَمَتْ وإمَرِشو وحلفائهم جِنْدِبو ارِبي و أَخَبو سِرْئِلا (والواضح أن الأخير هو أخاب ملك اسرائيل)، في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد، كانت قد جرت فعلا في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس على امتداد نهر العاصي في شمال الشام كما يعتقد عادة. وأَمَتْ التي اعتبرت حتى اليوم إشارة إلى حماه في وادي العاصي، في شمال الشام، هي عملياً قرية «أَمَطْ» الحالية في منطقة الطائف، وهي بذلك ليست بعيدة عن قر/قماشة، أي عن كركميش التوراتية. وإمَرِشو ليست دمشق الشام كما تعتبر حتى الآن، ودون أي أساس لهذا الاعتبار، بل ربما كانت ـ بين إمكانيات عدّة في غرب شبه الجزيرة العربية ـ المراشا في جنوب مرتفعات عسير (منطقة ظهران الجنوب، انظر الفصل ٣). جِنْدِبو أرِبي يفترض عادة كونه زعيماً عربياً من بادية الشام. وعملياً هناك قبيلة تدعى بنو جندب ما زالت تعيش في وسط مرتفعات عسير، وأرِبي قد تكون اليوم «عربة» أو «عرابة» من قرى بلاد عسير. وكركرة نفسها، في هذه الحالة، يمكن أن تكون حالياً قرقرة أو قرقرا في منطقة القنفذة في تهامة الحجاز المحاذية لعسير، وليس أي مكان في وادي العاصي من =

بتاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ويفترض عموماً أنها كانت موجّهة ضد فلسطين والشام، إنما كانت موجّهة بدورها، وبالدرجة الأولى، ضد غرب شبه الجزيرة العربية. وقد يتبيّن ذلك في معظم الحالات إذا أعيدت دراسة السجلات المصرية لهذه الحملات بعناية، على ضوء أسماء الأمكنة التي ما زالت موجودة في غرب شبه الجزيرة العربية(١٣). وكان المصريون القدامى يحرصون على إخضاع شبه الجزيرة العربية وخطوطها التجارية لسيطرتهم(١٤). وهكذا كان الآشوريون والبابليون في أيامهم. وفي أعقاب كل غزو، من أي اتجاه أتى، كانت تنطلق موجة جديدة من الهجرة من غرب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد أخرى، مثل فلسطين.

وفي الواقع أن مصر كانت تمر بفترة انكماش، بين أواخر القرن الحادي عشرة وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد، عندما برزت المملكة الاسرائيلية عند منحدرات عسير الساحلية (انظر الفصول ٨ - ١٠) في أيام شاول، وتوسعت في أيام داود، ووصلت ذروة قوتها وازدهارها في

= الشام. وأما بالنسبة للشكوك بالتسميات المتعلقة بمعركة كركرة، كما فسرت جغرافياً حتى الآن، فانظر الهوامش في:

James B. Pritchard, ed.,**Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament** (Princeton, 1969), pp. 278-279.

(١٣) إن ترجمات السجلات المصرية (مثل ترجمات بريتشارد) تشوش الموضوع بتعريفها غير النقدي لأسماء الأمكنة المشار إليها بأسماء أماكن فلسطينية وشامية معروفة بدلاً من ضبط هذه الأسماء بالحروف الأصلية، وهو الشيء الذي يجب عمله. والأمر نفسه أيضاً (كما في بريتشارد) ينطبق على السجلات الأشورية والبابلية والسجلات الأخرى. والبحث عن الأمكنة محور الموضوع يجب أن يتم بالاستناد إلى السجلات الأصلية، وليس بالاستناد الى الترجمات.

(١٤) وبين أشياء أخرى، كان المصريون مهتمين أيضا بتأمين خشب العرعر من عسير (وليس أرز لبنان) كمادة للبناء ولتعمير السفن. وحول الاختلاط الحاصل بين الأرز والعرعر، انظر الفقرات المتعلقة بذلك في:

Alessandra Nibbi, **Ancient Egypt and some eastern neighbours** (Park Ridge, N. J, 1981).

أيام سليمان. ولو كان داود وسليمان، في وقتهما، هما السيّدين الفعليين لدولة شامية مترامية الأطراف، تسيطر على الإقليم الستراتيجي الذي يفصل مصر عن بلاد العراق، كما هو الافتراض الشائع (انظر الملوك الأول ٤ : ٢١ في أية ترجمة عادية)، لكانت السجلات المصرية والآشورية المتعاصرة قد أشارت إليهما بالتأكيد بأسمائهما، وهو ما لم تفعله هذه السجلات. وعندما عادت مصر تسعى إلى التوسع خلال القرن العاشر قبل الميلاد، كانت هنالك تدخلات مصرية عسكرية جديدة في غرب شبه الجزيرة العربية، وقد أدَّت هذه التدخلات المصرية، بعد وفاة سليمان، إلى انقسام مملكته إلى مملكتين إسرائيليتين هما «يهوذا» و «إسرائيل» (انظر الفصل ١٠). ولعلَّ أولى الهجرات اليهودية الواسعة النطاق إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً إلى فلسطين، كان مردّها إلى الحروب التي نشبت بين ملوك «يهوذا» وملوك «إسرائيل» ابتداءً بذلك الوقت. ولا بد أن مثل هذه الهجرات تعزز بالغزوات المتوالية التي شنّها ملوك آشور ثم ملوك بابل على غرب شبه الجزيرة العربية بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد. وفي العام ٧٢١ قبل الميلاد، قام الملك الآشوري سرجون الثاني بتصفية مملكة «إسرائيل» في غرب شبه الجزيرة العربية، واحتل عاصمة المملكة، وهي «السامرة» (شمرون، وما زالت هناك وتدعى شمران، انظر الفصل ١٠)، واستاق الأعيان من سكانها أسرى إلى بلاد فارس. ثم في العام ٥٨٦ قبل الميلاد، قضى الملك البابلي نبوخذنصّر على مملكة «يهوذا» في غرب شبه الجزيرة العربية، واقتاد الألوف من رعاياها اليهود إلى بابل، حيث وضعوا قيد الأسر[١٥]. وكان البابليون يسعون إلى المحافظة على السيطرة على غرب شبه الجزيرة العربية، وإلى استباق أية عودة مصرية إلى المنطقة ومنعها (كتلك المحاولة التي قام بها نكو الثاني قبل ربع قرن)، إلى درجة أن نبونعيد الذي خلف

(١٥) تجب الملاحظة هنا بأن المؤرخين العرب القدماء، وعلى رأسهم الطبري، أصروا على اعتبار نبوخذنصَّر غازياً لشبه الجزيرة العربية، ورووا قصة فتوحاته هناك.

نبوخذنصّر في ملك بابل نقل عاصمته من بابل نفسها إلى تيماء، في شمال الحجاز، وقضى معظم أيام ملكه هناك، كما هو معروف.

ويبدو أن وجوداً يهودياً قوياً كان قد قام خلال هذه المرحلة في فلسطين. فلما ساءت أحوال الاسرائيليين في غرب شبه الجزيرة العربية صار اليهود هناك يتوسّمون الخير والأمل في أرض الاستيطان اليهودي الجديدة في فلسطين، أي في «بنت صهيون» و«بنت أورشليم» في فلسطين بدلاً من «صهيون» و«أورشليم» القديمتين في غرب شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ٩). وما من عالم قديم بائس إلا ويتوسم الخير في عالم جديد يعقد حوله الآمال. وفيما يلي ثلاثة أمثلة عن آمال يهود غرب شبه الجزيرة العربية، جاء التعبير عنها بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد. ولعلّ الإشارة في هذه الأمثلة هي الى المواطن اليهودية الجديدة في فلسطين:

١ ـ وأنت يا برج القطيع،
أكمة بنت صهيون،
إليك يأتي ويجيء الحكم الأول،
ملك بنت أورشليم (ميخا ٤ : ٨)[١٦].

٢ ـ احتقرتك[١٧]، استهزأت بك
العذراء ابنة صهيون.
نحوك انغضت ابنة اورشليم رأسها....
ويعود الناجون من بيت يهوذا:
الباقون يتأصلون إلى أسفل

---

(١٦) الواضح من خلال ميخا ١ : ١، حيث يعدد هذا النبي معاصريه من ملوك يهوذا، أن هذا التعبير عن الأمل بعودة ملك «ابنة أورشليم» إلى أكمة «بنت صهيون» يعود بتاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد. وحتى الآن، تعامل الباحثون التوراتيون مع تعبيري «ابنة صهيون» و«ابنة أورشليم» على أنهما ليسا أكثر من تعبيرين شعريين موجهين الى صهيون وأورشليم، لا يستثيران أي بحث أبعد من ذلك. والمسألة على كل حال فيها نظر.

(١٧) الكلمات هنا موجهة الى سنحريب، ملك آشور (٧٠٤ـ٦٨١ ق.م.)

ويصنعون ثمراً إلى ما فوق.
لأنه من أورشليم تخرج بقية،
وناجون من جبل صهيون؛
غيرة رب الجنود[١٨] تصنع هذا...
(أشعيا ٣٧: ٢٢، ٣١-٣٢؛ وأيضاً الملوك الثاني ١٩: ٢١، ٣٠-٣١).

٣- ابتهجي جداً يا ابنة صهيون!
اهتفي يا بنت أورشليم!
هوذا ملكك يأتي إليك:
هو عادل ومنصور،
وديع وراكب على حمار
وعلى جحش ابن أتان (زكريا ٩: ٩)[١٩].

---

(١٨) بالعبرية يهوه صبء وت، والإشارة هي الى معلم مقدس أساسي ليهوه في مكان اسمه اليوم الصَّبَيَات، في منطقة النماص من سراة عسير. انظر الفصل ١٢.

(١٩) سيرة زكريا النبوية تتطابق مع السنوات الأولى من ملك داريوس الأول الفارسي، من الأسرة الأخمينية (٥٢٢-٤٨٦ق. م.)، كما هو واضح من الإشارة إلى اسم وسنوات حكم داريوس هذا في نص نبوءات زكريا. ولأن زكريا يتحدث (٩: ١٣) عن **يون** («ياوان» في الترجمة العربية للتوراة) التي أخذت كاشارة الى اليونان (**ياونيس** بالاغريقية)، فإن النقاد نسبوا هذاالفصل وما يليه في زكريا الى كاتب آخر في تاريخ متأخر (أواخر المرحلة الفارسية الأخمينية ومطلع المرحلة الهيلينية). عملياً، إن الكلمة العبرية **يون** لا يمكنها أن تشير إلى اليونان إلّا في سفر دانيال. وفي كل مكان آخر من التوراة العبرية يشير الاسم إلى ما يمكن أن يكون اليوم إما قرية اليانة قرب الطائف في جنوب الحجاز، أو قرية وينة في المنحدرات الغربية لعسير، في منطقة بني شهر. ويبدو أن زكريا كان أحد الاسرائيليين العائدين من فارس أو من بابل الى غرب شبه الجزيرة العربية في أوائل المرحلة الأخمينية (انظر ما يلي). ونتيجة لاستيائه مما وجد هناك يمكنه أن يكون قد تخلى عن اهتمامه بصهيون وأورشليم القديمتين في غرب شبه الجزيرة العربية ليرى الأمل في صهيون وأورشليم جديدتين في فلسطين. ولعل في كلام زكريا عن مجيء ملك «بنت أورشليم» اليها راكباً بدعة «على حمار وعلى جحش ابن أتان» تصويراً لطبيعة الهجرة من غرب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في زمانه.

وما لبثت دولة بابل أن انهارت، وجاء دور الدولة الفارسية الأخمينية، فتفاءل اليهود بقدومها، آملين بأن الفرس سيساعدونهم على إقامة دولة إسرائيلية لهم من جديد. وكان الفرس، بالفعل، يميلون إلى مصادقة اليهود ويعتبرونهم من أنصارهم. لكن الواقع هو أن الفتوحات الفارسية لبلاد الشرق الأدنى كانت هي العامل الذي قضى، وإن بصورة غير مباشرة، على أية إمكانية لإعادة بناء مملكة إسرائيلية قابلة للحياة في غرب شبه الجزيرة العربية. ففي السنة ٥٣٨ قبل الميلاد فتح الفرس بابل، وفي السنة ٥٢٥ اجتاحوا الشام واحتلوا مصر، وهكذا وحدوا كل بلاد الشرق الأدنى القديم للمرة الأولى تحت راية إدارة أمبراطورية واحدة فاعلة، من حدود الهند إلى حوض البحر المتوسط. ووسع الفرس كذلك رقعة حكمهم ليشمل الكثير من شبه الجزيرة العربية إن لم يشملها كلها، ولكن نجاحهم في ضبط العراق والشام ومصر حوّل مسالك التجارة من الجنوب إلى الشمال ووجّه بذلك ضربة قاسية إلى تجارة القوافل العابرة لشبه الجزيرة. وقد كانت تجارة القوافل هذه تشكل العمود الفقري لحياة الإسرائيليين ومجتمعات قديمة أخرى في غرب شبه الجزيرة العربية. وأصبح الآن للطرق الرئيسية المحروسة التي أنشأها الأخمينيون لتربط بلاد فارس والعراق بمصر عبر الشام تأثير فوري ومباشر في تحويل مسالك التجارة الرئيسية بعيداً عن شبه الجزيرة العربية، مما أدى فجأة بشبه الجزيرة وشبكاتها من طرق قوافل الجمال إلى الركود الاقتصادي. وفي نهاية القرن، ساهم بناء الفرس لقناة تربط البحر الأحمر بنهر النيل في تشجيع التجارة البحرية في ذلك الاتجاه على حساب تجارة القوافل العابرة لشبه الجزيرة العربية. ولا بدَّ أن التأثير الإجمالي لهذا كله، فيما يخص غرب شبه الجزيرة العربية، كان الكارثة بعينها.

وكان الفرس، كما سبق، بعيدين عن معاداة اليهود، بل إنهم ميَّزوهم عن غيرهم. وبإذن من الفرس أنفسهم، عاد حوالى ٤٠ ألفاً من أبناء الأسرى الاسرائيليين في بلاد فارس والعراق مع عائلاتهم الى غرب شبه

الجزيرة العربية وفي نيتهم إعـادة بناء مجتمعهم هنـاك. لكن سرعـان ما خابت آمال هؤلاء الاسرائيليين العائدين ، إذ وجدوا كل ما حولهم خراباً وفقراً، وذلك على عكس ما كانوا يتصوّرون. وأما ما تلا ذلك فلا يمكن اكتشافه إلا بالتكهن، لأن الرواية التاريخية للتوراة العبرية تتلاشى وتنتهي عنـد هذه النقـطة، وينتهي معها تـاريخ بني اسـرائيل الـذين زالـوا من الـوجود كشعب، عـلى ما يـظهر، بعـد أن أخفقوا في إعادة بنـاء وطنهم الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية. أما اليهودية كدين، فاستمرت في وجـودها هنـاك، وفي جنوب شبـه الجزيـرة أيضاً، حتى القـرن الحالي. واستمرّت اليهودية كدين أيضاً في مناطق أخـرى خارج شبـه الجزيـرة، ومنهـا العـراق وفلسـطين ومصر وغيـرهـا. ويحتمـل أن يكـون معـظم الاسرائيليين العائدين في المرحلة الأخمينية إلى شبـه الجزيـرة العربيـة قد عادوا أدراجهم ثانية إلى بلاد فارس والعراق، أو هم تفـرقوا في أمـاكن أخـرى. ومن ذلك الـوقت فصاعـداً، وحتى تدمـير الرومـان لأورشليم الفلسطينية في العام ٧٠ للميلاد، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهـودي حول فلسطين، وقبل أن يمر وقت طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت غياهب النسيان.

والشيء الذي ساهم في إزالة غرب شبه الجزيرة العربية من الذاكرة خلال وقت قصير نسبياً (ربّما مئتين أو ثلاثمائة سنة) كان التحول الذي طرأ في هذه الفترة على اللغـة في شبه الجـزيرة العـربية والشـام والعراق بحلول القرن السادس قبل الميلاد. وكما لوحظ سـابقاً، فـإن اللهجات الكنعانية (مثل العبرية التوراتية) كانت تستخدم في الكلام العام في غرب شبه الجزيـرة العربيـة والشام في الأزمنـة التوراتيـة، جنباً إلى جنب مـع اللهجات الآرامية. والكتب اليهودية المقدسة، باستثناء بعض الفقرات في كتب الأنبيـاء المتأخـرين، كتبت بـالعبـريـة، وليس بـالآراميـة. وفي حوالي السنة ٥٠٠ قبـل الميلاد، كـانت اللغة الكنعـانية، عـلى ما يبـدو آخذة في الموات إن لم تكن قد ماتت فعلاً، في شبه الجزيرة العربية كما في الشام،

وحلت محلها اللغة الآرامية في كل مكان، بما في ذلك العراق. وفي ظل حكم الأخمينيين، أصبحت الآرامية هي لغة الادارة في أنحاء الامبراطورية الفارسية و«اللغة المشتركة» لمنطقة الشرق الأدنى. واستمر هذا التحول اللغوي في المنطقة خلال القرون التالية، في حين بدأت لهجات لغة ساميَّة أخرى تدعى العربية تتنافس مع اللغة الآرامية في أقاليم مختلفة من الشرق الأدنى[٢٠]. وبحلول القرون الأولى من العصر المسيحي كانت اللغة العربية، وهي أصلاً لغة القبائل الرعوية للبادية الشامية ـ العربية، قد بدأت تحل فعلاً محل اللغة الآرامية في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكذلك في أجزاء من العراق والشام، غير تاركة سوى جيوب صغيرة من المتكلمين بالآرامية في هاتين المنطقتين الأخيرتين في القرن السابع أو الثامن للميلاد. وفي غرب شبه الجزيرة العربية يظهر هذان التحوّلان اللغويان المتواليان بوضوح من خلال التغير الذي طرأ على بعض أسماء الأمكنة. ومن الأمثلة على ذلك اسم بلدة «صبوييم» التوراتية (صبيم أو صبييم هما المثنى أو الجمع لـ صبي، أي «غزال»). و«صبوييم» هذه (كما سيظهر في الفصل ٤) تشير إلى بلدتين توأمين في منطقة جيزان الساحلية في جنوب عسير، وهاتان البلدتان ما زالتا موجودتين وتحملان اسمي «صبيا» (صبيء) و«الظبية»، واسم الأولى هو تحويل إلى الآرامية عن الأصل الكنعاني صبي باضافة لاحقة

(٢٠) هذه التحولات اللغوية المتتالية التي أثرت على بلدان الشرق الأدنى المحيطة بالامتداد الواسع للبادية الشامية ـ العربية كانت لا بد متعلقة بالموجات المتتابعة لاستيطان القبائل الرعوية المتوجهة من قلب البادية الى أراضي الاستقرار الدائم حولها. ويبدو أن الكنعانية كانت اللغة الأصلية للسكان القبليين والمستقرين في أطراف المرتفعات الغربية للبادية الشامية العربية، في الشام كما في شبه الجزيرة العربية. أما المستوطنون الجدد الذين أتوا من البادية في أزمنة مبكرة، فقد جاؤوا معهم باللغة الآرامية الى تلك المناطق وإلى بلاد العراق. وموجات الاستيطان التالية لقبائل البادية التي تتكلم العربية في تلك المناطق نفسها أدخلت إليها العربية. ويمكن النظر إلى اللغات الكنعانية والآرامية والعربية، كتنويعات للغة الساميّة الأم، على أنها متساوية في القدم. ومن الناحية اللغوية، تعتبر اللغة العربية أقدم الثلاث.

أداة التعريف الآرامية، واسم الثانية هو تعريب للاسم نفسه مع بادئة أداة التعريف العربية. وهكذا، فإن أسماء الأماكن تجمد تحركات التاريخ.

وبموت العبرية التوراتية كلغة محكية، أصبحت قراءة الكتب المقدسة اليهودية مشكلة، وبقيت كذلك منذ ذلك الحين. واللغة العبرية، مثلها مثل كل اللغات الساميّة، كانت تكتب بأحرف ساكنة لا بد من «تصويتها» (أي إلى إضافة إشارات صوتية إليها) لكي تفهم[٢١]. ومن الناحية الأخرى، فقد كان من الضروري فهم الكلمة قبل إضافة الإشارات الصوتية الملائمة، أو تشديد الأحرف حيث يتطلب ذلك المعنى الصحيح أو المفترض. وبدءاً من المرحلة الأخمينية، يبدو أن اليهود الفلسطينيين والبابليين، الذين لم يعرفوا كيف كانت اللغة العبرية لكتبهم المقدسة تلفظ في الأصل، راحوا يصوغون الإشارات الصوتية المضافة إليها على الأساس الآرامي، اللغة التي كانوا بها يتكلمون[٢٢]. وكانت نصوص كتبهم المقدسة هذه مليئة بأسماء أمكنة لم يكونوا يعرفونها، لأن هذه الأسماء كانت خاصة بأماكن ومواقع هي في غرب شبه الجزيرة العربية ولا يعرفونها. وفي منطقة غرب شبه الجزيرة العربية نفسها كان اليهود قد شهدوا منذ حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد تراجعاً في أحوالهم المعيشية إلى حد أنه كان من الصعب العثور فيما بينهم على علماء لهم قدرة

---

(٢١) إن الاستثناء بين اللغات «السامية» هو اللغة الأكادية، لغة العراق القديمة، التي كانت كتابتها بالأحرف المخروطية الشكل مقطعية، وليست أبجدية. وهناك كتابات كنعانية وضعت بالأحرف المقطعية المخروطية وليس بالأحرف الأبجدية، ومنها الكتابات الأوجاريتية التي وجدت في رأس شمرا بالشام.

(٢٢) هناك عدّة أدلة على ذلك، منها تبنيّ التخفيف الآرامي لحرف الكاف عندما تسبقه أداة صوتية، وتحويله إلى خاء. وهذا التحويل ليس مشهوداً على الاطلاق في اسماء الأماكن التوراتية التي ما زالت موجودة في غرب شبه الجزيرة العربية، حيث ترد الخاء دائماً كلفظ بديل للحاء في الاسم كما هو وارد في نصوص التوراة.

على تصحيح القراءة الجغرافية لأبناء دينهم الفلسطينيين والبابليين. وأكثر من ذلك، فإن يهود غرب شبه الجزيرة العربية استمروا في عيشهم كيهود من الناحية الدينية فقط، وليس كاسرائيليين من الناحيتين الإثنية والسياسية. وعلى كل حال، فإن هؤلاء اليهود أنفسهم ما عادوا يتكلمون اللغة العبرية التي كتبت بها كتبهم المقدسة، وقبل مضي وقت طويل كانت لغتهم قد أصبحت هي اللغة العربية. ولا شك في أن يهود غرب شبه الجزيرة العربية حافظوا على بعض من ذكرى ماضيهم هناك[٢٣]. لكن الاتصال بينهم وبين اليهود خارج شبه الجزيرة العربية، بنهاية المرحلة الأخمينية، أصبح ضئيلاً إلى حد أنه لم يعد بإمكانهم أن ينقلوا إليهم بشكل فعال ما كانوا بعد على علم به. وعندما بدأ اليهود الفلسطينيون والبابليون أخيراً بضبط نصوص التوراة العبرية بالإشارات الصوتية، وذلك في غضون القرن السادس للميلاد (انظر الفصل ٢)، كانت قد مرَّت قرون عديدة على الزمن الذي كانت فيه العبرية، أو أية لهجة كنعانية، متداولة في الكلام في أي مكان، وكانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت منذ زمن طويل في طي النسيان.

ومن العوامل التي ساعدت، ولا بدّ، على طمس ذكرى الماضي اليهودي في غرب شبه الجزيرة العربية ما يتعلق بالتطورات السياسية في تلك المنطقة وفي فلسطين بعد انقراض بني إسرائيل. ففي غرب شبه

(٢٣) إن عدداً من قبائل غرب شبه الجزيرة العربية التي هي ليست يهودية اليوم تصر على أنها يهودية في أصولها القديمة. وهناك اعتقاد محلي في المنطقة بأن أرض الأنبياء التوراتيين كانت هناك، حسب ما يقوله الرحّالة الذين زاروا المنطقة في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي. وهناك اعتقاد تقليدي قبلي في شبه الجزيرة العربية بأن اليهود سكنوا في «جبال الحجاز» بينما كان العرب ما زالوا في البادية، وأن اليهود هم أول من روّض الجمل وأهّله. أنظر:

Alois Musil, **The manners and customs of the Rwala Bedouins** (New York, 1928), pp. 329-330.

الجزيرة العربية، أدى الضعف التدريجي الذي أصاب الأمبراطورية الأخمينية، والذي كان ظاهراً منذ سنة ٤٠٠ قبل الميلاد، إلى نشوء كيانات سياسية جديدة، وخصوصاً من بينها ما يسمّى بدولة «معين». وكان نشوء دولة «معين» هذه في المنطقة ذاتها التي شهدت قبلاً قيام مملكة الإسرائيليين. وتشتت يهود شبه الجزيرة بين هذه الكيانات المحليّة الجديدة، ففقدوا شعورهم بالانتماء الخاص كشعب واحد، إذ لم يعد هناك ما يجمع شملهم سياسياً. ولم يكن الأمر كذلك في فلسطين، حيث اتخذت التطورات مساراً مختلفاً. ففي سنة ٣٣٠ قبل الميلاد، رسمت فتوحات الإسكندر الأكبر نهاية الأمبراطورية الفارسية. وبعد موت الإسكندر أقام قادة جيشه إمبراطوريات جديدة على ما كان في السابق أراضٍ أخمينية. وإحدى هذه الامبراطوريات «الهيلينية» كانت أمبراطورية البطالسة، التي كان مركزها في مصر، وكانت عاصمتها الإسكندرية. وكانت إحدى الأمبراطوريات الأخرى هي الأمبراطورية السلوقية، التي تمركزت في النهاية حول الشام، وكانت عاصمتها انطاكية. وكانت السيطرة على فلسطين في البداية موضوع نزاع بين البطالسة والسلوقيين، قبل أن يحسم الأمر لصالح الأخيرين وتصبح فلسطين خاضعة لحكمهم. لكن البطالسة لم يتخلوا، مبدئياً، عن الأمل في استعادة السيطرة أو النفوذ على فلسطين. وخلال القرن الثاني قبل الميلاد، اغتنم اليهود الفلسطينيون فرصة استمرار النزاع على بلادهم بين البطالسة والسلوقيين، فقاموا بثورة ناجحة (بدأت عام ١٦٧ قبل الميلاد) وتمكنوا من انتزاع استقلالهم عن الحكم السلوقي في سنة ١٤٢ أو ١٤١ قبل الميلاد. وتمكن قادة هذه الثورة اليهودية، الذين كانوا ينتمون إلى أسرة الحشمونيين من الكهنة، أن يسيطروا على أورشليم الفلسطينية. وكان يهود العالم قد اعتادوا على النظر إلى هيكل أورشليم هذه على أنه قدسهم الرئيسي، على ما يبدو. وفي أعقاب سلسلة من الانتصارات العسكرية تمكن الحشمونيون أيضاً من توسيع رقعة الأراضي اليهودية في فلسطين

بحيث أصبحت لا تضم كامل أرض فلسطين فحسب، بل أيضاً الأجزاء الجنوبية من الجليل شمالاً، وكذلك المرتفعات شرق نهر الأردن والبحر الميت.

واعتبر الحشمونيون أنفسهم، في أيامهم، الورثة الشرعيين لاسرائيل القديمة، واستمرت مملكتهم حتى مجيء الرومان، وانتهت في سنة ٦٣ قبل الميلاد. وفي سنة ٣٧ قبل الميلاد، أعاد مجلس الشيوخ الروماني تنظيم أراضيهم السابقة جاعلاً منها مملكة «اليهودية» التابعة لروما، ونصّب عليها هيرودس الأدومي (توفي سنة ٤ قبل الميلاد) ملكاً. وقام هيرودس هذا بترميم هيكل أورشليم الفلسطينية، الذي أعيد تدميره فيما بعد عندما أخرب الرومان المدينة وشتتوا سكانها وسكان جوارها من اليهود في سنة ٧٠ بعد الميلاد. وبعد ذلك بزمن غير طويل، أعاد الرومان في عهد الامبراطور هادريان بناء المدينة وسمّوها «آيليا كابيتولينا»، تيمناً في الظاهر بأحد أسمائه (آيليوس)، واستناداً في الواقع، على الأرجح، الى صيغة «ساميّة» للاسم «آيليا» الذي كان في الأصل يطلق على موقع المدينة قبل أن تصبح معروفة باسم أورشليم، نسبة إلى أورشليم غرب شبه الجزيرة العربية. وربما كان الأصل السامي لكلمة «آيليا» اسماً يعني «الحصن» (بالعبرية عيل، أي «القوة» أو «المنعة»). ومن المؤكد أن قدماء العرب لم يعرفوا المدينة باسم أورشليم، بل باسم «إيليا» (ء يلي ء)، وذلك قبل أن يطلقوا عليها اسم «بيت المقدس»، أو «البيت المقدس»، أو «القدس» فحسب.

وبغض النظر عما كانه الأسم الأصلي لأورشليم الفلسطينية في الحقيقة، فمن المؤكد أنه قد تم الاعتراف بها كأورشليم داود وسليمان الأصلية في أيام الحشمونيين، إن لم يكن في وقت أبكر. وفي ذلك الوقت كان قد تمَّ أيضاً اعتبار فلسطين بأنها هي الأرض الأصلية لشعب إسرائيل البائد وللتوراة العبرية. وفي تلك الأيام، كان كل المسرح الجغرافي

للروايات التاريخية للتوراة قد أصبح يفهم على أنه يضم بشكل رئيسي بلاد الشرق الأدنى الشمالية (العراق والشام ومصر) وليس غرب شبه الجزيرة العربية[٢٤]. وهذا واضح مما يسمى بالـ «سبتواجينت»، أو «السبعونية»، وهي ترجمة يونانية للكتب المقدسة اليهودية تمت في العصر الهلينيني ومطلع العصر الروماني، حيث ترد الأسماء الطوبوغرافية لغرب شبه الجزيرة العربية، مثل **كسديم** و**نهريم** و**فرت** و**مصريم** على أنها على التوالي: «كلدانيون» و«ما بين النهرين» و«الفرات» و«مصر»[٢٥]. وكذلك، فإنه واضح من إحدى وثائق البحر الميت اللفيفة التي تحتوي على معالجة آرامية لنص توراتي (سفر التكوين ١٤)، حيث تعرّف هذه الوثيقة عدداً من أسماء الأمكنة التوراتية بأمكنة معروفة في الأجزاء الشمالية من الشرق الأدنى. وهناك عرض نقدي موجز للمحتوى الطوبوغرافي لهذه الوثيقة اللفيفة في دليل جغرافيا التوراة لأميل كريلينغ:

Emil G. Kraeling, **Rand McNally Bible Atlas** (New York), 1962, pp. 66-68.

---

(٢٤) من الممكن أنه كانت هنالك مملكة عربية كانت يهودية في أيام الحشمونيين، هي مملكة حِمْيَر في اليمن، التي ازدهرت بين عام ١١٥ قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي. وآخر اثنين من ملوك حمير عرفا بكونهما يهوديين متعصبين، وقد بقيت يهوديتهما حتى الآن بلا تفسير مقنع. وكان المؤرّخ اليهودي يوسيفوس (انظر ما يلي) مدركاً لوجود يهودي قديم في شبه الجزيرة العربية، ولكنه لم يعط أية تفاصيل عنه. وربما كان الحشمونيون قد اختاروا تشجيع اعادة تأويل الجغرافيا التوراتية فلسطينياً بدلاً من تأويلها حسب جغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية بهدف الترويج لشرعية يهوديتهم، مفترضين أنها قد تواجه تحدياً يطلقه في وجهها ملوك حمير اليهود في شبه الجزيرة العربية. وهذه الامكانية تستحق التدقيق فيها بالتأكيد. ونحن نطرحها هنا، بكل الحذر اللازم، كفرضية.

(٢٥) بالنسبة لـ **نهريم** و**فرت** انظر أعلاه الهامشين ٤ و١٢. وأما بالنسبة لـ **كسديم** فانظر الفصل ١٣. وفي حين أن **مصريم** التوراتية تشير أحياناً الى مصر، فانها في أحيان أكثر تشير إلى بلدة أو ناحية في غرب شبه الجزيرة العربية، في أرض عسير الداخلية. انظر الفصول ٤ و١٣ و١٤.

* سميت «السبعونية» لأنه يقال إنه قد قام بكتابتها ٧٢ عالماً يهودياً في ٧٢ يوماً ـ المترجم.

ولعل النجاح السياسي الذي أحرزه اليهود في فلسطين، والذي استمر لأكثر من مئتي سنة، كان هو السبب الأساسي في إزالة ذكرى غرب شبه الجزيرة العربية باعتباره الموطن الأصلي لاسرائيل. وعندما كتب فلافيوس يوسيفوس «أيام اليهود القديمة» (وهم أهل دينه) بعد السنة ٧٠ ميلادية بوقت قصير، اعتبر ان من المسلم به كون موطنهم التاريخي كان فلسطين دوماً. ولم يبتعد أحد منذ ذلك اليوم عن هذا الافتراض، وهو افتراض يبدو في الظاهر جديراً بالتصديق. وعلى مدى قرون، كانت مسارات الحج اليهودي والمسيحي تقتفي آثار تطواف الآباء الأوائل وأبنائهم الاسرائيليين عبر الأراضي الشمالية للشرق الأدنى، بين الفرات والنيل، متعرفة الى المواقع التوراتية الأساسية بقرية أو آبدة فلسطينية أو أخرى. ثم جاء علم الآثار التوراتي في القرن الأخير فاعتمد على المقدمات نفسها، وتابع الباحثون بحثهم في التاريخ التوراتي (كأمر مميز عن التاريخ اليهودي) في فلسطين حتى يومنا هذا.

واستعراض الدراسات والأبحاث الضخمة التي أنتجها علماء الآثار والباحثون التوراتيون خلال السنوات المئة الأخيرة يُلفت النظر إلى أمر في غاية الغرابة، وهو أمر حريّ بالمتابعة. ففي حين أن تاريخية عدد من الروايات التوراتية بقيت عرضة للنقاش الحاد، فإن جغرافية هذه الروايات استمرت معتبرة من المسلّمات. والحقيقة الساطعة هي أن الأراضي الشمالية للشرق الأدنى قد مسحت وحفرت من قبل أجيال متوالية من علماء الآثار، من أقصاها إلى أقصاها، وأن بقايا العديد من الحضارات المنسية قد نبشت من تحت الأرض ودُرست وأُرِّخت، في حين انه لم يعثر في أي مكان كان على أثر واحد يمكنه أن يصنف جدياً على أنه يتعلّق مباشرة إلى أي حدّ بالتاريخ التوراتي[٢٦]. وأكثر من ذلك، فإن

(٢٦) إن العمل الذي قام ويقوم به علماء الآثار التوراتيين في فلسطين لم يرق للكثيرين من النقّاد. وفي العام ١٩٦٥ كتب أحدهم، وهو فريدريك وينت، ملاحظاً أن «أسس =

التوراة العبرية تذكر الآلاف من أسماء الأمكنة، وليس بين الأسماء هذه أكثر من قلة قليلة تماثلت لغوياً مع أسماء أمكنة في فلسطين، مع العلم أن أسماء الأمكنة هناك، مثلها مثل أسماء الأمكنة في كل أنحاء الشام، هي في معظمها أسماء عريقة جدّاً في القدم، وهي في معظمها كنعانية وآرامية في بنيتها، وليست عربية. وحتى في الحالات القليلة التي تحمل فيها مواقع فلسطينية أسماء توراتية، فإن الاحداثيات المعطاة في النصوص التوراتية للأماكن التي تحمل هذه الأسماء، في إطار الموقع أو المسافة المطلقة أو النسبية، لا تنطبق على المواقع الفلسطينية. وفي حالة بارزة (هي حالة بئر السبع الفلسطينية، انظر الفصل ٤)، فإن بلدة يظهر اسمها ببروز في الروايات الآبائية لسفر التكوين، وبالتالي يفترض أن تعود أصولها إلى أواخر العصر البرونزي على الأقل، لم يعثر فيها إلا على مواد أثرية تعود بتاريخها إلى المرحلة الرومانية على أبعد حد. وقد اضطر علماء الآثار في السنين الأخيرة الى التنقيب على بعد خمسة كيلومترات تقريباً عن بئر السبع للعثور على مواد أثرية يعود عهدها إلى زمن التوراة، دون أن يعثروا على أي برهان قاطع بأن لهذه المواد أقلّ علاقة بالتوراة أو بتاريخ بني اسرائيل.

ومع أنه قد جرى التحقيق في كامل ميدان التاريخ القديم للشرق الأدنى بعمق، وبالعلاقة مع دراسة التوراة العبرية، فإن هذا التاريخ، في الموقع الذي هو فيه حالياً، ما زال مليئاً بألغاز عدم اليقين، مثله مثل «علم التوراة» الحديث. وسجلات مصر والعراق القديمة، التي قرئت على ضوء النصوص التوراتية، والتي أُخذت تلميحاتها الطوبوغرافية تقليدياً على أنها تتعلق بفلسطين والشام ومصر والعراق، أُجبرت على

= بعض المباني التي أقامها باحثو التوراة في السنوات الأخيرة... هي في وضع سيء وبحاجة إلى اصلاحات كثيرة». انظر:

Journal of Biblical Literature, 84, 1965, pp. 1 - 19.

ووجهة نظر البروفسور وينت يتبناها باحثون توراتيون بارزون آخرون، مثل ماكسويل ميلر و هـ. ج. فرانكن.

إعطاء مؤشرات جغرافية أو تاريخية تتوافق مع الأحكام المسبقة لدى الباحثين التوراتيين. والأمر نفسه ينطبق على تفسير السجلات القديمة (مثل وثائق «ايبلا» في شمال سورية) التي يتابع علماء الآثار العثور عليها في أراضي الشرق الأدنى. وشعوب الشرق الأدنى القديم، مثل الفلستيين والكنعانيين والآراميين والأموريين والهوريتيين، ناهيك عن «الحثيين» التوراتيين (وهم غير الشعب التاريخي لشمال الشام الذي يحمل الاسم نفسه)، خُصَّت جغرافياً بمناطق ليس هنالك أي دليل على أنها كانت تنتمي إليها. وبعض هذه الشعوب ـ ومعظمها غير معروف بالاسم إلاَّ من النصوص التوراتية ـ يفترض أنها كانت تتكلم لغات ربما لم تكن قد تكلمتها أبداً، أو أنها لم تتكلم لغات قد تكلمتها فعلاً. وعلى سبيل المثال، فإن الباحثين المحدثين يقولون بأن الفلستيّين التوراتيين كانوا شعباً بحرياً غامضاً «غير سامي»، مما يتركهم في ضياع حول كيفية تفسير الأسماء السامية (العبرية في الواقع) التي تمنحها النصوص التوراتية ليس لزعمائهم فقط بل أيضاً لإلههم «داجون» (بالعبرية دجن، أي «حنطة»).

هناك أمران مؤكدان: لقد تم البحث بدقة ودأب، ولأكثر من قرن، عن آثار لأصول للعبريين في بلاد العراق، وعن هجرتهم المفترضة من هناك الى فلسطين عبر شمال الشام، دون العثور على شيء إطلاقاً وكذلك، فإنه لم يكتشف حتى الآن أي أثر حقيقي غير قابل للنقاش حول الأسر الاسرائيلي في مصر، أو حول الخروج الاسرائيلي من هناك في أي من العصور القديمة[٢٧]، وهذا من دون الإشارة إلى حقيقة أن الباحثين

(٢٧) «جاسان» (جشن) و«فيتوم» (فتم) و«رعمسيس» (رعمسس) الوارد ذكرهم في سفر التكوين وفي سفر الخروج بالعلاقة مع اقامة الاسرائيليين في أرض مصريم لم يحدد لهم، بشكل مرضٍ، أي مكان في مصر. انظر هذه المواد في:

J. Simons, **The Geographical and Topographical Texts of The Old Testament** (Leiden, 1959)

حيث هنالك محاولة لأمثال هذه التحديدات. وهنـاك احتمالان لـ «جاسان» (غشان، =

التوراتيين ما زالوا يتجادلون في طريقة هجرة الخروج الاسرائيلي من مصر الى فلسطين عبر سيناء، والتي لم تحدد بعد بشكل مرضٍ (وكمثال على ذلك، انظر الملاحظات حول جبل حوريب في الفصل الثاني).

في الدراسة الراهنة، ستقلب الأمور رأساً على عقب. وبدلاً من أخذ جغرافيا التوراة العبرية كمسلّمة ومناقشة صحتها كتاريخ، سآخذ تاريخيتها كمسلّمة وأناقش جغرافيتها. وبين شعوب الشرق الأدنى القديم، يبدو أن بني إسرائيل كانوا وحدهم المالكين لإحساس مرهف بالتاريخ، أو هم، على الأقل، الوحيدون الذين فهموا أنفسهم تاريخياً وعبروا عن ذلك بطريقة واضحة منسجمة مكتملة. وتقدم كتبهم المقدسة رسماً ذاتياً حياً ومفصلاً، وهو رسم فريد من نوعه بالنسبة إلى عصره. وصحيح أن روايات سفر التكوين هي روايات أسطورية لما قبل التاريخ وليس روايات تاريخية، باعتبار أنها ليست سجلاً لما كان الاسرائيليون في الأصل بقدر ما هي سجل لما اعتقدوا أنهم كانوه. وعلى ذلك، فليس هناك أي تبرير للشك بأن أسلاف الإسرائيليين من العبرانيين كانوا ذات يوم قوماً قبلياً وقع في الأسر وأجبر على العمل في السخرة في مكان يسمى مصريم، لم يكن بالضرورة مصر، وأنهم خرجوا من هناك في هجرة جماعية برعاية قائد يسمى موسى نظمهم في مجتمع ديني وأعطاهم شريعتهم، وأنهم عبروا نقطة معينة تسمى هـ ـ يردن (ليست بالضرورة نهر الأردن) برعاية قائد آخر يدعى يشوع ليستقروا في أرض كانت لهم عليها أخيراً السيطرة السياسية، وأنهم عاشوا هناك لزمن في

= غثن وقشانين، قشنن. وهي جمع قشن)، واحتمال لـ «فيتوم» (آل، فطَيْمة، «ل فطم)، واحتمال لـ «رعمسيس» (مصاص، مصص) ما زال يمكن العثور عليها في أراضي عسير الداخلية حيث يكثر وجود اسم «مصر» (على شكل «مصر» او «المصرمة» او «آل مصري»، إلخ). والبداية رع في رعمسس ربما كانت اسم كبير آلهة مصر. والصيغة المصوّتة راع أو راعي تظهر كبداية لعدد من أسماء الأمكنة في غرب شبه الجزيرة العربية، في المناطق التي استعمرها المصريون القدماء لفترات طويلة على ما يبدو.

ظل اتحاد قبلي فضفاض تحت قيادة زعماء يسمون «القضاة» مشتبكين في حروب دائمة مع قبائل وشعوب أخرى عاشوا بين ظهرانيها، وأنهم أخيراً وصلوا إلى تنظيم أنفسهم سياسياً كمملكـة تحت راية شاول، وأن هذه المملكة توسعت ومُنحت تنظيماً بدائياً على يد داود، الذي كان مقاتلاً فذاً وشاعراً موهوباً في آن، فوصلت أوجها في أيام سليمان، ابن داود، الذي كان في تألقه في الثراء والقوة والحكمة نموذجاً للمستبد المستنير. وليس هناك في الواقع من يبدي أي شك في أن التاريخ الإسرائيلي تابع مساره، بعد موت سليمان، كما ذكرت التوراة العبرية أنه فعل. ولكن افتراض أن كل هذا التاريخ حصل في فلسطين، ودراسة النصوص التوراتية على هذا الأساس، سيؤدي إلى الإبقاء على بحر من الأسئلة بلا جواب، إلى جانب أسئلة أخرى لا حدّ لها ينطلق بعضها من بعض نتيجة للالتباس الناجم عن الأولى. وإذا نقلت جغرافيا التوراة من فلسطين إلى غرب شبه الجزيرة العربية لا تبقى هنالك أية صعوبة. والعودة إلى قراءة السجلات المصرية والشامية وسجلات العراق القديمة على ضوء هذا التـوافق الجغرافي الجـديد للتـاريخ التـوراتي تجعـل كـل شيء يعـود إلى نصابه، وتصبح الصورة التاريخية العامة للتوراة العبرية، التي هي الوحيدة التي تروي القصّة الكاملة لأحد شعوب الشرق الأدنى القديم[٢٨]، مفتاح اللغز لكل الأحاجي الغامضة لتاريـخ الشرق الأدنى القديم، بدلاً من أن تكون هي نفسها الأحجية، وهي بعيدة كل البعد عن كونها ذلك.

---

(٢٨) خلافاً للتوراة العبرية، التي تروي القصة الكاملة لقدامى الاسرائيليـين منذ بـداياتها الاسطورية وحتى القـرن الخامس قبـل الميلاد، فـان السجلات التـاريخية الأخـرى التي وصلت الينا من مختلف أنحاء الشرق الأدنى القديم تروي فقط قطعاً وأجزاء من التاريخ (مثل أسماء الملوك، وروايات عن حملات عسكرية معينـة، ومعاهـدات سلام، وما شابه ذلك). وهي لا تروي في أية حالة القصة الكاملة لشعب معين أو دولة معينة أو امبراطورية معينة.

إن موضوع هذا الفصل - المدخل بأسره يعتمد على الافتراض بأن الموطن التاريخي للشعب الاسرائيلي المنقرض، ومكان ولادة اليهودية كدين، كان غرب شبه الجزيرة العربية، وليس فلسطين. وفي هذا الكتاب هناك تحليل اسمي لنماذج من النص التوراتي لإثبات صحة هذا الافتراض، وهي حقيقة يؤمل بأن تجد لها، ذات يوم، تجسيداً أبعد من خلال الاكتشافات الأثرية في المواقع المشار اليها. ومثالياً، يجب القيام بتحليل نص التوراة العبرية بكامله، ولكن هذا يتطلب عملاً قد يستغرق أكثر من حياة بكاملها. وخشية أن يؤدي ما يريد هذا الكتاب قوله إلى أي التباس، قد يكون من المفيد تكرار الإشارة ثانية إلى الحقيقة التالية: إن كون التوراة العبرية تروي تاريخ بني اسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية لا يعني بالضرورة أنه لم يكن لليهودية من وجود في فلسطين في الأزمنة التوراتية. جل ما في الأمر هو أن التوراة العبرية التي كتبت في غرب شبه الجزيرة العربية لم تهتم أساساً إلّا بشؤون اليهود من بني إسرائيل في تلك المنطقة، ولم تأت على ذكر اليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر وجدوا فيه.

وكما أشير سابقاً، فلعلّ هناك تلميحات توراتية خفية تتعلق بنمو مجتمع يهودي قوي في فلسطين، ربما كانت بدايته في القرن العاشر قبل الميلاد، وذلك من خلال الاشارات التوراتية الى «بنت أورشليم» و«بنت صهيون». وهناك أيضاً دلائل وثائقية من خارج التوراة تشير إلى وجود لليهود في أراضٍ أخرى من الشرق الأدنى - ومنها صعيد مصر[٢٩] - منذ

(٢٩) انظر ترجمات أوراق البردى الآرامية العائدة إلى القرن الخامس قبل الميلاد، والمتعلقة بالمجتمع اليهودي في «الفيلية» Elephantine (التي تبدو مستوطنة عسكرية من المرحلة الأخمينية في صعيد مصر)، في مؤلف بريتشارد، الصفحات ٤٩١ - ٤٩٢ و٥٤٨ - ٥٤٩. وبعض أوراق البردى هذه يلمح الى وجود يهودي قديم هناك ناطق باللغة الآرامية. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن هذه الأوراق تتحدث عن يهود وليس عن إسرائيليين. وفي ذلك ما يؤكّد الفرق بين اليهود كمجموعة دينية، وبني إسرائيل كشعب يهودي قديم زال من الوجود مع نهاية عهد التوراة.

وقت مبكر. وفي حين أن أسفار التوراة العبرية تتحدث ببعض التفصيل عن اليهود خارج غرب شبه الجزيرة العربية، فإنها لا تفعل ذلك إلا فيما يتعلق بالأسر البابلي لبني إسرائيل. وتبقى إعادة رسم صورة التاريخ اليهودي المبكر في فلسطين غير ممكنة من خلال هذه النصوص، ولا حتى من خلال أية سجلات أخرى متوفرة حتى الآن.

٢ـ مسألة نهج

كل معرفة صحيحة تتضمن قدراً من نبذ المتداول. ومثل هذا النبذ هو الجوهر في مجال الدراسات التوراتية. والموضوع هنا هو التوراة العبرية، وهي مجموعة من نصوص تاريخية وأدبية ودينية بالغة القدم كتبت أصلاً بأحرف أبجدية خالية من الحركات والضوابط. ولأن لغة هذه النصوص خرجت عن إطار الاستعمال العام منذ زمن يعود إلى ما بعد القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد، فإنه لا يمكن لأحد أن يعرف كيف كانت هذه اللغة تلفظ وتصوّت في الأصل لدى الشعب أو الشعوب القديمة التي تكلمتها، وهذا بغض النظر عن مسائل أخرى كثيرة تتعلّق بالتهجئة والصرف والنحو والاصطلاح. ومفردات هذه اللغة، الى حد ما يعرف منها، محددة بالكلمات الواردة في النصوص التوراتية[١]، وفي بعض الحالات بندرة من الاستعمال تجعل معناها أمرا قابلاً للمناقشة[٢]. ولقراءة التوراة العبرية وفهمها يتوجّب على الباحث إما أن

(١) إن الأدب اليهودي باللغة العبرية المتأخرة ذات المفردات غير التوراتية يشمل، من ناحية، معالجات للمفردات التوراتية، ومن ناحية أخرى، استعارات من اللغة الآرامية ومن لغات أخرى. وعلى كل حال، فان اللغة العبرية المتأخرة كانت دوماً لغة تعليمية، وليست لغة كلام متداول، حتى قامت الحركة الصهيونية في العصر الحديث وبعثت اعتماد العبرية كلغة محكية بشكل مصطنع لجمع شمل يهود العالم.

(٢) وعلى سبيل المثال، فان كلمة **شلج** التي تظهر ما لا يقل عن ثماني عشرة مرة في النصوص التوراتية المختلفة، تؤخذ عادة على أنها تعني «ثلج»، إلا في أيوب ٩: ٣٠ حيث اعتبرها =

يتبع تقليد العبرية المتأخرة، أو أن يسعى إلى الإرشاد عبر اللغات الساميّة التي ما زالت حية مثل العربية والسريانية، وهذه الأخيرة عبارة عن صيغة ما زالت قيد الوجود من الآرامية القديمة. وعلى العموم، فإن من الأضمن للباحث في التوراة أن يعتبر لغتها العبرية لغة مجهولة عملياً يجب تفكيك رموزها من جديد بدلاً من معاملتها كلغة مكشوفة الأسرار فيما عدا بعض الغوامض.

وبفضل الأمانة العلمية الدقيقة التي تحلّى بها المسُوريِّين ، وهم العلماء اليهود التقليديون القدماء الذين ضبطوا النصوص التوراتية بالإشارات الصوتية، فإن النص المكتوب بالأحرف الساكنة للتوراة العبرية وصل إلينا من القدم دون أن يمس تقريباً. ونادراً ما أبدى الباحثون المحدثون تقديرهم لهذه الحقيقة. وحيث أخفق هؤلاء الباحثون المحدثون في تحليل بعض المقاطع التوراتية كما هي واردة في الأصل، نظراً لأحكامهم المسبقة المتعلقة بالنص، كثيراً ما افترضوا في النص فساداً غير موجود في الواقع، مثلهم مثل العامل الفاشل الذي يلقي باللوم على الأدوات. ومن الأكيد أن بعض كتب التوراة العبرية هي عبارة عن جمع معاد التحرير لنصوص أكثر قدماً. ومع ذلك، فلا بدّ أن الأسفار التوراتية عموماً، كما هي موجودة بين أيدينا، قد أخذ معظمها شكله الحالي قبل النهاية التاريخية لبني اسرائيل، أي في حدود القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد على الأقل. والدليل على ذلك هو أن التوراة العبرية كانت قد ترجمت فعلاً بكامل أسفارها إلى اللغة الآرامية (الترجومات)

= البعض تشير الى مادة للتنظيف أو التبييض، ربما كانت الأشنان أو «شرش الحلاوة». وهذا المعنى الأخير ربما كان مسنوداً الى **شلج** في فقرات توراتية أخرى، مثل تلك الفقرة الشهيرة في المزامير ٥١: ٧. وهنا، قد تكون الفقرة «طهرني بالزوفا فأطهر، أغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج (تكسبني و - م - **شلج** «لبين)» أكثر صحة بالصيغة التالية: «تطهرني بالزوفا فاصبح نظيفاً، تغسلني بالأشنان فأصبح أبيض». ومن الواضح ان ما تشير اليه هذه الجملة هو مادتان من مواد التنظيف، وهما الزوفا المطهرة وجذور الأشنان المنظفة. وحول اشنان شبه الجزيرة العربية انظر ما يلي في هذا الفصل.

خلال المرحلة الأخمينية، وإلى اليونانية (السبتواجينت، أو «السبعونيـة») وقد بُدىء بهـا في المرحلة الهيلينيـة[٣]. إن إضافـة الأحرف الصـوتية إلى العبـرية التـوراتية، بـاستعمال إشـارات صوتيـة خاصـة، هـو مـا فعله المسُّوريـون الفلسطينيون والبابليون بـين القرنـين السادس والتـاسع أو العاشر من العصر المسيحي، وكانت اللغة العبرية في حينه قد غابت عن الاستعمال العام منذ ألف سنة أو أكثر. وقد فعل المسُّوريُّـون، سواء كانوا من الناطقين بالآرامية أم بالعربية، أفضل مـا في نطاق معـرفتهم. ونتيجة لإجلالهم للتوراة ككتاب مقدس، كانت عنـايتهم فائقـة في منع العبث بها، فحافظوا على النص المكتوب بالأحرف الساكنة كما ورد، حتى حيث كانت فقرة ما لا تستقيم لهم كلياً في معناها. وقد لوحظت أخطاء التهجئة أو الصرف والنحو حيث وجدت أو بـدا أنها وجدت، ولكن لم تكن هنالك في الظاهر أية محاولة أو اجتهاد لإدخال التصحيح على النص الأصلي. ولو كان الباحثون المحدثون في التوراة بمثل عناية المسُّوريِّـين واحتراسهم لما كان علم التوراة الحـديث على مـا هو عليـه من تشويش اليوم، ولما تطلبت عملية المعرفة الصحيحة في هذا الحقل كل هذا القدر من نبذ المتداول.

ومـا من دين إلّا ويعتني الأتقياء والمؤمنـون من أتباعـه أشدّ العنـاية بحفظ نصـوصه المقـدسة في صيغتهـا الأصليـة، ولـذلـك تستمـر هـذه النصوص في الوجود دون أي تغيير فيها عبر الأجيال. والشيء نفسه يمكن قوله عن أسماء الأمكنة عموماً، إذ أن هذه الأسماء تنتقل بدورها من جيل إلى جيل بالتـوارث التقليدي، ولا تشهـد تغييراً، عـلى الأقل في بنيتهـا

(٣) وثائق البحر الميت اللفيفة التي جذبت الكثير من الاهتمام في العقود الأخيرة، ومعظمها مكتوب بالآرامية وليس بالعبرية، هي أحدث بكثير من هذه الترجمات. وقد تكون لهذه الوثائق فائدتها في دراسة اليهودية الفلسطينية في أيام الرومان، ولكنها لا تقدم في الواقع المفتاح الذي يحل ألغاز وغوامض التوراة العبرية. وليس لهذه الوثائق أية قيمة بالعلاقة مع غرض هذه الدراسة.

الأساسية، مهما مر عليها من زمن. وحتى عندما يتم تغيير هذه الأسماء في بعض الأحيان عن قصد، فإن الأسماء القديمة تبقى، في معظم الحالات، في الذاكرة الشعبية، وغالباً ما تكون هي الثابتة في النهاية. فمدينة بعلبك، مثلاً، بقي اسمها الأصلي «بعلبك» بعد أن أطلق عليها الإغريق والرومان اسم «هيليوبوليس» مدة طويلة، وبيروت بقي اسمها بيروت بعد أن أسماها الإغريق «اللاذقية» والرومان «يوليا أوغوستا فيليكس». والأمثلة على ذلك كثيرة.

ودراسة أسماء الأماكن تخدم بطريقتها الخاصة الغرض نفسه الذي يخدمه علم الآثار الميداني، مع فارق واحد هام، هو أن الاكتشافات الأثرية هي اكتشافات خرساء، ما لم تتضمن كتابات منقوشة، في حين أن أسماء الأماكن ناطقة، لا تخبرنا بما هي فحسب، بل تخبرنا أيضاً بكيفية نطقها الفعلي، وبمعناها، وباللغة أو نوع اللغة التي انبثقت عنها. وفي غياب الكتابات المنقوشة تبقى الاكتشافات الأثرية صعبة التفسير، وإلى درجة تجعل الجدل بين علماء الآثار حول المغزى التاريخي لاكتشافات معينة كثيراً ما يتدنى إلى مستوى الضغائن الشخصية. وفي حين أن أسماء الأماكن لا تقدم معلومات بحجم ما تقدمه الاكتشافات الأثرية، فإن للمعلومات التي تقدمها هذه الأسماء، على الأقل، فضيلة اليقين المطلق أو النسبي. وعلى سبيل المثال، إذا وجد الباحث مجموعة من أسماء الأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية تتحدر بوضوح من لغة مطابقة بأحرفها الساكنة للعبرية التوراتية أو للآرامية التوراتية، أمكنه أن يستنتج بلا تردد أن لغات مطابقة أو مماثلة للعبرية أو الآرامية التوراتية كانت تستخدم في القدم للكلام في غرب شبه الجزيرة العربية، وذلك قبل ألفي سنة، أي قبل أن أصبحت اللغة العربية هي لغة الكلام السائدة هناك. وإذا أمكن البرهان، أكثر من ذلك، بأن لعدد كبير من أسماء الأماكن التوراتية، مهما كانت أصولها اللغوية، مثائلها الحية في غرب شبه الجزيرة العربية، في حين أن للقليل منها مثائل في فلسطين، فإن من المعقول طرح

السؤال التالي: هل التوراة العبرية سجل لأحداث تاريخية جرت في غرب شبه الجزيرة العربية وليس في فلسطين؟

في هذا الكتاب، هناك مقارنة للأسماء الساميّة القديمة للأماكن التي توردها التوراة بالتهجئة العبرية، مع أسماء أماكن ما زالت موجودة في عسير وفي جنوب الحجاز، وهي أسماء توردها المعاجم الجغرافية الحديثة للعربية السعودية بالتهجئة العربية. وهناك فترة تقرب من ٣٠٠٠ سنة تفصل الصيغ التوراتية لهذه الأسماء عن مثائلها الراهنة. وفي إطار التغيرات اللغوية التاريخية تبدو هذه الفترة الزمنية طويلة جداً، ولا بد أنها استوعبت أكثر من تغير لغوي واحد جرى في بلاد الشرق الأدنى، ناهيك عن التحولات الطارئة على اللهجات المحكية في كل مرحلة. لهذا، فلا عجب أن الأسماء التوراتية شهدت بعض التحريف خلال ذلك، بل إن المدهش فعلاً هو أن هذه الأسماء بقيت، في أكثرها، قابلة للتمييز الفوري في زيها العربي الراهن.

ومن الطبيعي أن تكون أسماء الأماكن التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية قد شهدت بعض التغير في إطاري علم الأصوات الكلامية وعلم التشكل الكلامي بعد مرور حوالى ثلاثة آلاف سنة. وفي مطلع هذا الكتاب، هناك «ملاحظات لغوية» يلفت إليها نظر القارىء، وهي تشير إلى كيف يمكن لأحرف ساكنة في العبرية أن تصبح مختلفة في العربية، والعكس بالعكس. والملاحظة نفسها توجه الانتباه إلى تردد حالات الاستبدال (أي تبدل أماكن الأحرف الساكنة داخل كلمات معينة) بين اللغتين الساميّتين وحتى بين اللهجات المختلفة من اللغة الواحدة (مثل كلمة «زوج» التي كثيراً ما تلفظ بالعامية «جوز»). وبالإضافة إلى التغيرات الناجمة عن التحولات في اللغة واللهجة، يجب على الباحث أن يأخذ في اعتباره التحريف الناجم عن التقديم الكتابي لأسماء الأماكن موضوع البحث، في العبرية التوراتية كما في العربية الحديثة. وما من لغة

مكتوبة تمتلك الوسائل (الأبجدية أو غيرها) التي تمكّنها أن تفعل اكثر من التقرب من لفظ الكلام الفعلي. وهذا ما يجعل علماء اللغات يلجأون إلى استخدام هذا القدر الكبير من الإشارات غير الأبجدية في أعمالهم، مع معرفتهم التامة بأن حتى هذه الإشارات المعقّدة تبقى أقل من أن تمثل الأصوات الحقيقية.

ولا يمكن معرفة الكيفية التي كانت تلفظ بها أسماء الأماكن المأخوذة في الاعتبار في الأزمنة التوراتية. والتحديد الدقيق لكيفية لفظها الآن يتطلب بحثاً ميدانياً مكثفاً. هناك قرية في عسير، مثلاً، تذكرها المعاجم الحديثة على انها «المصرمة»، والبحث الميداني يثبت أن اسمها بالفعل «المصرامة». والأمثلة على ذلك كثيرة. وإذا أراد الباحث أن يقارن بين الصيغتين المكتوبتين لهذه الأسماء، بالعبرية التوراتية وبالعربية الحديثة، فعليه أن يأخذ في الاعتبار طبيعة الأبجدية الساميّة. هذه الأبجدية كانت تقتصر في الأصل على ٢٢ حرفاً ساكناً (بما فيها الوقفة الحنجرية، أي الهمزة، التي تعتبر في اللغات الساميّة حرفاً ساكناً، والحرفان شبه الصوتيين، الواو والياء)، لكن النطق بهذه اللغات كان يعتمد حروفاً أكثر من هذه الحروف منذ البداية. وفي العبرية المتأخرة أضيف حرف ساكن جديد إلى الأبجدية الأصلية بتنقيط الحرف المسمى سين، فصار يمكن تصويته كسين أو كشين. وهكذا أصبح الحرف (שׂ) يقوم مقام السين والحرف (שׁ) يقوم مقام الشين. والعربية، التي استعارت كتابتها من شقيقاتها الساميّات، استخدمت هي أيضاً أبجدية هذه الشقيقات ذات الأحرف الـ ٢٢ الأصلية في البداية. ومع مرور الزمن، أدخلت عليها لا أقلّ من ستة أحرف جديدة، أيضاً بإضافة النقاط الى ستة أحرف كانت موجودة في الأصل. وبهذا فإن حرف ت الذي لم يكن منقوطاً في الأصل تلَقى نقطتين، وتلقى أيضاً نقطة ثالثة إضافية ليصبح ث، والحرف ح تلقى نقطة ليصبح خ، والحرف د تلقى نقطة ليصبح ذ، والحرف ص تلقى نقطة ليصبح ض، والحرف ط تلقى نقطة ليصبح ظ، والحرف ع

تلقى نقطة ليصبح غ (انظر ما ورد بهذا الشأن في «الملاحظات اللغوية» في بداية الكتاب). وفي جميع هذه الحالات الست، مثلت الأحرف الجديدة المدخلة أحرفاً ساكنة متعلقة صوتياً بتلك الممثلة في الأحرف القديمة المتلقية للنقاط المضافة.

كانت هناك بالعربية في البداية، إذن، ستة أحرف ساكنة ينطق بها ولا تكتب بأحرف أبجدية مستقلّة. هذه الأحرف الساكنة كان يرمز إليها في الكتابة بأحرف أبجدية تخصّ أحرف ساكنة أخرى متعلّقة بها صوتياً. ولا بدّ أن الناطقين بالعربية كانوا يعون العلاقة بين أحرف النطق وأحرف الكتابة هذه عن طريق الحدس. ولا شك أن الأمر نفسه كان ينطبق على العبرية في زمانها حيث عرفت لغة النطق، بلهجاتها المختلفة، عدّة أحرف ساكنة لم تكتب بأحرف مستقلة. وعلى سبيل المثال، فإنه ليس هنالك من سبب للافتراض بأن متكلمي العبرية القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية أو في أي مكان آخر لم يلفظوا حرف الحاء وكذلك الحرف الآخر المرتبط به صوتياً، وهو الخاء، بينما كانوا يمثلون الحرفين الساكنين كليهما بحرف الحاء في الكتابة. وفي التصويت المتأخر للعبرية التوراتية (الذي يعكس تأثير الآرامية) يلفظ حرف الباء على أنه ب وعلى أنه ڤ، وحرف الجيم على انه ج وعلى أنه غ، وحرف الكاف على أنه ك وعلى أنه خ، وحرف الفاء على أنه پ وعلى انه ف، وحرف التاء على أنه ت وعلى أنه ث. ولا يستبعد إطلاقاً أن يكون المتكلّمون بالعبرية في القدم قد تلفظوا (على الأقل في بعض اللهجات) بأحرف ساكنة لم يكتبوها، مثل الذال والضاد والظاء. وهناك مسألة تتعلّق بالعبرية ما زالت بلا حلّ، حيث هناك حرفان في الأبجدية العبرية مقابلان للسين بالعربية، أحدهما الحرف المدعو سين، والثاني الحرف المدعو **سامك**. ولا نعرف اليوم كيف كان الناطقون بالعبرية يفرّقون في اللفظ بين الحرفين. ولعل الحرف **سامك** كان يتمثّل بلفظ وسط بين السين والصاد والزين.

وبناءً على كل هذا، فلا بدّ أن اللفظ العبري القديم لأسماء الأماكن التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية كان أقرب من اللفظ العربي الحالي لهذه الأسماء مما هو مفترض. والدراسة الميدانية للطريقة التي تلفظ بها هذه الأسماء اليوم قد تساعد كثيراً على فهم طبيعة الفونولوجية العبرية القديمة التي لم يكشف سرّها بعد. وعلى كل حال، فالواقع هو أن الأبجدية العربية بأحرفها الساكنة الستة الاضافية، تفوق الأبجدية العبرية في قدرتها على إظهار البنية الفونولوجية الأصلية للأسماء التوراتية التي نحن بصددها.

إن التوافق القابل للإثبات بين أسماء الأماكن التوراتية ومثيلاتها في غرب شبه الجزيرة العربية لن يكفي وحده للبرهان الكامل على أن غرب شبه الجزيرة العربية كان الأرض الحقيقية للتوراة العبرية. وعلى الباحث أن يتأكد أول الأمر من أن التوافق نفسه بين هذه الأسماء لا يوجد في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية أو أجزاء أخرى من الشرق الأدنى. وعليه أيضاً أن يتأكد إذا كانت إحداثيات الأماكن التي تحمل أسماء توراتية في غرب شبه الجزيرة العربية تتوافق مع الإحداثيات المعطاة لهذه الأماكن في نصوص التوراة. وعلى سبيل المثال، إذا وجد الباحث مكاناً في غرب شبه الجزيرة العربية يبدو اسمه على توافق مع الأسم التوراتي «بئر لَحَيْ رُئي» (بئر لحي رء ي)، فالمكان هذا لا يمكن أن يكون هو «بئر لَحَيْ رُئي» المذكور في قصة هاجر في سفر التكوين إلاّ إذا كان يقع بين مكانين آخرين اسمها «قادش» (قدش) و«بارد» (برد)، وعلى طريق تؤدّي إلى مكان ثالث اسمه «شور» (شور) (انظر سفر التكوين ١٦ : ٧ـ١٤)[٤]. وبعد ذلك يأتي دور علم الآثار، فيسعى إلى اكتشاف ما إذا

(٤) ان الاسم التوراتي بئر لحي رءي يعني «بئر مسيل رءي»، ولا يعني «بئر الحي الذي يراني (ل ـ حي رءي)»، كما يفسر معنى الاسم بصورة شائعة. وحتى إذا قرئت لحي في الاسم لـ ـ حي، فان المعنى فيها يصبح «الى الحي» وليس «الحي». ولحي، في صيغتها العربية المصوتة لَحِي تعنى «مسيل» أو «واد». واسم المسيل الذي يجري الحديث عنه هو =

كان الموقع الموجود في غرب شبه الجزيرة العربية والذي يحمل الاسم التوراتي قد كان بالفعل مسكوناً في الفترة التوراتية المحددة، وبأي نوع من المادة الحضارية كان يرتبط. وهذا العمل الراهن هو عمل لغوي بحت يبحث في أسماء الأماكن. وقبل أن يمكن النظر إلى الفرضية التي يطرحها هذا الكتاب كفرضية نهائية، سيكون على علماء الآثار أن يؤكدوا الاكتشافات التي بنيت عليها هذه الفرضية بطرقهم الخاصة.

وبالإضافة إلى علم الآثار، هناك طرق أخرى للتأكد مما إذا كان يمكن للتاريخ التوراتي أن يكون قد وجد مساره في غرب شبه الجزيرة العربية، لا في فلسطين. وفي هذا المجال يجب أن تؤخذ في الاعتبار كل المسائل المتعلقة بالطوبوغرافيا والجيولوجيا والمعادن والمياه والحيوان والنبات. وعلى سبيل المثال، إذا وجد الباحث نهراً أو جدولاً أو مجرى مياه في غرب شبه الجزيرة العربية يسمى «فيشون» فإن هذا النهر لا يحتمل أن يكون هو نفسه «فيشون» التوراتي إلا إذا كان يمرّ في منطقة يمكن العثور فيها على الذهب، أو كان يمكن العثور على الذهب فيها في الماضي (انظر سفر التكوين ٢: ١١-١٢). والبرهان القاطع على أن «سدوم» و«عمورة» التوراتيتين لم تكونا بلدتين قديمتين على شاطىء البحر الميت في فلسطين هو عدم وجود أي أثر لبراكين قديمة هناك، علماً بأن النار التي أخربت «سدوم» و«عمورة»، على ما تقوله التوراة، كانت ولا بدّ ناراً

= رءي، وقد يصوّت ليقرأ بالعربية روي، أي «المروي»، وليس «الرائي» أو «الذي يراني»، وهو المعنى الذي توحي به الصيغة العبرية للاسم للوهلة الأولى. وروي هذه لا يمكنها أن تكون غير الواحة التي ما زالت تسمى حتى اليوم «الروية» في وادي بيشة، في داخل بلاد عسير. والواحة هذه تقع فعلاً على طريق يؤدي الى «شور» هي اليوم قرية ال أبو ثور (قارن بالعبرية **شور**). وهي تقع أيضاً بين أي من مكانين يسميان اليوم كَدَس (قارن بالعبرية **قدش**)، في المنحدرات الغربية لعسير، وواحة أخرى في وادي بيشة تسمى البارِدة (وبلا تصويت برد). وحول المحاولات الواهية لتحديد موقع «بئر لحي روي» في جنوب فلسطين، انظر سيمونز، الفقرتين ٣٦٧ و٣٦٨، وكريلينغ، ص٦٩-٧٠.

بـركانيـة (انظر سفر التكـوين ١٩ : ٢٤ ، ٢٨). وإذا وجـد البـاحث «سدوم» أو «عمورة» بالاسم في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن عليه أن يتأكد من وجود بركان أو آثار بركانية بالقرب من المكان. وكـذلك، إذا كان قصر الملك سليمان قد شيد بـ «حجارة كريمة»، وكانت هذه الحجارة «كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمنشار من داخل ومن خارج»، وكانت «حجارة عظيمة، حجارة عشرة أذرع وحجارة ثمانية أذرع» (الملوك الأول ٧ : ٩-١٠)، فـإن من الصعب أن تكون مـادة البنـاء المشـار إليهـا هي أحجار فلسطين الكلسية العادية، بل ربما كانت من الحجـر المانـع، أي «الغرانيت»، الموجود في غرب شبه الجزيـرة العربيـة حيث ما زال يقتلع هناك. ولا بد أن المادة نفسها استخدمت في تشييد البناء المحيط بجدران معبد سليمان، إذ إن هذا البناء كان «بحجارة صحيحة مقتلعة»، حيث «لم يسمع في البيت عند بنائه بنحت ولا معول ولا أداة من حديد» (الملوك الأول ٦ : ٧)[٥]. وبـالـرغم من أن «ثلج»، أو شلج، التـوراة كـان في بعض الحـالات إشـارة إلى عشب هـو الأشنـان (وهـو ليس Saponaria officinalis ، بل ربما كان Gypsophila arabica ، أي «الجصّة العـربية»، وهي نبتة صغيرة الزهر من الفصيلة القرنفلية - انظر الهامش ٢)[٦]، فإنه كان يشير في حالات أخرى ولا شكّ إلى الثلج، وبالتالي فإن على الباحث أن يتأكد من أن الثلج يهطل ويتراكم إلى حـد ما عـلى الأقلّ عـلى جبال غرب شبه الجزيرة العربية (وهو الواقع)[٧] قبل أن يجازف بالقـول بأن أرض التـوراة كانت هنـاك. وربمّا كـان الزيت التـوراتي زيت السمسم

(٥) لفت انتباهي الى هذا الأمر الدكتور أحمد جلبي، المختص بالرياضيات، وله اهتمام هاوٍ بالجيولوجيا ودراسة التوراة.

(٦) أنظر:

Ahmad Khattab **et alias,** «Results of a botanic expedition to Arabia in 1944» (**Publications of the Cairo University Herbarium,** no. 4, 1971), p. 27.

(٧) نادراً ما يهطل الثلج على جبال اليمن، في جنوب غـرب شبه الجـزيرة العـربية، حيث الصيف هو الفصل الممطر (فصل الرياح الموسمية الجنوبية الغربية). أما في عسير فتلتقط =

وليس زيت الزيتون، باعتبار أن السمسم هو من المحاصيل الرئيسية لعسير. لكن الزيتون البري ما زال ينمو في غرب شبه الجزيرة العربية، وفي ذلك ما يشير إلى أن الزيتون ربّما كان يزرع هناك في العصور القديمة، إلى جانب التين واللوز والرمان والكرمة، المشار إليها في التوراة العبرية، والتي ما زالت تزرع في المنطقة. والواقع أن الزيتون ما زال يزرع تقليدياً حتى يومنا هذا في منطقتين من شبه الجزيرة العربية هما شمال الحجاز وعمان. وفي سفر اللاويين ١١ : ٢٩، أدرجت «السحلية الكبيرة» (صب) بين الدبيب (أي الزواحف) النجسة وحرّم أكلها. و«السحلية الكبيرة» أو ورل جنوب فلسطين وسيناء تدعى «وَرَل» أو «وَرَن»، **وصب** التوراتية لا تشير إلى الورل هذا بل إلى «ضب» البادية العربية. والاسم هو نفسه في العبرية والعربية، مع التحول المألوف من الصاد إلى الضاد[٨]. أضف إلى ذلك أن التوراة تذكر طيوراً كثيرة بأسمائها ولا تأتي إطلاقاً على ذكر الأوز أو الدجاج. ويفيد الجغرافي اليوناني استرابون الذي توفي عام ٢٣ للميلاد (انظر كتابه «الجغرافيا»، ١٦ : ٤ : ٢) أن الأوز و«فصيلة الدجاج» لم يكن لهما وجود حتى زمانه في مناطق شبه الجزيرة العربية «المقابلة للحبشة»، وقد اعتبر ذلك أمراً جديراً بالملاحظة.

وهذا كله، مضافاً إلى غيره من الدلائل الثابتة، يشهد في صالح إعادة النظر في الموقع الجغرافي لأرض التوراة.

= الجبال الأمطار من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في فصل الصيف، كما تلتقط الرياح الشمالية الغربية في فصل الشتاء. وبالتالي فان المرتفعات الأعلى هناك تشهد أحياناً هطولاً للثلج وتراكماً قليلاً في فصل الشتاء في بعض الأحيان (انظر الفصل ٣).

(٨) استناداً إلى ما جاء في الحديث، فان الرسول محمدا (ﷺ) لم يحرم أكل الضب بالرغم من أنه لم يأكله هو نفسه. وبعض البدو السنّة في شبه الجزيرة العربية يأكلون الضب اليوم، في حين يعتبرها الشيعة نجسة. وفي يومنا هذا على الأقل، يبدو أن الضب غير معروف في الأراضي الشمالية للشرق الأدنى.

وبالعودة إلى علم الأسماء الذي يعتمد عليه البحث الراهن بشكل رئيسي، تجب ملاحظة أن التحديد الملائم لأسماء الأمكنة التوراتية يمكنه أن يعمق المعرفة القائمة باللغة العبرية، وفي بعض الحالات أن يغيّر مفاهيمها جذرياً. وإذا كان للباحث أن يعالج العبرية التوراتية كلغة لم يسبر غورها بعد، ولم يفك من رموزها إلّا القليل، فإن أسماء الأمكنة فيها تبدو مشابهة الى حد كبير لأسماء الملوك والآلهة المحفوظة في الخراطيش في الكتابات المصرية القديمة، من حيث انها تؤمن مفاتيح لفك رموز ما هو في الواقع لغة ميتة[٩]. ويكفي أن يتمّ التعرف الى اسم مكان توراتي معيّن على ما هو مقصود به فعلاً لكي تبدأ الجملة التي يرد فيها الاسم بكشف غامضها فيصبح المعنى المقصود منها واضحاً جليّاً. والحقيقة الساطعة هي أن الكثير من الكلمات العادية (فعل، اسم، ظرف أو صفة، وأحياناً مرفقة بحرف جر مثل الباء أو اللام أو الميم) كانت تقليدياً قد قُرئت خطأً في الإطار التوراتي على اعتبار أنها أسماء أمكنة. ومن ناحية أخرى، فإن هناك ما لا يحصى من أسماء الأمكنة التوراتية التي لا شك فيها، والتي تمت قراءتها حتى الآن على أنها أفعال أو ظروف أو أسماء أو صفات. والتفريق الملائم بين ما هو فعلاً اسم مكان وما هو ليس كذلك في النصوص التوراتية يمكنه أن يقلب الكثير من القراءات والترجمات التقليدية رأساً على عقب.

وإذا ما أعيدت قراءة السجلات المصرية القديمة وسجلات العراق

(٩) وعلى سبيل المثال، يمكن للمرء ان يستنتج من الطريقة التي تلفظ بها أسماء الأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية ذات الصيغة العبرية ان الكاف لم تكن تخفف عادة الى خ، في حين الحاء كثيراً ما كانت تلفظ خ. وكذلك، فان التاء نادراً ما كانت تخفف الى ثاء، التي يظهر انها كانت تفرعاً لهجوياً عن الشين. والعين كانت تلفظ مرات ع ومرات أخرى غ. وأما وقفة الهمزة فكثيراً ما كانت تلفظ واواً أو ياءً كما في العربية الدارجة. وهذان الحرفان شبه الصوتيان كانا يتبادلان بدورهما، وكثيراً ما يصوّتان كحرف الألف المفتوحة.

القديمة في لغاتها الأصلية، وليس في الترجمات المتوفرّة لها حتى الآن (وهو ما يجب فعله، انظر الفصل ١)، فإن بإمكان هـذه السجلات أن تلقي الكثير من الضوء على الوضع الحقيقي للجغرافيا التوراتية. وكثيراً ما يرد ذكر أسماء الأمكنة التوراتية في هذه السجلات بالترافق مع أسـماء أمكنة أخرى ما زال يمكن العثور عليها في غرب شبه الجزيرة العـربية. ويمكن لأعمال علماء التاريخ والجغرافيا الكلاسكيين أن تساعد أيضاً إلى حدّ كبير في هـذا المجال. وفي الفصـل السابق، هنـاك دليـل مـأخـوذ من مؤلَّف هيـرودوتس استشهـد بـه في مجـال الحـديث عـلى هجـرة الفلستـيينّ والكنعانيين من غرب شبه الجزيرة العـربية إلى السـاحل الشـامي. وفي الفصل ٤، هناك دليل مأخـوذ من جغرافيـة استرابـون سوف يستخـدم لتحديد الموقع الصحيح لـ «بئر سبـع» التوراتيـة في غرب شبـه الجزيـرة العربية، تفريقاً لها عن بئر السبـع في فلسطين. وكـذلك يجب أن يتنبّـه الباحث إلى كل ما ورد في القرآن الكريم حول المسائل المتعلقة بالجغرافيا والتاريخ التوراتيين، وهو كثير، إذ أن أحداً لم يفعل ذلك بعد.

لقـد جمع القـرآن ودوِّن تقـريبـاً في نفس الـوقت الـذي كـان فيـه المسوريون قد بدأوا بتصويت وتصويب نص التوراة العبرية . واستناداً إلى التاريخ الإسلامي، فإن التدوين النهائي للقـرآن الكريم، بـالصيغة التي استمرت في الوجود حتى اليوم، قد تم في عهد الخليفة عثمان، أي بـين سنتي ٦٤٤ و٦٥٦ بعد الميـلاد. وحيثـما تكلم القـرآن عن الآبـاء العبريين أو عن اسرائيل أو عن الأنبياء اليهود، أشار إلى عدد من أسماء الأمكنة التي هي من الأسماء المعـروفة في غـرب شبه الجـزيرة العـربية. والتوافق بين أسـماء الأمكنة القـرآنية في إطـار معين، وتلك التوراتية في الإطار نفسه، قد يكون ملتبسـاً إلى حد كبـير في بعض الأحيان. وحيث يمكن للتوراة، مثلاً، أن تعطي اسم جبل في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن القرآن قد لا يعطي اسم هذا الجبل، بـل اسم وادٍ أو بلدة أو اسم موقع آخر في الجوار نفسه. وهكذا، واستناداً إلى التوراة (الخروج ٣ : ٢)،

فإن ملاك الرب «يهوه» ظهر على موسى بلهب نار من وسط عليقة في جبل حوريب (حرب). واستناداً إلى القرآن الكريم (٢٠ : ١٢ و٧٩ : ١٦) فإن دعوة السماء لموسى حصلت في «الوادي المقدس» طوى. وحتى الآن، جرى البحث عن جبل حوريب التوراتي في سيناء ولم يعثر عليه هناك بهذا الاسم. وقد فهم لهب العليقة التي «تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق» على أنه إشارة إلى بركان، ولكن لم يعثر على أية آثار لأية نشاطات بركانية في سيناء. وهذا ما جعل بعض الباحثين ينثنون عن سيناء إلى البحث عن جبل حوريب في المناطق البركانية في شمال الحجاز (انظر كريلينغ ص ١٠٨ ـ ١١٠)، ولكن كذلك دون جدوى. ولكن القرآن يقول لنا بالدقة أين كان حوريب، فهو مرتفع جبلي في الجهة البحرية من عسير، ويسمى اليوم جبل هادي. وعلى سفح جبل هادي هناك قرية ما زالت تدعى حتى اليوم «الطَّوَا»، يمكن أن تكون قد أعطت اسمها ذات يوم إلى رافد مجاور يصب في وادي بقرة، ولا بد أن هذا الرافد هو «الوادي المقدس طوى» المذكور في القرآن. وفي وادي بقرة توجد هناك حتى اليوم قرية تدعى حارب (حرب بلا تصويت) لا بد أن تكون قمة جبل هادي المجاورة قد أخذت اسمها التوراتي منها. والمنطقة موضوع البحث بأسرها مفروشة بحقول الحمم، والواضح أنه كانت هناك ذات يوم براكين ناشطة[١٣].

---

(١٣) هناك أيضاً دليل توراتي على تعريف جبل هادي في عسير الساحلية بأنه جبل حوريب التوراتي. واستناداً الى سفر التثنية ١ : ١ فان موسى «كلّم جميع اسرائيل.. في البرية في العربة (عربه) قبالة سوف (سوف) بين فاران (فءرن) وتوفل (تفل) ولابان (لبن) وحصيروت (حصرت) وذي ذهب (دي زهب)». والموقع المشار اليه هو منخفض وادي غرابة (غربة) الذي يفصل بين بلاد غامد وبلاد زهران. وهناك قرية تسمى الصفا (صف، قارن مع سوف) تشرف على وادي غرابة هذا من الشمال. ويقع الوادي أيضا بين فءرن (جبل فَران، أو فرن) في الشرق.، وتفل (وادي طفالة، أو طفل) في الجنوب. ولبن هي اليوم قرية البنّ (ءل ـ بن) في الشمال، ودي زهب هي آل ذهيب (ذهب، مع تحول «ذي» إلى «آل»، والمفهوم واحد)، وهي في الشمال أيضاً، وحصرت هي اليوم الحظيرة (حظرت) في الغرب (إلا إذا كانت هي جبل خضيرة، أو خضرت، الذي =

وحيث يروي القرآن القصص التوراتية، فإنه لا يكرّر الروايات التوراتية لهذه القصص ويتصرّف بها، كما هي النظرة السائدة اليوم بين الباحثين في الغرب. بل إن محتويات القرآن الكريم حيث تتوافق مع محتويات التوراة العبرية هي رواية تاريخية مستقلة تماماً عن رواية التوراة، ولا بد من دراستها على هذا الأساس، والشيء نفسه ينطبق على الروايات القرآنية لقصص الأناجيل المسيحية. وقد تبدو التباينات بين الروايتين، التوراتية والقرآنية، محيّرة للوهلة الأولى، ومع ذلك فإنها قد تصبح باعثة على التنوير في التمحيص التالي، لأن في القرآن ما يوضح غوامض التوراة في أحيان كثيرة، وهذا أمر في غاية الأهمية.

وبهذا، فإن ما لدينا هو التالي: نص عبري للتوراة مدوّن بأحرف ساكنة علينا أن نأخذ بدقته، ولا بد من اعادة قراءته بعيداً عن التصويت التقليدي... وسجلات قديمة مصرية وعراقية وسجلات أخرى قديمة تشير إلى أسماء الأماكن التوراتية لا بد أيضاً من اعادة قراءتها بعيداً عن التأويلات الجغرافية والطوبوغرافية القائمة... وأعمال علماء التاريخ والجغرافيا الكلاسيكيين التي قد تكون مساعدة... والنص القرآني الثابت حرفياً... وأخيراً، تضاريس غرب شبه الجزيرة العربية حيث أسماء الأماكن التوراتية ما زالت موجودة إلى اليوم، في معظم الحالات إما بصيغتها التوراتية الأصلية، أو بصيغ متطوّرة يسهل التعرّف عليها في معظم الأحيان. وفي الفصل التالي، سيجري وصف ذلك الجزء من غرب شبه الجزيرة العربية الذي تنحصر فيه أسماء الأماكن التوراتية أو تكاد بشيء من التفصيل. وفي الفصول اللاحقة ستجري

= هو أيضا في الغرب). ويلاحظ أن اسم موسى التوراتي ما زال يوجد هو أيضاً في الواقع في الجوار نفسه، وهو قرية «الموسى». ويقول سفر التثنية ١ : ٢ أن المكان كان على بعد «أحد عشر يوماً من حوريب». ومسافة الطريق بين جبل هادي ووادي غرابة تتراوح بين ٢٠٠ و٢٥٠ كيلومتراً، ويمكن قطعها سيراً على القدمين في أحد عشر يوماً، بالسير بسرعة ٢٠ كيلومتراً في اليوم.

دراسة بعض النماذج المختارة من النص التوراتي لتبيان مدى دقة مطابقتها الجغرافية للمنطقة. وسيترك للقارىء أن يحكم بنفسه على ما إذا كان يجد الموضوع الأساسي لهذا الكتاب مقنعاً أم لا. وفي النهاية تبقى التوراة هي التوراة، مهما كان موطنها الأصلي.

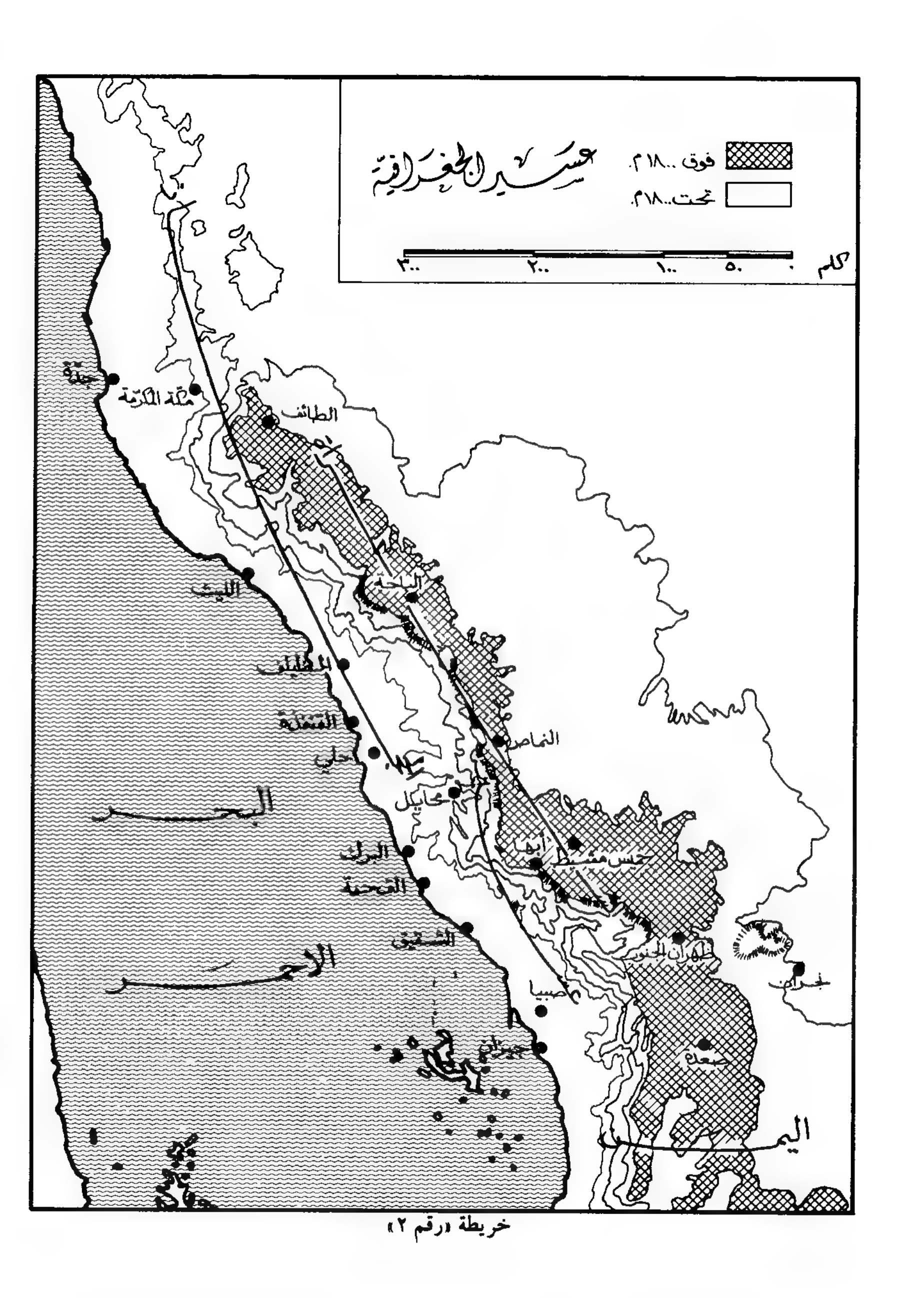
٣ ـ أرض عسير

اسم عسير مصطلح جغرافي حديث الاستعمال، وهو يرمز منذ القرن التاسع عشر إلى مرتفعات غرب شبه الجزيرة العربية الممتدة من النماص شمالاً (إحداثيات ١٩° شمال× ٤٢° شرق) إلى نجران جنوباً (إحداثيات ١٧° ٣٠′ شمال× ٤٤°١٠′شرق)، أضف إلى ذلك الأراضي الهضبية والصحراء الساحلية لما يسمى تهامة بين بلدة القحمة (إحداثيات ١٨° شمال × ٤١° ١٠′شرق) وحدود اليمن (النقطة الساحلية ذات الإحداثيات ١٦°٢٥′ شمال × ٤٢° ٤٥′ شرق)[١]. ومن الشرق إلى الغرب تمتد عسير من أطراف صحراء وسط شبه الجزيرة العربية الى ساحل البحر الأحمر. وعسير اليوم هي إحدى مقاطعات المملكة العربية السعودية، وقاعدتها مدينة أبها (إحداثيات ١٨° ١٥′ شمال× ٤٢°٣٠′ شرق).

وعسير هي بشكل خاص بلاد «السراة» (أي «أعلى الأرض»)[٢] والاسم هذا يشير الى امتداد هضبي يتراوح ارتفاعه بين ١٧٠٠ و٣٢٠٠

(١) يطلق اسم عسير تحديداً على المرتفعات القبلية المحيطة بأبها، وقد اكتسب استعمالاً إدارياً أوسع نطاقاً في العصور الحديثة. ويبدو ان الأسم التوراتي «سعير» أو «جبل سعير» (سفر التكوين ١٤ : ٦ و٣٦ : ٨ وما يتبع. . الخ) هو الصيغة الساميّة القدّيمة لاسم عسير الحالي بالذات. وحول العلاقة بين اسم تهامة والاسم التوراتي تهوم، انظر الفصل ٦.

(٢) بشأن العلاقة بين اسم السراة واسم اسرائيل التوراتي، انظر الفصل ١٠.



عسير الجغرافية
فوق ١٨٠٠م
تحت ١٨٠٠م
كلم
٠
٥٠
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
مكة المكرمة
الطائف
الليث
القنفذة
محايل
البرك
القحمة
الشقيق
أبها
خميس مشيط
النماص
ظهران الجنوب
صبيا
جيزان
نجران
صنعاء
البحر
الأحمر
اليمن

خريطة «رقم ٢»

متر عن سطح البحر، والسراة هذه هي بمثابة العمود الفقري لأرض عسير، وهي تشكل الطرف الغربي لمسطح نجد بين الطائف وحدود اليمن. وإلى الشمال من الطائف، ينتهي مسطّح نجد الى جبال وهضاب الحجاز (ارتفاعاتها القصوى بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ متر عن سطح البحر). أما الى الجنوب من الطائف، فإن هذا المسطح ينتهي بجرف هائل يسمى الشفا، ويبلغ مسقط هذا الجرف معدّل ١٠٠ متر تقريباً. ويقع هذا الجرف على بعد حوالى ٨٠ ـ ١٢٠ كيلومتراً إلى الداخل من ساحل البحر الأحمر، ويمتد من الطائف حوالى ٧٠٠ كيلومتر ليتداخل مع جبال اليمن. وبمحاذاة هذا الجرف تبلغ السراة أعلى ارتفاعها قرب أبها. أما باتجاه الجنوب فتخفّ حدّة الجرف ويبدأ بالتلاشي بعد بلدة ظهران (المسماة ظهران الجنوب، وإحداثياتها ١٧° ٤٠′ شمال × ٤٣° ٣٠′ شرق). وكما لوحظ سابقاً، فإن السراة تنتهي شمالاً عند الطائف، إذ تتصل هناك بهضبة الطائف عند خط العرض ٢١° تقريباً.

ومن هنا يصحّ اطلاق اسم عسير جغرافياً بمعنى واسع ليضم كامل امتداد بلاد السراة، من جوار الطائف في الشمال حتى ظهران وحدود اليمن في الجنوب، مع العلم بأن الأرض الواقعة إلى الشمال من منطقة النماص تعتبر عرفاً من الحجاز. ومنطقة النماص هي منخفض من السراة على شكل سرج يفصل بين الارتفاعات الأعلى لمنطقة أبها في الجنوب، وارتفاعات منطقة الباحة التي تشمل مناطق غامد (بلاد غامد) وزهران (بلاد زهران) في الشمال. وهناك منخفض آخر من السراة يفصل بين مرتفعات زهران وهضبة الطائف حيث تنتهي السراة وما يمكن تسميته بالتالي عسير الجغرافية.

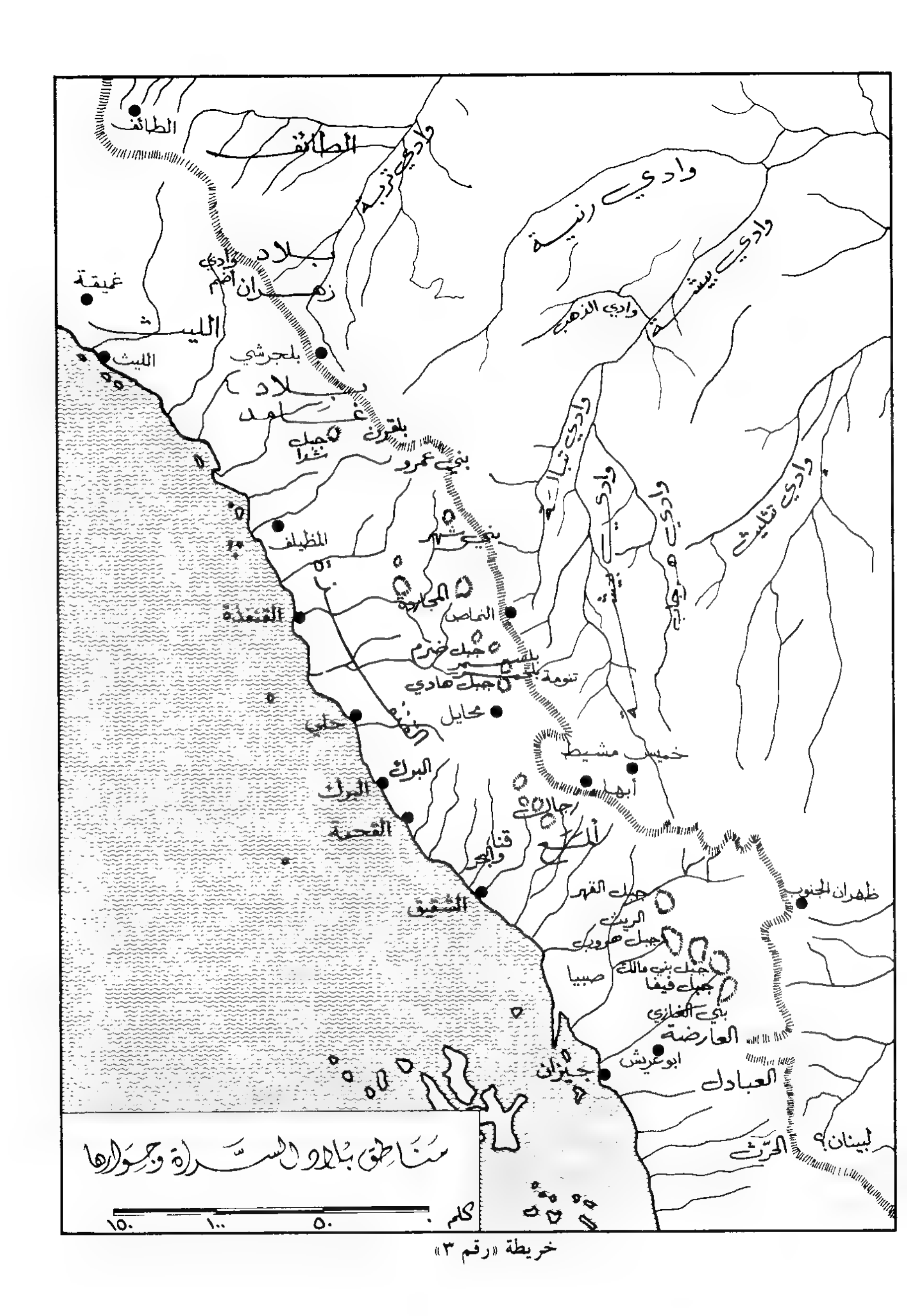
وعلى امتداد ساحل تهامة من عسير الجغرافية، بما فيها المناطق التي تعتبر عرفاً من الحجاز، هناك عدد من البلدات والمرافىء، أبرزها اليوم، من الشمال إلى الجنوب، الليث، والقنفذة، والبرك، والقحمة،

والشقيق، وجيزان. ثم ترتفع الأرض من عند طرف صحراء تهامة الساحلية، وتستمرّ ارتفاعاً في عدد من المدرجات الجبلية، لتصل إلى الجرف وإلى حد مصرف السراة بعده. وهذه هي أرض ما يسمّى بجبال تهامة، وهي أرض كثيرة التسنّن بما فيها من الوديان والمسالك الضيقة التي تفصل بين قممها الجبلية الشاهقة. هذا الجانب البحري من عسير يتألف في الواقع من عدد لا متناه من الهضاب والمنخفضات (التي تسمى بالعربية الوهاد، ومفردها وهد أو وهدة، قارن بالعبرية التوراتية **يهود و يهوده**، وبالعربية تقليدياً «**يهوذا**»، وهو ما قد يكون السبب في إطلاق اسم «يهوذا» على هذه الأرض في أيام التوراة، انظر الفصل ٨)[٣]. وحتى أزمنة قريبة، كانت أودية هذا الجزء من عسير وجنوب الحجاز وشعابه (أي من عسير الجغرافية) تشكل مرتعاً وأرض لجوء وتناسل للجراد، مما قد يفسر عبارة «المجاعات في الأرض» التي يكثر ورودها في أسفار التوراة (راجع الفصل ١٣).

وفي حين أن أجزاء عسير الجغرافية الواقعة إلى الغرب من الجرف تشكل تداخلاً متشابكاً من القمم والمسالك، فإن السراة، من فوق الجرف، تنحدر تدريجياً باتجاه الداخل. وفي عسير نفسها، جنوب النماص، يتبع المنحدر الداخلي مناطق التشقّق الطبيعي باتجاه الشمال، وهنا تسيطر على الأرض، من الجنوب إلى الشمال، شبكتان لتصريف المياه هما وادي تثليث ووادي بيشة، ولكل من الواديين روافد عديدة. وينحرف المساران الرئيسيان لهذين الواديين أخيراً باتجاه الشرق ليصبا المياه المتجمعة فيهما في وادي الدواسر، الذي ينتهي مسيله إلى الصحراء

---

(٣) هناك عدد من الأمكنة في هذه المنطقة يطلق عليها إلى اليوم اسم «وهدة»، ناهيك عن اسماء أماكن أخرى مشتقة من نفس الجذر، وهو **وهد** (بالعبرية **يهد**).



مناطق بلاد السراة وجوارها
كلم ٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠
الطائف
الطائف
وادي تربة
وادي رنية
وادي بيشة
وادي الزهب
بلاد زهران
وادي أضم
غميقة
الليث
الليث
بلجرشي
بلاد غامد
بلقرن
جبل شذا
بني عمرو
المظيلف
بني شهر
المجاردة
القنفذة
النماص
جبل خرم
بللسمر
بللحمر
تنومة
جبل هادي
محايل
حلي
البرك
البرك
القحمة
خميس مشيط
أبها
رجال
ألمع
قنا والبحر
الشقيق
وادي تبالة
وادي تثليث
جبل القهر
الريث
جبل هروب
جبل بني مالك
جبل فيفا
صبيا
بني الغازي
العارضة
ابو عريش
جيزان
العبادل
ظهران الجنوب
الحرث
لبينان؟

خريطة «رقم ٣»

الداخلية. أما من مرتفعات غامد وزهران فتنحدر الأرض باتجاه الشرق حيث شبكة تصريف وادي رنية. ويتصل المسار الرئيسي لهذا الوادي بمسار وادي بيشة، قبل أن ينحرف هذا الأخير شرقاً ليلتقي بوادي تثليث عند أطراف الصحراء.

وبلاد عسير الجغرافية (أي عسير وجنوب الحجاز) هي أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية تلقياً للأمطار. وهي لا تقع بعيداً إلى الشمال من مدار السرطان، ولذلك فإن السراة منها، بمرتفعاتها العالية، تلتقط أمطار مناخين اثنين: أمطار الرياح الشمالية الغربية في الشتاء، وأمطار الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الصيف. وتتراوح نسبة الأمطار هناك بين ٣٠٠ و٥٠٠ مليمتر سنوياً، وهو ما يكفي للمحافظة على مستوى المياه الجوفية في المنطقة عموماً. وقد يسقط الثلج أحياناً في أعالي السراة، وربّما تراكم في بعض النواحي منها لفترات قصيرة. وتتدفّق المياه في ينابيع السراة، وأحياناً على شكل شلاّلات، فتسيل الجداول الموسمية أو الدائمة منها في الوديان على جانبيها الداخلي والبحري.

وغابات العرعر الكثيفة هي من السمات التي تتميز بها السراة والمرتفعات الأعلى من جبال تهامة. وهناك أيضاً أحراش من البطم والطرفاء والسنط (الأكاسيا) والسرو وغيرها من الأشجار الحرشية في مناطق عديدة. وحيث لا توجد الأحراش والغابات، فقد جرى تدريج مرتفعات عسير تقليدياً لزراعتها بالحبوب وبأنواع مختلفة من الجوزيات (وخصوصاً اللوز) ومن الفواكه، بما فيها العنب. وتزرع الحبوب والخضار في أقسام واسعة من الأراضي القابلة للزراعة في الوديان الساحلية وغيرها من الأراضي المنخفضة، كما تزرع الحبوب والتمور في الأقاليم الداخلية وخاصة في أراضي الواحات في حوض وادي بيشة. وتدرج المناخ في المنطقة، بين الأراضي الساحلية الحارة والمرتفعات المعتدلة والصحراء الداخلية، ينعكس بإنتاج نباتي بري غزير التنوع.

ولذلك فإن عسل عسير هو من الأنـواع النادرة الجـودة. وهنالـك حول الأراضي المزروعة في كل مكان مراعٍ واسعة كانت جماعـات البدو ومـا زالت ترعى فيها قطعان الماشية، من الخراف والأبقار والماعز، ناهيك عن الجمال والدواب(٤).

وتتميّز أراضي عسير الداخلية باحتوائها على بعض الثروة المعدنية. وقد كان الذهب والنحاس والرصاص والحديد يستخرج منها في القدم، والذهب خصوصاً في منطقة وادي رنية. وما زال هنالك احتمال للعثور على الذهب هنـاك، وشمالاً في مهـد الذهب، شمـال شرق الـطائف. وأحـد روافد وادي بيشـة يسمى إلى اليوم وادي الـذهب، وربما كـانت بجواره مناجم للذهب في الأزمنة القديمة(٥).

وفي عسـير الجنوبيـة، تفصل مـرتفعات ظهـران بين منـطقتين لهـما

---

(٤) من أجل دراسة حديثة عن جغرافية عسير وحياتها البيئية، انظر:

Ḳamal Abdul-Fattah, **Mountain farmer and fellah in Asir** . .(Erlangen,1981).

وحول النباتات البرية في عسير، انظر:

Western Arabia and the Red Sea (London,H. M.S.O.,1946), Appendix D. pp. 590 - 602.

وقد جرت الاشارة قبلاً الى احتمال أن يكون الجمل قد جرى تأهيله أوّل الأمر في عسير. وحول هذا الموضوع، انظر:

Michael Ripinsky, «Camel ancestry and domestication in Egypt and the Sahara», **Archaeology**, 36: 3 (1983), pp. 21 - 27.

(٥) يتحدث الجغرافي اليوناني استرابون عن ذهب غرب شبه الجزيرة العربية، فيصف البلاد الواقعة بين الحجاز واليمن (١٦ : ٤ : ١٨) بالقول: «بالقرب من هؤلاء الناس، هناك أمة أكثر تحضراً تقطن منطقة أكثر اعتدالاً في المناخ لأنها أكثر مياهاً وأمطاراً. وهناك يعثر على ذهب في باطن الأرض، لا على شكل غبار بل على شكل كتل لا تحتاج الى كثير من التنقية. وأصغر هذه الكتل الذهبية هي بحجم البندقية، أما أوسطها فبحجم المشملة، وأكبرها بحجم الجوزة. . .». وإشارة استرابون الى «المناخ المعتدل» والى «الأمطار» في بلاد شبه الجزيرة العربية التي يصفها لا تدع مجالاً للشك في كونه يتحدث عن عسير.

صفات مختلفة. فالى الغرب والجنوب الغربي هناك أودية منطقة جيزان الساحلية الكثيرة الخصوبة، وهناك إلى الشرق منطقة الواحات في بلاد نجران. ومن بين جميع مناطق عسير، ربما كان وادي نجران هو الأكثر خصوبة. ويمتد وادي نجران هذا شرقاً لينتهي في بلاد يام على أطراف الرمال الواسعة للربع الخالي، وقد ازدهر هناك مجتمع يهودي منذ القدم وحتى القرن الحالي. وربّما كان يهود نجران آخر ما تبقى من اليهودية في أرض أصولها. وهناك بموازاة وادي نجران، وإلى الشمال، واديان شقيقان أقل خصوبة هما وادي حبونا ووادي إيدمة(٦). وهذان الواديان ينتهيان أيضاً في بلاد يام.

وسهل جيزان الساحلي، عبر مرتفعات ظهران الجنوب من وادي نجران، هو أيضاً منطقة ذات خصوبة عالية لارتوائه بمياه وديان عدة مثل وادي خُلَب ووادي جيزان ووادي ضَمَد ووادي صبيا ووادي بَيش. وما يميز منطقة جيزان بشكل خاص هو الدائرة من الهضاب الرائعة التي تفصل السهل الساحلي عن مرتفعات الظهران، وثلاثة تجمعات من المخاريط البركانية (أم القمم والقارعة وعكوة) تحيط بالسهل الساحلي من الجهة الداخلية. ويعتقد أن آخر ثورة لأحد البراكن هذه، وهو بُركان القارعة، قد حصلت في حوالى سنة ١٨٢٠ ميلادية(٧). وهناك عدّة مناطق بركانية في مواقع أخرى من عسير وجنوباً في اليمن. ومن بين الهضاب التي تحيط باقليم جيزان جبل هَروب وجبل فَيفا وجبل بني مالك.

---

(٦) إيدمة هذا واحد من مواقع غرب شبه الجزيرة العربية التي قد تكون التوراة أشارت اليه على أنه «إيدوم» (ءدم). والآخر الذي جاءت الاشارة اليه في معظم الأحيان هو وادي إدّام (ءدم) جنوب مكة المكرمة. والثالث يتمثل في وادي أدمة (ءدم) في محيط وادي بيشة.

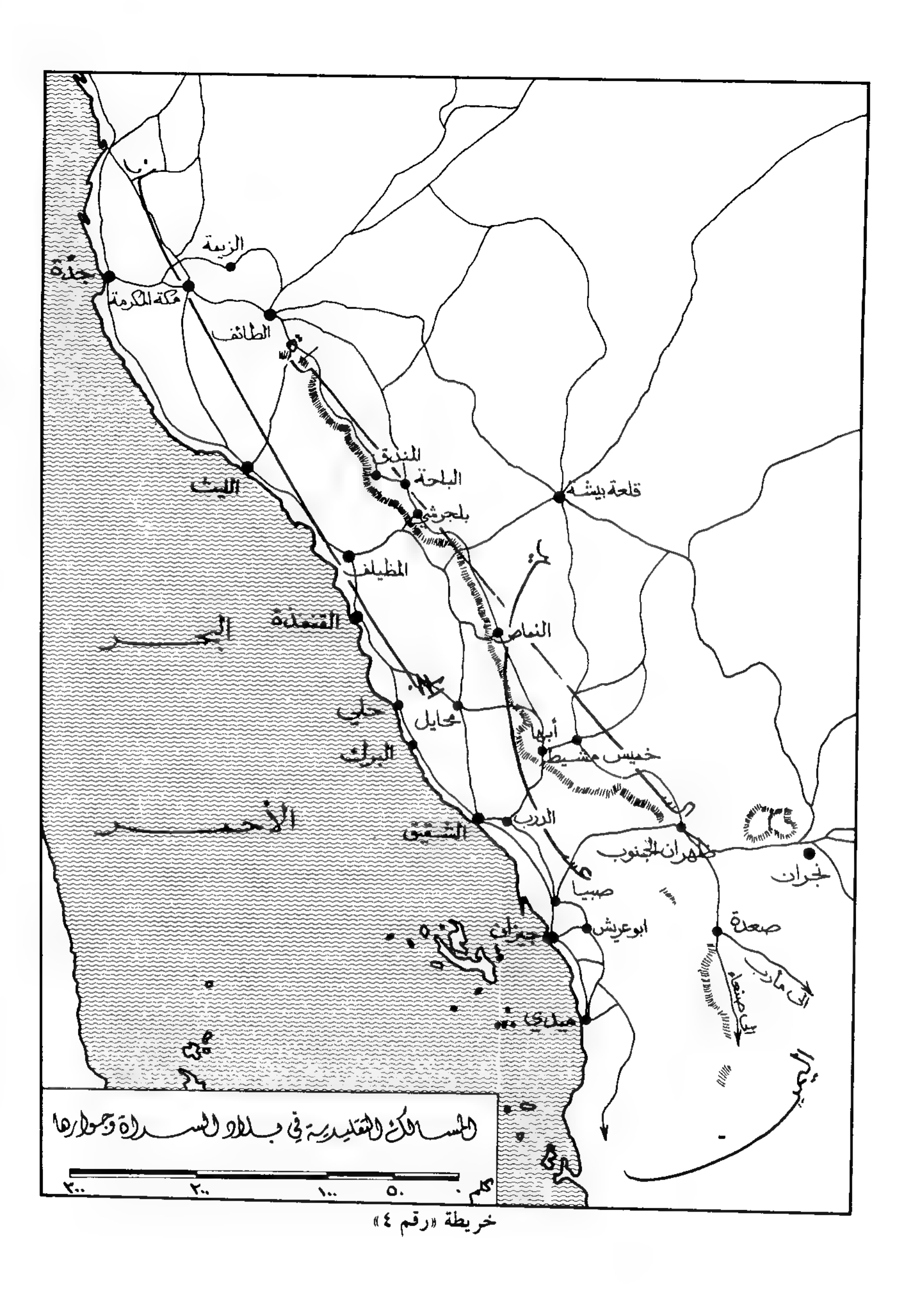
(٧) حول نشاط براكين منطقة جيزان في عسير، انظر:

Neuman Van Padang, **Catalogue of the active volcanoes and solfatara fields of Arabia and the Indian Ocean** (Napoli, International Association of Vulcanology, 1963), pp. 12 - 13.

ومند أيام الإسلام، كانت عسير على وجه العموم أرضاً هامشية الأهمية في تاريخ شبه الجزيرة العربية، على ثروتها وخصوبتها الطبيعية. أمّا في القدم، فيبدو أن عسير الجغرافية كانت منطقة عظيمة الشأن، نظراً لوقوعها عند نقطة التقاء الطرق الرئيسية لتجارة العالم القديم (انظر الفصل ١). كانت السفن آنذاك تروح وتغدو بين موانىء عسير وموانىء الحبشة وبلاد النوبة ومصر عبر البحر الأحمر. وكانت طرق القوافل تنطلق شمالاً من أراضي عسير الساحلية والداخلية، عبر الحجاز، إلى الشام، أو عبر وسط وشمال شبه الجزيرة العربية الى بلاد العراق. وكانت هنالك طرق أخرى للقوافل تتجه من البلاد جنوباً عبر اليمن إلى موانىء خليج عدن والبحر العربي، أو شرقاً عبر اليمامة الى موانىء الخليج العربي.

وهكذا، ومنذ بداية التجارة بين حوض المحيط الهندي وحوض شرق البحر الأبيض المتوسط، وبين حوض الخليج العربي وحوض البحر الأحمر، لا بد أن عسير الجغرافية كانت مركزاً رئيساً لخدمات الوساطة والتجارة والمبادلات. فازدهرت بلداتها الداخلية كمحطات للقوافل، يأمّها التجار من كل حدب وصوب ويتبادلون فيها بضائعهم وسلعهم. ولا بدّ أن أهم بلدات الداخل هذه كانت تلك التي تقع على طريق القوافل الرئيسة التي تتبع أطراف السراة، بين ظهران الجنوب والطائف. وبين هاتين البلدتين والموانىء البحرية كانت المسارات المتعرجة الوعرة تعبر الممرات الجبلية لجرف السراة، واصلة تجارة البحر بتجارة البر (انظر الخريطة).

ولا شك في أن عسير القديمة كانت بلاداً تجارية في غاية الازدهار، وكانت في الوقت ذاته أرضاً غنية بزراعتها ومراعيها وإنتاجها من الأخشاب والمعادن. من الطبيعي، إذن، أن تكون هذه البلاد قد عرفت، ومنذ أقدم العصور، مستوى رفيعاً من الحضارة. على أن حضارة عسير القديمة ما كانت في الواقع إلاّ حضارة مدن معيّنة وتجمعات


الزيمة
جدة
مكة المكرمة
الطائف
المندق
الباحة
بلجرشي
قلعة بيشة
الليث
المظيلف
القنفذة
البحر
الأحمر
النماص
حلي
محايل
البرك
أبها
خميس مشيط
الشقيق
الدرب
ظهران الجنوب
نجران
صبيا
صعدة
جيزان
ابوعريش
الى مارب
الى صنعاء
ميدي
اليمن
المسالك التقليدية في بلاد السراة وجوارها
كلم ٠ ٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠
خريطة «رقم ٤»

من القرى والواحات تفصل بينها البراري والقفار الواسعة. وقد كانت طرق التجارة البرية والبحرية تربط بين عسير وسائر أقطار شبه الجزيرة العربية والشرق الأدنى القديم، لكن الواقع أن البلاد كانت معزولة من الناحية الجغرافية. وكانت أيضاً تفتقر إلى الوحدة في الداخل إذ كان كل من أجزائها يتجه في منحى مختلف، لا سياسياً فحسب بل أيضاً في مجالات أخرى. وفي عسير الجغرافية القديمة، كانت هنالك شعوب مختلفة تقطن أجزاء مختلفة من البلاد، وتتحدث بلهجات مختلفة وأحياناً بلغات مختلفة، كما كانت تعبد آلهة مختلفة بطرق مختلفة. وفي الفصول التالية سيجري تحديد بعض هذه الشعوب بأسمائها كما أشير إليها في نص التوراة العبرية. لكن التركيز سيكون على شعب واحد من شعوب عسير القديمة، وهو الشعب المسمى ببني اسرائيل. وقد مرّ هذا الشعب في مرتفعات السراة ومنحدراتها الغربية (أرض «يهوذا») بين القرنين العاشر والخامس قبل الميلاد بتجربة تاريخية نادرة المثال، ثم زال من الوجود مخلفاً وراءه سجلاً كاملاً بالغ الدقة والتفصيل لهذه التجربة. وما زال هذا السجل، وهو التوراة العبرية بمختلف أسفارها، موجوداً ومعروفاً إلى الوقت الحاضر.

٤ ـ البحث عن جرار

قبل بداية البرهان على مدى الدقة في مطابقة جغرافيا التوراة العبرية لجغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية، لا بد من إيراد الدليل، ولو بجملة واحدة من الأمثلة، على مدى الضعف في مطابقة تلك الجغرافيا لجغرافيا فلسطين. هذا يتضح تماماً من النظر في الطريقة التي عالج فيها علماء التوراة حتى الآن مسألة «جرار» (جرر)، وهي بلدة توراتية يفترض أنها ازدهرت في القدم في جوار غزة بساحل فلسطين، في موقع غير بعيد عن بئر السبع، على عدم وجود أي مكان هناك يحمل هذا الاسم. وفي مثل هذه الدراسة لمسألة «جرار» ما يلقي الضوء على مسائل أخرى تتعلق بالجغرافيا التوراتية، منها مسألة أرض كنعان، ومسألة «بئر سبع» التوراتية المختلفة عن بئر السبع الفلسطينية.

وهناك أربعة مقاطع في التوراة تتحدث عن «جرار». ففي الكلام عن أرض الكنعانيين التوراتيين (هـ ـ كنعني)، يذكر سفر التكوين ١٠ : ١٩ «جرار» هذه بالترافق مع صيدن (التي أخذت على أنها «صيدون» أي صيدا الفينيقية) ومع عزه (التي أخذت على أنها غزة الفلسطينية). ويقول النص هنا إن حدود الكنعانيين تمتد، من جهة، من صيدن إلى عزه، مضيفاً أن هذا المكان الأخير يقع باتجاه «جرار»، دون

أن يوضح ما هو هذا الاتجاه: شمالاً أم جنوباً، شرقاً أم غرباً. ولا يحدد النص ما إذا كانت «جرار» تقع بين **صيدن** و**عزه**، أو إذا كانت تقع بعد **عزه** من **صيدن**، ولا هو يحدّد المسافة بين «جرار» و**عزه**، أو بين «جرار» و**صيدن**. ويصف النص ذاته حدود أرض كنعان من الجهة الأخرى، كذلك ابتداءً من **صيدن** ودون أي تحديد للاتجاه (انظر أدناه).

وفي سفر التكوين ٢٠ : ١ وما يلي، يرد ذكر «جرار» بالترافق مع **ءرص هـ ـ نجب**، وهي في الترجمة إما «أرض الـ **نجب**» التي تؤخذ على أنها تعني صحراء النقب الفلسطينية، أو «أرض الجنوب» (بالعبرية **نجب**، بقلب الأحرف الصحيحة) التي تفهم على كل حال على أنها تعني جنوب فلسطين حيث تقع صحراء النقب. ويضيف النصّ هنا بأن «جرار» تقع بين «قادش» (**قدش**) و«شور» (**شور**)، وبأن «ملكها» كان يسمى أبيمالك (**ء بي ملك**)، دون أن يأتي على أي ذكر لِـ **عزه**.

في سفر التكوين ٢٦ يعرّف أبيمالك بأنه «ملك الفلسطينيين» (بالعبرية **ملك فلشتيم**). ولا يرد شيء من هذا القبيل في سفر التكوين ٢٠. ويرد في سفر التكوين ٢٦ أيضاً ذكر «وادي جرار» (**نحل جرر**) بالترافق مع أسماء أربعة آبار هي «عسق» (**عسق**) و«سطنة» (**سطنه**) و«رحوبوت» (**رحبوت**) و«شبعة» أو «بئر سبع» (**شبعه، بءر شبع**). وهنا أيضاً لا يأتي النص على ذكر **عزه**.

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ١٤ : ٨ وما يلي (٩ وما يلي في «السبعونية» وفي الترجمة العربية وغيرها من الترجمات الحديثة) تظهر «جرار» بشكل بارز في قصة الحرب التي جرت بين «زارح الكوشي»، أو «زارح الحبشي» (**زرح هـ ـ كوشي**)، وآسا ملك يهوذا (حوالي ٩٠٨ ـ ٨٦٧ قبل الميلاد)[1]. وفي هذه الحرب، غزا «الكوشيون» أو «الحبشيون»

(١) ان تأريخ التاريخ التوراتي مبني على التواقت التاريخي، مثل ذلك المتعلق بحملة الحاكم المصري شيشانق الأول ضد يهوذا خلال حكم رحبعام ابن سليمان (انظر الفصل ١١). ولهذا، يمكن النظر اليه على أنه دقيق، بفارق بضع سنوات.

(**هـ ـ كوشيم**) يهوذا ووصلوا إلى «مريشة» (**مرشه**). وهناك ألحق الملك آسا بهم الهزيمة قرب «وادي صفاتة» (**جيء صفته**)، ثم انبرى يلاحق فلولهم حتى «جرار» حيث نهب البلدة وما حولها من زراعة ورعي. ويفهم من ذلك أن «جرار» وجوارها كانت تشكل في ذلك الوقت جزءاً من الأراضي «الكوشية»، ولذلك اقتصّ الملك آسا منها.

وفي بحثهم عن «جرار»، لم يكن أمام الباحثين التوراتيين وعلماء الآثار ما يسترشدون به غير الإشارات الواردة أعلاه، ولم يكن لديهم غير هذه المادة التوراتية لتحديد موقع أراضي الكنعانيين أو أراضي «الفلسطينيين»، ناهيك عن أراضي «الكوشيين». وقد اعتبر هؤلاء الباحثون أن **صيدن** و**عزه** المذكورتين في سفر التكوين ١٠ ما هما إلّا «صيدون» و«غزة» على الساحل الشامي، ولذلك افترضوا أن «أرض الكنعانيين» التوراتية كانت تتألف من الأراضي الداخلية لهاتين البلدتين، ولم تخطر ببالهم أية إمكانات أخرى. ولأن **عزه** التوراتية تظهر في مقاطع أخرى في التوراة العبرية كمدينة «للفلسطينيين» (انظر الفصل ١٤)، فقد افترض هؤلاء الباحثون أن أرض «الفلسطينيين» التوراتية كانت تشمل أراضي غزه الساحلية، وليس أي أرض خارج ما هو اليوم فلسطين الساحلية، خصوصاً وأن هذه الأرض ما زالت تحمل اسمهم (حول فلسطين وكنعان في الشام، انظر الفصل ١). وقد بدا ذكر «جرار» في سفر التكوين ٢٦ بالترافق مع **فلشتيم** بمفهوم «الفلسطينيين»، مضافاً إلى ذكرها في سفر التكوين ١٠ بالترافق مع **عزه** بمفهوم «غزة»، برهاناً كافياً على أن البحث عن «جرار» لا بدّ أن يكون في فلسطين الساحلية قرب بلدة غزة وليس في أي مكان آخر.

ولا بدّ من الإقرار بأن أسماء **صيدن** و **عزه** و **ءرص هـ ـ نجب** التوراتية هي نفسها اسماء صيدون (أي صيدا) وغزّة وأرض النقب في لبنان وفلسطين حالياً. وإذا كانت **ءرص هـ ـ نجب**، من بين هذه

الأسماء التوراتية الثلاثـة، تعني «أرض الجنوب» وليس «أرض النقب»، فإن صحراء النقب المعروفة تقع بالفعل في «جنوب» فلسطين. وقد يبدو في كل هذا ما يبرّر البحث عن «جرار» في فلسطين. ومن ناحية أخرى، يسود الاعتقاد بأن بءر شبع التوراتية، المسمّاة أيضا **شبعه** في سفـر التكوين ٢٦، ما هي إلّا بلدة بئر السبع المعروفة في فلسطين. لكن الواقع، على الأقل في هذه الحالة، هو غير ذلك. ومن هذه النقطة يمكننا أن ننطلق لإعادة البحث عن «جرار».

عندما قام علماء الآثار لأوّل مرّة بإجراء الحفريات في بئر السبـع في فلسطين، وهي البلدة ذات الاسم العربي المميز، كانت أقدم البقايا التي عثروا عليها هنـاك تعود، كـما سبق، إلى أواخر العهـد الرومـاني أو إلى العهد البيزنطي، عندما كان معظم المناطق الـريفية من الشـام قد أخـذ يستعـرب بسـرعـة. ومـا لبث هؤلاء العلماء أن اكتشفـوا تحصينـات في تلك الناحية وصفت اعتباطياً بأنها اسرائيلية، وأنها ربما كانت تعود إلى أيام التوراة، ولكن هذه التحصينات لم توجد إلّا على بعـد خمسة كيلومترات تقريباً من البلدة. وبئـر السبع بـالعربيـة تعني «بئر الـوحش المفترس»، ويمكنها أيضاً أن تعني «بئر السبع» بمعنى العدد ٧. وبهذا المعنى الأخير يمكن أن تؤخذ على أنها ترجمة عربية للتعبير العبري بءر **شبع**، الذي يمكنه أن يعني بطريقة ملتوية «بئر سبع» بمعنى العدد ٧ (وليس بئر السبع بالتعريف، وهذه بالعبرية بءر هـ ـ **شبع** وليس بءر **شبع**). لكن الأقـرب إلى العقـل هـو أن الاسم العبـري يعني «بئـر امتـلاء». والواضح أن الاسم البديل المعطى للمكان ذاته في سفر التكـوين ٢٠، الذي هو **شبعه** (بالتأنيث)، يعني «امتلاء، شبع (امتلاء المعدة)». ولكي يعني الاسم «بئر امتلاء»، كان عليه أن يكون بالعربية «بئر شبع» أو «بئر شباعة» وليس «بئر السبع». وهذا، مضافاً إلى الدلائل الأثرية السلبية، يقف ضد كون بئر السبع الفلسطينية هي «بئر سبع» التوراتية.

وقد سبق أن سفر التكوين ٢٦ يحدّد موقع «جرار» بالنسبة إلى «بئر

سبع»، بينما يحدّد سفر التكوين ١٠ موقع «جرار» بالنسبة إلى **عزه**. وهناك دليل معتمد للجغرافيا التوراتية (كريلينغ، ص ٨٠) يلخص البحث عن «جرار» بين غزة وبئر السبع في فلسطين كما يلي:

> «ما زال الموقع الصحيح للمكان الذي كانت جرار تقوم فيه غير أكيد، وهو يعتمد على كيفية تحديد مواقع البلدات الأخرى في المنطقة عموماً... وفي أواخر أيام الرومان كانت هناك منطقة **جراريتيكي**، ومن الواضح أنها سميت كذلك لأنها تكونت بالدرجة الأولى من أراضي جرار القديمة، وكانت بئر السبع من ضمنها في تلك الأيام. و**تل جمّة**، وهي هضبة أثرية هامة جنوب غزة، عرّفت بكونها جرار من قبل فليندرز بيتري الذي نقّب في بعضها في السنة ١٩٢٧. بعض الباحثين أظهر شكاً في هذا... وفضّل **تل الشريعة** شمال غرب بئر السبع. وعلى العموم، واستناداً إلى تقرير صادر في العام ١٩٦١، فقد وجد علماء الآثار الاسرائيليون أن هضبة غير بعيدة تقع على الطريق الممتد من بئر السبع الى غزة، هي **تل أبو هريرة**، وتحتوي على بقايا تعود إلى ما قبل عهد الهكسوس، هي أكثر أهمية من تينك الهضبتين، وتستحق المساواة مع جرار» (قارن مع سايمونز، الفقرة ٣٦٩).

وقد برزت في البحث عن «جرار» بين بئر السبع وغزة مشكلة مردّها إلى أن البلدة موصوفة في سفر التكوين ٢٠ على أنها تقع بين «قادش» (**قدش**) و«شور» (**شور**). ولا يمكن التعرّف إلى أسماء أماكن مماثلة في منطقة بئر السبع وغزة اليوم، مع الاعتبار بأن هذه المنطقة ربّما كانت **جراريتيكي** في آخر أيام الرومان. وتعريف المكانين المشار إليهما بمواقع موجودة في جنوب فلسطين وفي شبه جزيرة سيناء لا يقوم على أي اساس صلب، ولذلك يبقى في منتهى الضعف. ومرة أخرى، نقرأ في تلخيص كريلينغ:

«نقطة قادش ربما كانت نقطة محددة (ص ٦٩). . . وتقع قادش في مثلث العريش ـ رفح ـ قُسَيْمة، الذي هو في الواقع المنطقة الوحيدة في إقليم سيناء التي يمكن أن تكون قد وجدت فيها، في أية مرحلة زمنية، مجموعة من الرحّل من أي حجم كانت. إن مسح النقب (الفلسطيني) من قبل نلسون غلويك. . . منذ العام ١٩٥١، كان قد أكد حقيقة أنه كانت هنالك سكنى ملحوظة لهذه المنطقة في العصر البرونزي المتوسط، ثم في عصر الحديد الثاني، وبعد ذلك في أيام النبطيين والرومان. . . وهناك مكان يسمى عين قديس كان قد اكتشفه في العام ١٨٤٢ ر. رولاندز. . . وأعيد اكتشافه من قبل هـ. س. ترامبول الذي أعلن عن هذا الاكتشاف في العام ١٨٨٤. وعند عين القديرات القريبة، التي هي عبارة عن نبع أشدّ غزارة بكثير، توجد هضبة تمثل مستوطنة تضم قطعاً أثرية تعود بتاريخها إلى العصر الحديدي. واستناداً إلى غلويك، فإن هذا هو الموقع الرئيسي العائد إلى العصر الحديدي في المنطقة بأسرها (ص١١٧). . . ويعتقد أن يكون شور هو الاسم العبري لخط الدفاع المصري في برزخ السويس، بالرغم من أن تلك الكلمة، التي تعني «الجدار»، لا تصف بدقة بقايا التحصينات المصرية الموجودة هناك. واستناداً إلى عالم الآثار الفرنسي كليدات، الذي استكشف المنطقة، فإنها تبدو وكأنها كانت تتألف من نقاط محصنة غير متصلة فيما بينها. ومهما كان الأمر، فإن «الطريق إلى شور» [درك شور، سفر التكوين ١٦: ٧] ربما كانت طريق النقل القديمة من بئر السبع إلى مصر، والتي سماها وولي ولورنس درب الشور والتي تمر بـ خلاصه ورحيبة وبير بيرين ومويلح في الجنوب (ص٦٩)».

وباختصار، فإن تحديد علماء التوراة لموقعي «قادش» و«شور» في

جنوب فلسطين ما هو إلّا تكهن واهٍ لا يستند إلى أية معطيات ثابتة. أضف أنه لم يعثر على أي موقع يحمل اسم «جرار» في أي مكان بين عين قديس وبرزخ السويس. ولو وجد هناك بالفعل مكان اسمه «جرار» لوقع، في أي حال، على مسافة ملحوظة من غزة ومن بئر السبع، حيث يقوم المنقبون بالبحث عن آثار هذه البلدة التوراتية. وهذا ما يعيدنا إلى حيث بدأنا.

وتبرز مشكلات أخرى من خلال ذكر «جرار» في أخبار الأيام الثاني ١٤، حيث تبدو البلدة وكأنها تخص «الكوشيين» (هـ ـ كوشيم). وقد عرّف الكوشيون هؤلاء تقليدياً بكونهم «حبشيين»، وذلك لأن النصوص التوراتية كثيراً ما تربط بين كوش ومصريم، التي تؤخذ دوماً على أنها «مصر» (مع اعتبار أن بلاد الحبشة هي الجارة الجنوبية لمصر). وفي «السبعونية» (السبتواجينت) تسمّى كوش أحياناً باسمها هذا كما يرد بالعبرية، وفي أحيان أخرى تسمّيها باليونانية أيثيوبيا أو أيثيوبس (أي الحبشة)، وهذا ما زاد في تشجيع علماء التوراة على تعريف المكان بكونه الحبشة. وإذا نحن سلّمنا بأن الكوشيين كانوا بالفعل حبشيين، يبقى هناك السؤال: كيف تيسر لهؤلاء الحبشيين أن يسيطروا على أرض هي أرض «جرار»، ويفترض أنها كانت في فلسطين؟ وهل كان هؤلاء الحبشيون مصريين من عهد الأسرة الخامسة والعشرين، أي «الأسرة الحبشية» (٧١٦ ـ ٦٥٦ قبل الميلاد)؟ هذا أمر غير معقول، باعتبار أن سيطرتهم على «جرار»، على ما تفيده التوراة، كانت في عهد آسا ملك يهوذا الذي توفيّ قبل عهد «الأسرة الحبشية» هذه بحوالي قرن ونصف القرن. وفيما يلي إيجاز كريلينغ (ص ٢٧٢) للطريقة التي حلت بها هذه المشكلة:

> «الرواية في أخبار الأيام... تدعي المعرفة بغزو تم في أيام [آسا] قام به الكوشي أو الحبشي زارح... ولم يصل الحبشيون إلى السلطة في مصر حتى القرن التالي، وهكذا، فلا يمكن أن

هذا الكوشي كان فرعوناً. ولعلّه كان حاكماً مصرياً لمستعمرة في «وادي مصر» [أي وادي العريش][2] وللأراضي المحتلة من المصريين إلى شمالها وحتى «جرار». ونسمع في أمكنة أخرى أيضاً أن «أبناء حام» (أي الكوشيين) عاشوا بالقرب من قبيلة شمعون[3] في جنوب البلاد (أخبار الأيام الأول ٤ : ٣٩)، و«جدور» المذكورة هناك يجب أن تقرأ «جرار» (وحول مخالفة هذه النقطة الأخيرة انظر سايمونز، فقرة ٣٢٢).

ولا بد من الاضافة هنا بأن مريشة (**مرشه**) التي وصلها «زارح الحبشي» في غزوه ليهوذا قد عرّفت بأنها «تل صنداحنّة» في جنوب فلسطين (في جوار بيت جبرين من منطقة الخليل) «التي تمثل أيضاً البلدة التي اسماها اليونان والرومان مريسا... مباشرة شرق خربة مرعش، حيث استمر الاسم القديم في الوجود وما زال» (سايمونز، فقرة ٣١٨). والواقع هو أن اسم «مرعش» هو غير اسم «مريشة»، لأن حرف العين في الاسم الأوّل لا وجود له في الاسم الثاني. ولا يخلط بين هذين الاسمين المختلفين أصلاً إلاّ الأجانب الذي يجهلون الاحتكاك البلعومي المصوّت في الاسم الأول (وهو حرف العين) لأنهم يعجزون عن نطقه فيفترضون إمكان سقوطه في اللفظ. أما «وادي صفاته» (**جيء صفته**) فقد تعذّر تعريف وجوده في فلسطين إلى درجة أن لم تكن هنالك حتى الآن أية محاولة من قبل الباحثين للتكهن به. وأحد التفسيرات لذلك هو أن الصيغة العبرية للاسم **جيء صفته** قد لا تكون أكثر من خطأ في الإملاء أو غموض في النص (سايمونز، فقرة ٢٥٤).

---

(٢) الاسم هذا بالعبرية **نحل مصريم**، أي «وادي **مصريم**»، ويعتبر أنه يشير إلى وادي العريش الذي يفصل فلسطين عن سيناء. **ونحل مصريم** هو في الواقع الاسم التوراتي لوادي لية بمنطقة جيزان، حيث هناك الى اليوم قرية اسمها المصرم (انظر الفصل ١٥).

(٣) حول سبط شمعون وأراضيه في غرب شبه الجزيرة العربية، انظر الملحق.

ومما رأينا حتى الآن يمكننا إستنتاج ما يلي:

١ - إن موقع «جرار» التوراتية في فلسطين لم يحدد بعد بصورة مرضية، أو بصورة نهائية، وما من مكان في فلسطين استمر في حمل اسم مشابه.

٢ - يفترض علماء التوراة أن موقع «جرار» هو في جنوب فلسطين لأن سفر التكوين ١٠ يذكر المكان بالترافق مع **عزه** التي يعتقد أنها غزة الفلسطينية، في حين أن سفر التكوين ٢٦ يذكر المكان نفسه بالترافق مع **شبعة** أو **بءر شبع** التي يعتقد أنها بئر السبع الفلسطينية.

٣ - مع التسليم بأن «قادش» التوراتية قد تكون عين قديس، قرب وادي العريش، وبأن موقع «شور» قد يكون في مكان أبعد غرباً في سيناء، قرب برزخ السويس، يبقى هناك الواقع بأن بئر السبع وغزة هما من فلسطين، وليس من سيناء. وبناءً على ذلك، فلا يعقل أن يكون موقع «جرار» في الوقت ذاته بين بئر السبع وغزة، وبين «قادش» و«شور»، وهو ما يؤكده سفر التكوين ٢٠.

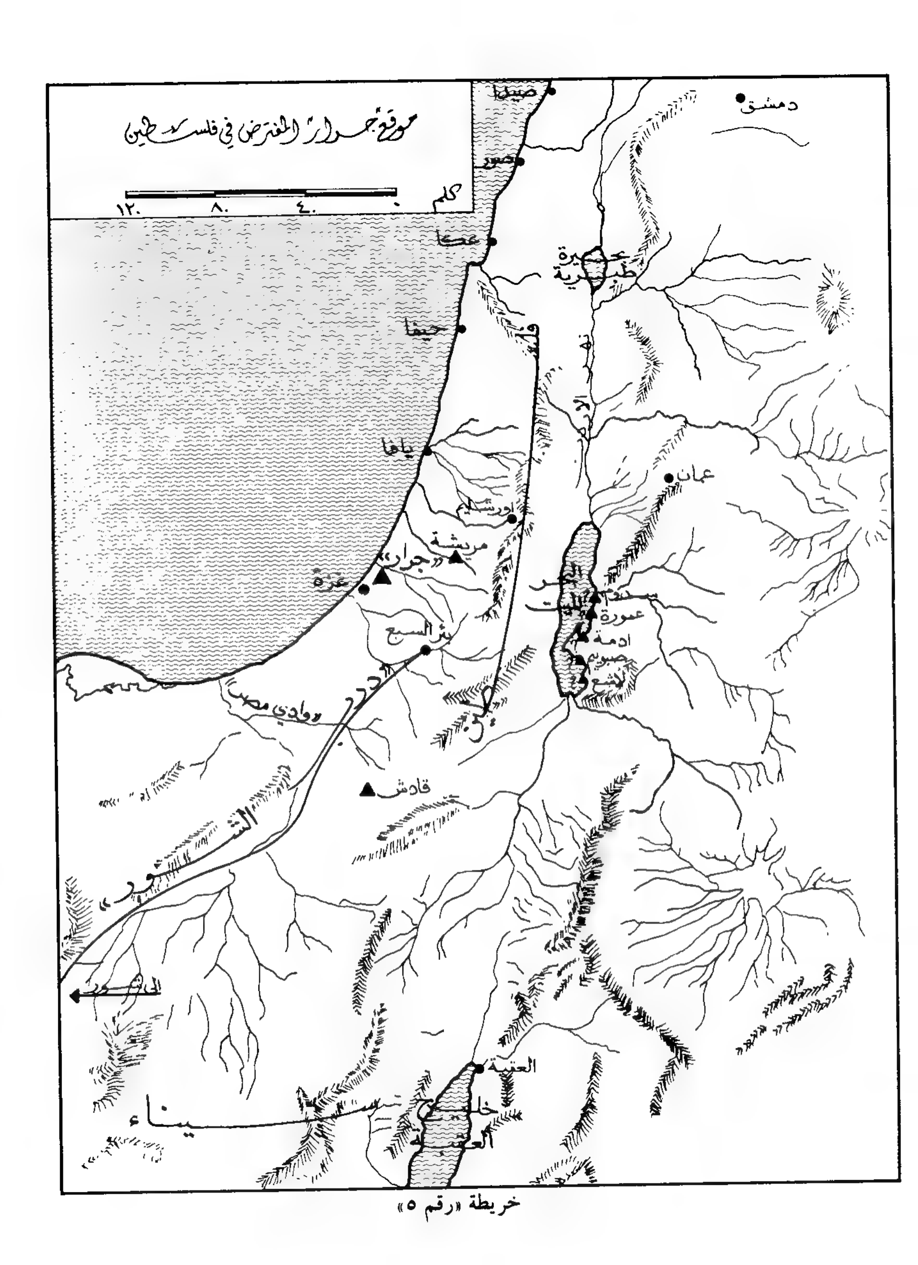
٤ - إذا كان الكوشيون التوراتيون حبشيين بالفعل، وكانت «جرار» في جنوب فلسطين، فإن سيطرة الكوشيين على «جرار»، الملمّح اليها بوضوح تام في أخبار الأيام الثاني ١٤، لا يمكن تفسيرها بسهولة.

ولحل هذا اللغز الغامض المحيط بـ «جرار»، قد يكون من الأفضل الانطلاق من الدليل الوارد في أخبار الأيام الثاني ١٤، ومحاولة تحديد الهوية الحقيقية للكوشيين المذكورين في هذا النص. وكما أشير سابقا، فان **كوش** يترافق ذكرها في النصوص التوراتية مع **مصريم**، التي تشير بالتأكيد إلى مصر في بعض الفقرات التوراتية (كما في الملوك الأول ١٤ : ٢٥ وما يلي، وفي أخبار الأيام الثاني ١٢ : ٢ وما يلي، وأيضاً في الملوك الثاني ٢٣ : ٢٩، وفي أخبار الأيام الثاني ٣٥ : ٢٠ وما يلي، وفي إرميا ٤٦ : ٢). أما في أماكن أخرى من التوراة (كما سنرى في الفصلين ١٣

و١٤) فإن اسم **مصريم** يشير إلى أي من مواقع عديدة في غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيها قرية المصرمة (**مصرم**)، ويلفظ اسمها محلياً المصرامة (**مصرءمه**)، في مرتفعات عسير بين أبها وخميش مشيط، أو قرية مَصر (**مصر**) في وادي بيشة في عسير الداخل. والباحث عن **كوش** في ذلك الجور العام يجدها فوراً في الكوثة (**كوث**) قرب خميس مشيط. وهذه عبارة عن واحة تقع على مسافة قريبة شرق أبها، وبالتالي في المنطقة ذاتها التي توجد فيها قرية المصرمة. وفي جوار خميس مشيط ايضاً تقع قريتا القرارة (**قرر**) والغُرَيرَة (**غرر**)، ولا بد أن إحداهما كانت هي «جرار» التوراتية (أو واحدة من «جرارات» التوراة). أما «شبعة» أي «بئر سبع» التوراتية[٤]، فما هي إلاّ قرية الشباعة (**شبع**، أو **شبعه**) في الجوار نفسه، وقد أفدت محلياً بأنها اليوم حيّ من خميس مشيط. وإليكم البرهان القاطع على ذلك.

لقد سبق القول بأن **بءر شبع** العبرية ربما كانت تعني «بئر امتلاء»، ولكنها قد تؤخذ خطأ على أنها تعني «بئر سبع» (من الرقم ٧). وفي حديثه عن عودة القائد الروماني آيليوس غالّوس من حملته العسكرية في شبه الجزيرة العربية في سنة ٢٤ قبل الميلاد، يصف الجغرافي اليوناني استرابون (١٦ : ٤ : ٢٤) بدّقة فائقة المراحل التي قطعها غالوس في طريق عودته من «نيغرانا» (وهي نجران) إلى «نيغرا» (وهي النجيرة، قرب ميناء أم لجّ الحالي) على ساحل البحر الأحمر، حيث ركب جنوده السفن التي أقلتهم عائدين إلى مصر. ويفيد استرابون أنه بعد أحد عشر

(٤) من الآبار الثلاثة التي ذكرت إلى جانب «شبعة» أو «بئر سبع» في سفر التكوين ٢٦، ما زالت «عسق» موجودة واسمها اليوم عكاس (**عكس**)، قرب أبها، غرب خميس مشيط. ويبدو أن البئرين الآخرين كانا يقعان عبر الجرف على الجانب البحري من شق عسير المائي حيث هناك «رحوبوت» التي هي اليوم الرَحَبات (**رحبت**) في منطقة بني شهر، وكذلك «سطنة» التي هي اليوم الشطين (**شطن**، وتعني بالعربية «حبل بئر الماء»)، في منطقة بلّسمر وبلّحمر.



موقع جرار المفترض في فلسطين
كلم
٠
٤٠
٨٠
١٢٠
صيدا
صور
عكا
حيفا
يافا
اورشليم
مريشة
«جرار»
غزة
بئر السبع
وادي مصر
قادش
الشور
سيناء
العقبة
دمشق
بحيرة طبرية
نهر الاردن
عمان
عمورة
ادمة
صبويم

خريطة «رقم ٥»

يـوماً من مغـادرته نجـران، وصـل غـالّـوس الى مكـان يسمى «الآبـار السبعة»، وهي محاولـة واضحة لتـرجمة الاسم التـوراتي **بـءر شبــع** أو **بـءر شبعـه**. وفي دراسته لنص استـرابون في ضـوء استكشافـاته لشبـه الجزيرة العربية، قدّر الرحّالة البريطاني فيلبي (H. St. J. B. Philby, **Arabian highlands**, Ithaca, N. Y., 1952, p. 257) أن «الآبار السبعة» هذه لا بد أن تكون خميس مشيط، التي تقع على مسافة تبلغ ٢٦٠ كيلومتراً من نجران. ولاحظ فيلبي وجود قرية الشباعة بين مجموعـة من القرى تحت خميس مشيط في منطقة «تروى جزئياً بالفيضانات وجزئياً من الآبـار التي هي في معظمها من ذوات الفوهة الـواسعة. . .» (ص ١٣٢). لكنـه لم يلاحظ أن اسم قريـةالشباعـة هذه يـطابق تمامـاً اسم **شبعه** التـوراتية، المعرّفة في سفر التكوين ٢٦ بأنها اسم آخر بديل لاسم **بـءر شبع**. وقد افترض فيلبي بأن خميس مشيط نفسها ربما كـانت تسمى ذات يوم «بـير سبع» (ص ٢٥٧).

ويفيد استرابون بأن رحلة غالّوس من «الآبار السبعة» إلى «نيغـرا» استغرقت أربعين يوماً، ويصف «نيغرا» بأنها قرية عند البحر. وفي طريقه من «الآبار السبعة» إلى «نيغرا»، مرّ غالّوس في مكان اسمه «كالا»، وآخر اسمه «مالوثاس» يقع على ضفة «نهر». وقد فات على فيلبي أن ينتبه إلى قول استرابون الواضح بأن «نيغرا» كانت بلدة عند البحر، حيث كانت ترسو السفن التي أقلّت غالّوس وجنده في طريق عودتهم إلى مصر، فحاول تعريف «نيغرا» بكونها مدائن صالح شمال المدينـة، في داخل الحجـاز. وهكذا أضاع التعريف الصحيح لـ «كالا» و«مالوثاس»، معتبراً أن الأولى هي «قلعة» بيشة، في وادي بيشـة، وأن الثانيـة هي تُرَبَـة أو الخُرْمَـة في منطقة الطائف (ص ٢٥٧). والواقع هو أن الطريق من خميس مشيط إلى الساحل يتبع مسار «نهر» وادي الضِّلَع في منطقة رجال ألمع، حيث توجد حتى اليوم قريتان تسميان القلعة (كالا) والملاذة (مالوثاس). وتستمر هذه الطريق نزولاً حتى تصل إلى بلدة الدرب، وهناك تلتقي بطريق أخـرى

تتابع مسارها شمالاً عبر الصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى أم لج والنجيرة (نيغرا). وهذا ما يقوله استرابون تحديداً: «وطريقه من هناك تقع عبر بلاد صحراوية، ليس فيها إلا القليل من الآبار». والمسافة بين جوار خميس مشيط وأم لجّ أو النجيرة على امتداد الطريق الموصوفة تقدّر بحوالي ١١٠٠ كيلومتر، وهي مسافة يمكن قطعها سيراً في أربعين يوماً.

وباختصار، فإن «الكوشيين» (وبالتأكيد أولئك الوارد ذكرهم في أخبار الأيام الثاني ١٤) لم يكونوا «حبشيّين»، بل أهل قبائل من جوار الكوثة (أي مرتفعات خميس مشيط)، في الأجزاءالعليا من وادي بيشة، غير بعيد عن الانحدار من الشباعة، التي هي بءر شبع أو «بئر سبع» التوراتية. وأما «يهوذا» التي غزاها هؤلاء «الكوشيون» فهي المنحدرات الغربية لعسير الجغرافية (انظر الفصل ٨). وبالتقدم باتجاه «يهوذا» هذه، كان زارح، من الكوثة، قد وصل الى «مريشة» أو مرشه التي هي اليوم إما المشار (مشر) أو المَشاري (مشر)، في منطقة القنفذة. وفي هذه المنطقة وجوارها بالذات مجرى وادي حلي حيث هناك على الأقل قرية واحدة تسمى الصِفَة، وأحد المعاجم الجغرافية يدرج اثنتين، ربما خطأً. وهكذا، فلا بدّ أن جيء صفته التوراتية هي إشارة إما إلى المسار الرئيسي لوادي حلي، أو الى رافد لهذا الوادي حيث تقع حالياً قرية الصفة(قارن بالعبرية صفته). وكان على زارح أن يعبر جرف عسير الرئيسي من وادي بيشة لكي يصل إلى المشار (أو المشاري) وإلى وادي حلي في منطقة القنفذة. وبعد أن هزم زارح هناك تراجع عبر الجرف الى وادي بيشة، وتبعه الملك آسا إلى هناك حيث نهب رجاله «جرار» وجوارها الغني.

وإستناداً إلى سفر التكوين ٢٠، كما ذكر سابقاً، فان «جرار» كانت تقع بين «قادش» و«شور». و«جرار» هذه (التي تبدو هي تلك المذكورة في سفر التكوين ٢٦ وفي أخبار الأيام الثاني ١٤) لا بد أنها كانت القرارة

الحالية وليس الغريرة، في جوار خميس مشيط، باعتبـار أن القرارة هـذه تقع على امتداد الطريق الرئيسي بين الكَدَس (قارن بالعبريـة **قدش**) في رجال ألمع، وآل أبو ثور (**ثور**، قارن بـالعبريـة **شور**) في وادي بيشـة. وليس هنـالك أي التبـاس في الإحـداثيـات هنـا، ولا حتى في تعـريف «قادش» و«شور» باسميهما، من دون أي لجوء إلى الحدس أو البراعة، أو إلى التأويل المصطنع لاكتشافات أثرية لا علاقة حقيقية لها بالأمر.

وأكثر من ذلك، فإن هنالك في إصحاحي سفـر التكوين ٢٠ و٢٦ ذكر لملك لِـ «جرار» يدعى أبيمالك (**ءبي ملك**) وصف في سفر التكوين ٢٦ بأنه ملك «الفلسطينيين»(**فلشتيم** والمفرد **فلشتي**، نسبة إلى **فلشت** أو **فلشه**). وهنا لا بد من إبداء ملاحظتين. الأولى هي أن كامل المنطقة التي تقع على جانبي الشق المائي شمال غرب خميس مشيط، بما فيه الجزء من وادي بيشة حيث توجد القرارة، يحمل الى اليوم الاسم القبلي «بني مالك» (**ملك**). وهناك أيضاً قرية تسمّى «بني مالك» في المنطقة نفسهـا. وهذا يمكنه أن يعني أن «أبيمالك» (التي تعني حرفياً «والد مالك») الـواردة في اصحاحي سفر التكوين ٢٠ و٢٦ لم تكن بالضرورة اسماً لشخص معيّن، بل ربما كانت لقباً أطلق قديماً في المنطقة على زعماء قبيلة مالك الذين كانوا أيضاً «ملوك» القرارة. وإذا أخذ في الاعتبار تفاوت الأجيال بين القصص الواردة في الاصحاح ٢٠ والاصحاح ٢٦ من سفر التكوين، فإنه يصعب أن يكون «أبيمالك» في القصتين هو الشخص نفسه. والملاحظة الثـانية تتعلق بـ «جرار» (أو القرارة) و«الفلسطينيين» (انظر الفصل ١٤). فالى الشمال من القرارة، في حوض وادي بيشة، ما زالت هناك قرية تدعى الفلسة (يقابلها بالعبرية **فلشه**). ولو أطلق الاسم العبـري على سكـانها لسموا **فلشتيم** (جمع النسبة بالعبرية الى **فلشه**، أي الفلسة). وكان يمكن بسهولة للفلسة هذه أن تكون جزءاً من الأرض التابعة للقـرارة في زمن معين أو آخر، وهو ما يفسر لماذا وصف « أبيمـالك»، حيثما ذكر في سفر

التكوين ،بأنه ملك «جرار» ، وكذلك ملك الـ **فلشتيم** ، أي أهـل **فلشـه** (أو «الفلسطينيين») .

ويلاحظ أن الإحداثيات المذكـورة لـ «جرار» في سفـر التكوين ٢٠ و٢٦ وأخبار الأيام الثاني ١٤ تختلف كلياً عن تلك المذكورة لـ «جـرار» سفر التكوين ١٠ ، حيث يـرد ذكر «جـرار» في مجال الكـلام عن حدود أرض الكنعـانيين (**هـ ـ كنعني**) الممتـدّة من **صيـدن** إلى **عـزه**. ويضيف النص هنا أن الحد الآخر لأرض الكنعانيين يبدأ هو أيضاً من **صيـدن** ، فيمتد منها «باتجاه سدوم (**سدم**) وعمورة (**عمره**) وأدمة (**ءدمه**) وصبوييم (**صبيم**) الى لاشع (**لشع**)» .

ومن المؤكـد أن **صيـدن** الـواردة هنـا ليست هي الميـنـاء اللبنـاني «صيدون» (التي هي اليوم صيـدا) . ومن بين أربع «صيدونـات» تدعى «زيدان» أو «آل زيدان» (**زيدن**، قارن بالعبرية **صيدن**) توجد حتى اليوم في أجزاء مختلفة من عسير، فإن تلك الواردة في سفر التكوين ١٠ لا بدّ أن تكون اليوم قرية آل زيدان في مرتفعات جبل شهدان ، وهو قمة من جبـل بني مالـك ، في أراضي جيزان الـداخلية ، تسيـطر على ممـر جبلي استراتيجي على امتداد الحدود الحالية بين منطقة جيزان وشمال اليمن . ومن آل زيدان هذه يمتد الحد الثاني للأرض الكنعانية المـذكور في سفـر التكوين ١٠ غربـاً باتجـاه ساحـل البحر الأحمـر، لينتهي عند آخـر خط القرى عند طرف الصحراء الساحلية ، بين وادي صبيا والمنطقة المعروفة بقنا والبحر، شمال وادي عِتود . وكما سنرى في الفصل ٧ ، فان المـدينة البائدة «سدوم» (**سدم**) ما زال اسمها موجوداً في تلك المنطقة حتى اليوم بشكـل محرّف في اسم وادي دامس (**دمس**) ، وهـو رافـد لـوادي صبيا . ووادي دامس هذا يمتد مباشرة شمال البركـانين التـوأمين لجبـل عكوة ، وبين حقول حممها . وأما «عمورة» (**عمره**) فربّما أنها هي أيضاً مدينة بائدة تجثم ، مثل «سدوم» ، تحت حمم وادي دامس ، أو أنها اليوم قريـة الغمر

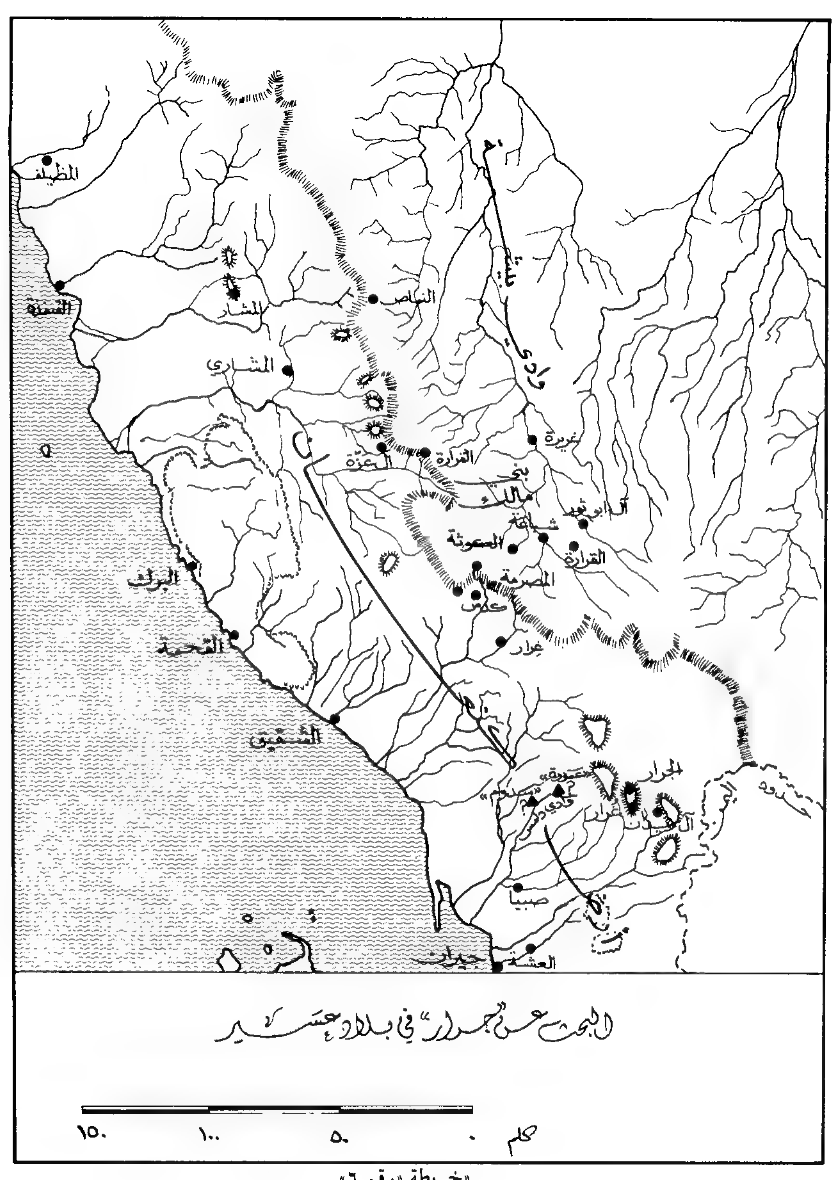
(غمر)، التي تقع على منحدرات جبل هَروب، فوق وادي دامس. وعلماً بـأن لفظة صبيم أو صبييم بـالعبـريـة هي مثنى صبي، أي «غـزال» أو «ظبي»، فلا بدّ أن اسم «صبوييم» التوراتي يشير إلى البلدتين الحـاليتين التوأمين المتواجهتين عبر المسار الـرئيسي لوادي صبيـا، وهما بلدة صبيـا (صبيء، وهو الاسم العبري صبي مع لاحقة التعريف الآرامية) وبلدة الظبية (الصيغة العربية للاسم نفسه، مع أداة التعريف العربية المسبقة). وفي موقع أبعد شمالاً هناك «لاشع» (لشع) في حوض وادي بيش، وقد جرى تحريف اسمها إلى الصيغة العربية الحالية العشة (ءل عـش، حيث تلفظ اللام كأداة التعريف العربية). وأبعد أيضاً إلى الشمال تقـع أدمة (ءدمـه) عبر وادي عتـود في منطقـة قنا والبحـر، قـد تحـوّل أسمهـا في التعـريب إلى الدومـة (دمه، بـاسقاط الهمـزة البدئيـة للصيغة الأصليـة للاسم، كما يحصل في أحوال كثيرة).

هذا بالنسبة إلى الحد الثاني للأرض الكنعانية، كما هو محدد في سفر التكوين ١٠، وهو يمتد، كما قلنا، من قرية آل زيدان في جبل شهدان إلى الصحراء الساحلية للبحر الأحمـر غربـاً. أمّا الحـد الأول لهذه الأرض، الذي هو باتجاه «جرار»، فينطلق من آل زيدان إلى الشمال، حيث يتبع خط الشق المائي ليصل الى عزه. وهذه اليوم ليست «غزة» بل آل عزّة، وهي قرية جذابة جميلة تتعالى بنفسها على ذروة جبل من منطقة بلّحمر في السراة، جنوب النماص (وهناك أمكنة عديدة أخرى تحمل الاسم نفسه في عسير، في حين أن هنـاك «غزة» واحـدة فقط في ساحـل فلسطين). والواضح أن اسم آل عزة هو الاسـم التوراتي عزه بالـذات، بينما اسم البلدة الفلسطينية هو «غزة» بـالغين، مـع العلم بأن العـين العبريـة قد تنقلب غيناً في العربية.

وهذا يقودنا إلى مسألة «جرار» (جرر) الواردة في سفر التكوين ١٠، والتي ذكرت فيه للإشارة إلى الاتجاه الذي يتبعه الحد الكنعاني الممتد من

صيدن الى عزه. وأول جرار هناك، إلى الشمال من قرية آل زيدان، هي غُرار (غرر) في جبل بني مالك. والثانية تقع في مكان أبعد إلى الشمال، وهي الجرار (جـرر) في جبل هَروب. والثالثة أبعد أيضاً إلى الشمال، وهي غِرار (غرر) عبر وادي عِتْوَد في رجال ألمع. والرابعة أبعد أيضاً وأيضاً إلى الشمال وقريبة من آل عزة، وهي القرارة (قرر) التي تقع في مرتفعات السراة بالقرب من تنومـة، إلى الجنوب من النمـاص. وفي حين أن ليست هنالك أية «جرار» في لبنان وفلسطين، بين صيدا وغزة، أو حتى بعد غزة إنطلاقاً من صيدا، فهناك ما لا يقل عن أربعة في مرتفعات عسير، بين آل زيدان وآل عزة، مما يجعل الباحث يحتار في أي من هـذه الأربع كانت «جرار» التي يعنيها سفر التكوين ١٠ بالفعل، والتي كانت تقع على امتداد الحد الكنعاني تماماً.

وفي ضوء ما ورد أعلاه، فإن أرض الكنعانيين التوراتيين، في غرب شبـه الجزيـرة العربيـة وليس في فلسـطين، كـان يفتـرض بهـا أن تضم المنحدرات البحرية لعسير من منطقة بلّحمر في الشمال، عبر رجال ألمع، إلى منطقة جيزان في الجنوب، ومعـظم هذه المنـطقة ضمنـاً. وهنا يمكن ملاحظة وجود قريتين تسميان قناع (قنع، قارن بالجذر كنع، ومنه كنعن) في منطقة المجاردة شمال منطقة بلّحمر. وفي الجوار الأوسع ذاته هناك قرية تسمى العزّة، وكذلك قرية تسمى القناع، وواحدة تسمى ذي القناع، وواحدة تسمى القَنَعات (جمع مؤنث لـ قنع). وهناك قريتان تسميان القنعة (مؤنث قنع) توجدان في منطقة جيزان، هذا دون أن نتطرق إلى ذكر أسماء الأمكنة المشتقة من الجذر نفسه في أجزاء أخرى من عسير وجنوب الحجاز. وأخيراً، هناك قرية تسمى آل كُنعان (ءل كنعن، وتعني حرفياً «إله كنعان») في وادي بيشة، عبر الشق المـائي من منطقـة المجاردة. والدليل الأسمي المتعلق بموقع الكنعانيين التوراتيين (تفريقاً عن أولئك الشاميين) في غرب شبه الجزيرة العربية يستـدعي إعادة نظر



المظيلف
القنفذة
النماص
المشاري
وادي تثليث
غزيرة
القرارة
بني مالك
آل ابو ثور
شعاعة
القرارة
البرك
القحمة
غرار
الشقيق
الجوار
صبيا
العشة
جيزان
البحث عن "جرار" في بلاد عسير
كلم ٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠

«خريطة «رقم ٦»

دقيقة وبالعمق في الأفكار الشائعة حول هذا الموضوع (انظر أيضاً الفصلين ١٤ و١٥، وحول الكنعانيين الشاميين انظر الفصل ١).

ويتضح تماماً مما ورد أعلاه أن «جرار» سفر التكوين ١٠ ليست «جرار» نفسها الواردة في سفر التكوين ٢٠، وسفر التكوين ٢٦، وأخبار الأيام الثاني ١٤. نصّ سفر التكوين ١٠ : ١٩ وحده يذكر **جرر** بالترافق مع **عزه**، وهي آل عزّة في منطقة بلّحمر تفريقاً لها عن المكانين الآخرين اللذين يحملان اسم «العزّة» في عسير الساحلية (وحول واحد منهما، انظر الفصل ١٤). وأما بالنسبة لِـ «جدور» (**جدر**) الواردة في أخبار الأيام الأول ٤ : ٣٩ وما يلي، فالأكيد أن اسمها ليس قراءة مشوّشة لاسم «جرار» (بقلب الراء في **جرر** إلى الدال في **جدر**)، كما هو مفترض. ونظراً لوجود «جدور» هذه في الأزمنة التوراتية في جنوب بلاد الشمعونيين (انظر الملحق)، فلا بد أنها اليوم قرية الغدر في جبل فيفا من منطقة جيزان، على وجود عدد من الإمكانات الأخرى.

وفي ضوء هذا كله، فلا بدّ أن موقع **ءرص هـ ـ نجب** التوراتية بين «قادش» و«شور»، المذكور في سفر التكوين ٢٠ بالترافق مع «جرار»، هو جوار قرية النقب (**نقب** مع أداة التعريف العربية، قارن بالعبرية **هـ ـ نجب**)، في رجال ألمع، على الجهة الأخرى من الشق المائي من قرارة خميس مشيط.

وهكذا أصبحت القضية الآن واضحة، فليست هناك أية «جرار» قرب غزة في فلسطين. وبين الكثيرات الموجودات في عسير، فان واحدة (القرارة، قرب خميس مشيط) هي «جرار» المذكورة في سفر التكوين ٢٠ و٢٦ وفي أخبار الأيام الثاني ١٤، وأخرى (أي من غُرار والجرار وغِرار والقرارة، بين جبل بني مالك وسراة بلّحمر) هي تلك المذكورة في سفر التكوين ١٠. وأخيراً، لا بد من ملاحظة أن تعريف «جرار» الأولى يسير جنباً إلى جنب مع تعريف «كوش»، و«فلشة»، و«بئر سبع»، و«عسق»،

و«سطنة»، و«رحوبوت»، و «قادش»، و«شور»، و«مريشة»، و«صفتة»، و«النقب» في الجوار العام نفسه، بين ناحية خميس مشيط والمناطق الواقعة عبر الشق المائي إلى الغرب. وتعريف «جرار» الثانية يسير جنباً إلى جنب مع تعريف «سدوم» و«عمورة» و«أدمة» و«صبويم» و«لاشع» التوراتية في اتجاه، ومكانين آخرين اعتبرا حتى الآن «صيدون» (أي صيدا) و«غزة» الشاميتين في اتجاه آخر، أضف إلى ذلك تحديد الهويّة الجغرافية لأرض كنعان التوراتية على منحدرات عسير البحرية، بين منطقتي المجاردة وجيزان. وعلماء الآثار لم يحفروا بعد المناطق موضوع البحث أو أي جزء آخر من عسير بهذا الغرض، وربّما وجدوا هناك في يوم من الأيام مفاجآت كثيرة. وكما يقول جيرالد دي غوري، وهو من آخر الرحّالة البريطانيين الذين وصفوا شبه الجزيرة العربية:

«هناك في وديان عسير واليمن والحجاز خرائب قد تقدم ذات يوم لعلماء التاريخ وللعالم معرفة أكبر بالدول القديمة... و... بالممالك الأقدم لشبه الجزيرة العربية، وقد تفصح بوضوح عن معاني الكتب المبكرة للتوراة وعن معاني التلميحات التاريخية في القرآن. ومن يدري أية كنوز تاريخية ترقد دفينة في خرائب عسير الدارسة؟»(٥).

Gerald de Gaury, **Arabia Phoenix** (London, 1946), p. 119. (٥)

٥ - مالم يكتشف في فلسطين

إننا نعتبر في العادة أن الدقّة والأمانة في العمل هما من شيم أهل الاختصاص. وفي حقل مثل حقل التاريخ القديم، قليلون منا هم القادرون على النظر في صحة ما يقوله الاختصاصيون. فليس كلنا عالم آثار، ولغاتُ العالم القديم، بكتاباتها الغريبة، هي ألغاز بالنسبة لمعظمنا. ولهذا، عندما يقول الاختصاصيون رأيهم في موضوع ما نأخذ ما يقولون على أنه كلام ثقة ونترك لهم وحدهم أن يختلفوا حول النقاط القابلة للجدل. وهذا ما يمكنهم من أن ينفذوا بأخطائهم دون حساب في المسائل التي يختارون الاتفاق عليها لسبب أو لآخر. وهذا يصل بالفعل حد الفضيحة في ميدان علم الآثار التوراتي وفي دراسة النقوش والنصوص القديمة التي درج اعتبارها رديفة للتوراة.

هناك أحجار قديمة في كل ركن من أركان الشرق الأدنى، أحفر أنّى شئت وستجد بعضاً منها. لكن الحفر هو شيء، وما يفعله الباحث بنتائج الحفر هو شيء آخر، وهنا يكمن الفارق بين البحث الأثري العلمي في الشرق الأدنى، وما يسمى بعلم الآثار التوراتي. فالأول هو عبارة عن محاولات منظمة وموضوعية لدراسة الثقافات والحضارات القديمة للمنطقة ولتتبع تطورها، مرحلة بعد أخرى، على أساس بقاياها المادية، مع الإدراك التام لحدود المعرفة التي يمكن التوصّل اليها بهذه الطريقة. والثاني لا يمثل أكثر من بحث عن بقايا مادية في مناطق معيّنة حددت مسبقاً على

أنها من أرض التـوراة، وذلك لتـوفير البـرهان الأثـري لمفـاهيم مسبقـة للتاريخ التوراتي. وهكذا، عندما يعثر عالم آثار توراتي على بقايا تحصينات قديمة قـرب بلدة بئر السبـع الفلسطينيـة (انظر الفصـل ٤)، يسم هذه التحصينـات بأنها «اسـرائيلية» قبـل أن يفكر مـرة واحدة في إمكـانـات أخرى. وعندمـا يعثر عـالم آثار تـوراتي آخر عـلى مناجم للنحـاس قرب إيلات الحديثة إلى الغرب من ميناء العَقَبة، ويعثر على ختم نقشت عليها كلمة ليتم في الجوار العام نفسه، يسارع إلى الاستنتاج بأن هذا الختم لا بد أنه كان يخصّ «يوثام» (لـ ـ يتم) ملك يهوذا، ثم يعلن للعالم، ودون أن يرف له جفن، اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لمناجم نحاس الملك سليمان، ولمدينة «عصيون جابر» التوراتية التي كان الاسرائيليون ينطلقون منها بحثاً عن الذهب.

وليس في البحث الأثري عن المواقع التوراتية خطأ من حيث المبدأ. لكن الخطأ هو في الوصول إلى الاستنتاجات التاريخية وتأكيدها على أساس دلائل أثرية غير حـاسمة. وهنـا تصبح المنقـوشات هـامة. وعـلى سبيل المثال، فربّما كان نلسون غلويك على تمام الحق في إعلانه عن اكتشاف موقع توراتي حول مدينة إيلات الحديثة لو كان النقش على الختم الذي وجده هناك يقول ليتم ملك يهوده (أي «ليوثام ملك يهوذا»). لكن غلويك لم يجد على الختم المذكور غير كلمة ليتم، ولذلك فإنه لم يكن مصيباً بالضرورة حتى في قراءته للكلمة على أنها لـ ـ يتم (أي بلام مفصولة). ولعلّ الكلمة كانت بالفعل لـ ـ يتم بالإشارة إلى «يوثام» آخر لم يكن ملكاً ليهوذا، وربّما لم يكن يهودياً. وربما كانت الكلمة أيضاً تشير إلى إله يسمى يتم، يحتمل أن يكون هو الإله المصري أتوم، الذي يكتب اسمه في تهجئته الأصلية ءتمو. وهناك مقابل إيلات، عبر وادي عربة، واد يدعى وادي اليُتْم (يتم) حتى يومنا هذا. فهل أن هذا الوادي، مثله مثل الختم الذي وجده غلويك، يحمل اسم «يوثام» المذكور نفسه، كائناً من كان، أم أن الاسم في كلتي الحالتين هو اسم الإله المصري أتوم؟

ولنأخذ مثالاً آخر. ففي العام ١٨٨٠، عثر على نقش صخري في سلوان، قرب القدس، يشرح كيف جرى حفر قناة مائية هناك عن طريق التنقيب من نهايتي النفق في آن معاً. هذا النقش الصخري موجود حالياً في متحف الشرق القديم في استانبول. ولو قال النقش «إن هذا النفق حفر في عهد الملك حزقيا» لكان فيه تأكيد واضح لنصّي سفر الملوك الثاني ٢٠ : ٢٠ وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٣٠، اللذين يتحدثان عن بركة وقناة أنشأهما الملك حزقيا، ملك يهوذا. لكن الواقع هو أن النقش المذكور لا يشير إلى أية أسماء، سواء كانت أسماء أشخاص أم أسماء أمكنة، ولذلك لا تجوز نسبته قطعاً إلى عهد حزقيا، كما فعل الباحثون التوراتيون زيفاً. ويبدو أن هؤلاء الباحثين لم يأخذوا في اعتبارهم أن الأقنية المائية كانت تحفر في كل الأزمنة، أينما كان، ومتى ظهرت الحاجة إليها. والواقع أن نقش سلوان لا يشير حتى إلى أن القدس الحالية هي فعلاً أورشليم التوراتية، لأنه لا يذكر اسم الموقع.

وكما في حالتي ختم ايلات ونقش سلوان، فإن كل ما يوصف بأنه كتابات «عبرية» منقوشة في فلسطين (وللدقة، فانها نقوش كنعانية) كان قد أجبر، بفعل «علم التوراة» الحديث، على تقديم أكثر مما يحتويه من معلومات. وفي جملة الأمثلة على ذلك القطع الفخارية المنقوشة التي عثر عليها بجوار نابلس في العام ١٩١٠ وكرست على أنها «نقوش السامرة»، على أن اسم «السامرة» (وهو بالعبرية شمرون) لا يظهر قط عليها. وقد أُرّخت القطع الفخارية هذه على أنها تعود إلى أعوام ٧٧٨-٧٧٠ قبل الميلاد، وهي تحتوي على سجلات لمبادلات تجارية بين أشخاص ربما كان بعضهم يهوداً، حكماً على ما ورد من أسمائهم الشخصية. ولكن هذه القطع الفخارية لا تذكر حتى اسم مكان واحد، ولا هي تشير، ولا من بعيد، إلى أية شخصية أو حادثة توراتية. وإذا كان تأريخ هذه القطع صحيحاً، ولو بشكل عام، فهذا يعني أنها تبرهن بمجموعها على أن يهوداً

كانوا يعيشون في جوار نابلس في فلسطين في القرن الثامن قبل الميلاد. ولكن ليس هنالك أي مبرر لأي استنتاج منها يتعلق بأية نقطة من نقاط التاريخ التوراتي أو الجغرافيا التوراتية. أضف أن هذه القطع لا تثبت بأي شكل أن المكان الذي عثر فيه عليها كان «السامرة» التوراتية، وهو ما يعني أنه لا بد من إعادة النظر حتى بالاسم «نقوش السامرة» الذي أطلقه الباحثون التوراتيون عليها.

ولا بدّ هنا من التصدّي لمسألة «نقوش لاخيش»، وهي قطع فخارية منقوشة عثر عليها في تل الدوير، في جنوب فلسطين، في العام ١٩٣٥ والعام ١٩٣٨. وهناك إجماع بين علماء التوراة على أن هذه النقوش تقدم دليلاً «قاطعاً، لا لبس فيه» على أن تل الدوير كانت «لاخيش» (بالعبرية لكيش) التوراتيه. والواقع هو أن النقوش المذكورة لا تقدّم أي دليل من هذا النوع.

إن «نقوش تل الدوير» (كما يجب تسمية هذه القطع الفخارية في الواقع) هي عبارة عن مجموعة من التقارير والشكاوى أرسلها رجل يدعى «هوشعيه» (هوسعيهو)، وهو قائد لقوة يهودية كانت معسكرة في وقت ما في مكان غير معروف الموقع، إلى رئيسه «ياوش» (يءوس) الذي يتوجه إليه بلقب «مولاي» (في الأصل ءدني)، والذي كان مقيماً على ما يبدو في تل الدوير باعتبار أن النقوش المرسلة اليه اكتشفت هناك. ولدى قراءة هذه النقوش اقتنع باحثون توراتيون مثل و. ف. ألبرايت بأنهم وجدوا اشارة واضحة إلى «لاخيش» التوراتية في النقش الرابع، وكذلك إشارة إلى «عزقة» التوراتية في النقش نفسه، وإشارة إلى «أورشليم» (وهي الاشارة المزعومة الوحيدة حتى الآن في منقوشة فلسطينية) في النقش السادس. وفي حالة النقش الرابع فان القراءة المقبولة للمنقوشة تبدو قابلة لاعادة النظر بشكل جذري. أما في حالة النقش السادس، فان قراءة اسم «أورشليم» ما هي إلاّ تزوير فاضح لا يمت إلى الأمانة

العلمية بصلة.

ففي النقش الرابع جاء في النص الأصلي للجملة التي أخذت على أنها تشير إلى «لاخيش» وإلى «عزقة» بالإسم ما يلي: **ويدع كي ءل مسءت لكس نحنو سمرم ككل هـ ـ ءتت ءسر نتن ءدني كي لء نرءه ءت عزقه**. وهذه الجملة قرئت وأوِّلت على أنها تعني: «وليعرف [مولاي] (**و ـ يدع**) أننا نراقب (**كي**. . . **نحنو سمرم**) إشارات لاخيش (**ءل مسءت لكس**)، استناداً إلى كل المؤشرات التي أعطاها مولاي (**ك ـ كل هـ ـ ءتت ءسر نتن ء دني**)، لأننا لا نستطيع أن نرى عزقة (**كي لء نرءه ءت عزقه**)» . والتأويل هذا لما جاء في الأصل يفترض ما يلي:

١ ـ إن **مسءت**، كجمع لـ **مسءه**، هي اشتقاق من الفعل **نسء** بمعنى «ارتفع» أو «صعد»، وهي بالتالي تشير إلى «إرتفاعات» أو «صعودات» الدخان، وبالتالي الى «إشارات» عسكرية. والواقع هو أن الفعل **نس ء** يعني أيضاً «حَمَلَ». ومن هنا، فالأقرب إلى العقل أن كلمة **مسءه**، وهي اسم الفعل من **نسء**، تعني «حمل»، أي «حمولة»، وليس «صعودا» أو «ارتفاعاً»،وبالتالي «إشارات» عسكرية، أي «ارتفاع الدخان» (ليس هناك ذكر للدخان في النقش أصلاً).

٢ ـ إن **لكس** يجب أن تقرأ ككلمة واحدة، هي اسم لاخيش (**لكيش**). أما إذا قرئت الكلمة على أنها **ل ـ كس**، باعتبار اللام الأولى حرف جرّ، فان المعنى الذي تعطيه يصبح «للطعام»، إذا فسرت **كس** كاسم مشتق من **كسه** «امتلأ أو شبع بالطعام» (قارن بالعربية «كشأ من الطعام، أي امتلأ به»).

٣ ـ إن **سمرم**، كجمع لـ **سمر**، تعني «مراقبون». ويمكن للكلمة أيضاً أن تعني «منتظرون»، لأن الفعل **سمر** (**شمر في العبرية**) يفيد معنى الانتظار بالإضافة إلى معنى المراقبة.

٤ـ إن **ءتت**، كجمع لـ **ءته**، تعني «مؤشرات» (من الفعل **ءته**، قارن بالعربية أتى، أي «جاء»). ولعلّ الأصحّ أن يقارن الفعل **ءته** هنا بالفعل العربي أتا (أتت الشجرة، أي طلع ثمرها وكثر حملها). وفي العربية كلمة إتاوة، بمعنى «المحصول»، وأتو بمعنى «العطاء»، الخ. ومن الواضح أن الفعل العربي يفيد معنى التموين. وفي حالة **ءتت** الواردة في النقش، فان هذا المعنى للكلمة موحى به بوضوح من خلال الفعل الذي يليها، وهو **نتن**، أي «أعطى».

٥ـ إن **لء نرءه ءت عزقه** تعني «نحن لا نستطيع أن نرى عزقة». ومسألة استطاعة رؤية عزقة ليس هي المسألة هنا. وما يقوله النص الأصلي ما هو إلاّ إقرار بواقع: «نحن لا نرى عزقة».

٦ ـ إن **عزقه** هي حتماً إشارة إلى البلدة التوراتية التي تحمل هذا الاسم. وفي إطار النص، لا يستبعد أن يشير الاسم إلى شخص.

وبناءً على هذه الملاحظات، فإن الجملة بكاملها من النقش تحتاج إلى إعادة ترجمة كالتالي: «ليعرف (مولاي) أننا ننتظر حمولات الطعام، وكذلك كل الإتاوات التي أعطاها مولاي، لأننا لا نرى عزقة». ويبدو أن هوشعيه ورجاله كانوا قد وعدوا بتزويد بالطعام وبتموين آخر من قبل ياوش، يجلبه اليهم رجل اسمه عزقة. وهنا يقول هوشعيه إنه ورجاله ما زالوا ينتظرون هذا التموين، نظراً لأن عزقة لم يصل اليهم بعد. والواضح هو أن النقش الذي نحن بصدده لا يتحدث إطلاقاً عن «إشارات» عسكرية صادرة من «لاخيش» التوراتية، ولا هو يذكر بأي شكل من الأشكال اسم «لاخيش» هذه كما هو الافتراض السائد الى اليوم.

وقد يُعذر الباحثون التوراتيون إن هم التبسوا بأمر كلمتي **لكس** و**عزقه** الواردتين في النقش الرابع من نقوش تل الدوير، على أنها «لاخيش»

و«عزقة» التوراتيين. أما بالنسبة إلى النقش السادس، فليس لهؤلاء الباحثين أي عذر في افتراضهم بأن النقش المذكور يتحدث عن «أورشليم». وفي هذا النقش الذي وجد مكسوراً وناقصاً، هناك بقايا جملة تقرأ كالتالي: **ء دني هل ء تكتب ء** . . . . . . **ه تعسو كزء ت** . . . . **سلم**. والترجمة الأمينة لبعض الجملة هذا (إذا كان الكلام بالفعل جملة واحدة في الأصل) لا تعود إلا إلى المعنى الآتي: «مولاي، ألا تكتب. . . . . فعلت هكذا. . . . . **سلم**». وعلى ذلك، فإن الترجمة المقبولة لها تأخذ لنفسها حرية ملء الفراغات بطريقة تبرر قراءة **سلم** الأخيرة هذه باعتبارها الأحرف الساكنة الثلاثة الأخيرة من الكلمة العبرية **يروشليم**، أي «أورشليم». والترجمة، وهي مرة أخرى من عمل و. ف. ألبرايت، تقول بكل صفاقة: «والآن، مولاي، هل لك أن تكتب لهم قائلاً، لماذا فعلتم هكذا حتى بأورشليم؟» إن مثل هذه الترجمة الاعتباطية لا يجوز السماح بها حيث هناك أقل احترام للأمانة العلمية. والحقيقة الساطعة هي أن النقش الذي نحن بصدده هنا، إلى الحدّ الذي هو مقروء، لا يتحدّث اطلاقاً عن «أورشليم».

والمسألة هنا ليست مسألة كيفية اندراج نقش تل الدوير عملياً في تاريخ فلسطين أو في تاريخ اليهود في فلسطين. وهذا الكتاب لا ينكر أن يهوداً عاشوا في فلسطين في أيام التوراة. وجلّ ما يجادل الكتاب فيه هو أن اليهودية ولدت في غرب شبه الجزيرة العربية، وأن أرض الشعب التوراتي البائد المعروف ببني اسرائيل كانت هناك، وليس في فلسطين. ويلاحظ أن أحدى المنقوشات التي يمكن تصنيفها على أنها فلسطينية قد تبدو، في الظاهر، مناقضة لهذا الرأي. وهذه هي ما يسمى «الحجر الموآبي» الذي اكتشف أول ما اكتشف في المرتفعات الأردنية الواقعة شرق البحر الميت في العام ١٨٦٨، والموجود الآن في متحف اللوفر بباريس. والكتابة المطولة المنقوشة على هذا الحجر لها علاقة مباشرة بالتاريخ التوراتي، إذ أنها تتحدث عن أمور تتعلّق بنص الملوك الثاني ٣: ٤. لكن القراءة

الصحيحة لهذه الكتابة لا تنقض إطلاقاً المقولة الجغرافية لهذا الكتاب بل تعزّزها بمزيد من الشواهد كما سيظهر.

في هـذا «النقش الموآبي» يتحـدث ميشع ملك مـوآب (**مسـع ملك مءب**) عن حـروبه مـع عمري ملك اسـرائيـل (**عمـري ملك يسرءل**) و«أبنه» من بعده (وهو أخاب بن عمري الذي لا يذكره النقش بالاسم). وبسبب الغـزوات المتتـاليـة الـذي تعـرضت لهـا أرض مـوآب في هـذه الحروب، اضطرّ ميشع الى الجلاء عنها. فانتقل مع اتباعه من موآب إلى **قرحه** (لعلها اليوم جحرا، من قرى الكـرك في المملكة الأردنيـة) حيث أقام لنفسه عاصمة جديدة. وبهذه المناسبة أقام ميشع الحجر الذي كتب عليه النقش. ولهذا، فإن «الحجر الموآبي» هو في الحقيقة «**حجر قرحه**»، أو «حجر جحرا»، إذا صح أن **قرحه** هي اليوم جحرا)، إذ إن ميشع لم يكن يقيم في موآب عندما أقامه.

وليس هناك في «الحجر الموآبي » ما يشـير إلى أن «موآب» كـان اسماً قـديماً لمـرتفعات الكـرك شرق البحـر الميت (أي لما سمّـاه العرب بـلاد الشراة)،أو إلى أن مملكة اسرائيل كانت تقع في فلسطين. وإذا نحن أعدنا قراءة النقش بنصّه الأصلي، وليس من خلال الترجمات التي أجـريت له حتى الآن (مثـل ترجمـة و. ف. ألبرايت الى الانكليـزيـة)، يصبـح من الواضح تماماً أن الحروب التي جرت بين اسرائيل وموآب، والتي يتحدّث عنها النقش، إنما جرت في الحجاز، وليس في شرق الأردن، وأن مملكتي اسـرائيل ومـوآب، بالتـالي، كانتـا متجاورتـين في غرب شبـه الجـزيـرة العربية، وليس في جنوب الشام. وفي ما يلي بعض الأدلة على ذلك:

١ ـ في الكلام عن الهجوم الأول على موآب، الذي قام به «أتباع» الملك عمري، ملك اسرائيل (في الأصل **سنءي(م)**، والمفرد **سنءي**، قـارن بالعـربية **ثنـوي**، و«الثنـوي» في العـرف القبـلي هـو دون منـزلـة «السيّد» ، يصف النقش موآب بأنها **يمن ربن**، وبقراءة **يمن** كجمع لـ **يم**

بمعنى «يوم»، وقراءة **ربن** كجمع للصفة **رب** بمعنى «عديد»، أخذ المترجمون حتى الآن تعبير **يمن ربن** على أنه يعني «أياماً عديدة»، وهي ترجمة لا تتفق تماماً مع المعنى العام للنص. والواقع هو أن التعبير يشير ببساطة إلى أن موآب كانت تقع «جنوب **ربن**». والمكان الوحيد في الشرق الأدنى الذي ما زال يحمل الاسم **ربن** هو قرية رابن في الحجاز، بالقرب من بلدة رابغ. وكما سيذكر في الفصل ٧، الهامش ٥، فان موآب التوراتية قابلة للتعريف اليوم بالاسم بكونها قرية أم الياب (**ءم يب**) في وادي أضم. وأم الياب هذه تقع عملياً إلى الجنوب من بلدة رابغ، ومنها **يمن ربن** أي «جنوب رابن».

٢ ـ ميشع لا يصف نفسه في النقش بأنه ملك موآب فحسب، بل أيضاً بأنه **ديبني**، أي بأنه من **ديبن**. والدِيبان (**ديبن**) هي اليوم قرية في منطقة الطائف، غير بعيدة عن أم الياب. وحتى اليوم كان قرّاء «الحجر الموآبي» قد افترضوا بأن **ديبن** هي القرية الحالية ذبيان، إلى الشمال من منطقة الكرك في المملكة الأردنية، ومن المحتمل أن ذبيان الشامية هذه قد سميت بهذا الاسم تيمّناً بدِيبان الحجاز، بعد أن كان ميشع وأتباعه الهاربون من الحجاز قد وصلوا إلى ذلك الجوار ليستقروا فيه.

٣ـ هناك في النقش جملة تقرأ: **ويرس عمري كـ . . . ص [كل هـ ـ ءرص؟] مهدبء**. وقد أخذت هذه الجملة حتى الآن على أنها تشير إلى احتلال عمري ملك اسرائيل لبلدة مادبا في شرق الأردن. ولو كانت مادبا (**مدبء**) هي المعنية حقاً هنا لما كتبت **مهدبء**، نظراً لأن حرف الهاء الذي يتوسط الكلمة لا يسقط عادة من اللفظ في اللغات الساميّة. وما تقوله الجملة فعلاً هو: «وعمري احتل كل الأرض من هدبء (**كل هـ ـ ءرص م ـ هدبء**)، أي جميع أرض موآب ابتداءً من **هدبء**. **وهدبء** هذه هي اليوم قرية الهُدَبَة، شمال أم الياب، في مرتفعات الطائف المشرفة على وادي أضم.

٤ـ في أجزاء من النقش ترد لفظة **قر** باعتبارها كلمة تعني «قرية»، ولفظة **كمس** على أنها كموش، اسم إله موآب. وفي أجزاء أخرى، تظهر كل من **قر** و **كمس** بشكل مميز على أنهما اسمان لبلدتين أو قريتين متجاورتين في أراضي موآب. وقريتا القَرّ (**قر**) وقَماشة (**قمش**) ما زالتا هناك إلى اليوم في الجزء نفسه من مرتفعات الطائف حيث تقع الهُدَبَة.

٥ ـ بين أسماء الأمكنة الأخرى الواردة في النقش، هناك **سرن** وهي اليوم شريان (**شرن**)، و**محرت** التي هي المحرث (**محرث**)، و**نبه** التي هي النباة (**نبه**)، و**يهص** («ياهص» التوراتية) التي هي الوَهَسَة (**وهس**)، وكلها قرى في مناطق متجاورة من جنوب الحجاز، وهي وادي أضم ومرتفعات الطائف وبلاد زهران.

إذن لا يمكن للحروب بين ميشع وملوك اسرائيل، كما رويت في «الحجر الموآبي»، أن تفسر جغرافياً في إطار فلسطين وشرق الأردن، ولا يمكن تفسيرها إلا في إطار غرب شبه الجزيرة العربية، مما يقدم دعماً مضافاً إلى الأطروحة التي يعرضها هذا الكتاب. والواضح من القصة التي يرويها نقش ميشع أن هذا الملك الموآبي كانت مملكته الأصلية في الحجاز، وقد اضطر للجلاء عنها بعد أن عانى الهزائم المتكّررة فيها على أيدي عمري ملك اسرائيل وابنه آخاب، فاقام لنفسه مملكة جديدة في شرق الأردن لم تكن أراضيها تسمى موآب، وعلى الأقل هي لم تسمَّ كذلك في النقش الذي يروي القصة. وهنا، وعلى بعد آمن من خصومه الاسرائيليين في جنوب الحجاز، أصبح هذا الملك «صاحب المواشي» (كما تصفه التوراة العبرية) قادراً على الازدهار مرة أخرى، وعلى استملاك مراعٍ جديدة في أرض **حرن** (أي حوران) لما كان لديه من **بقرن** (أبقار) و**معـ (ز)** (ماعز) و**صـءن** (ضان، أو أغنام). وحتى الآن، كان قرّاء منقوشة ميشع غاية في التشوش حول تفسيرها، إلى درجة أنهم أخفقوا في التعرف إلى هذه الكلمات الثلاث الأخيرة، كما تظهر في المنقوشة، بما

تعنيه في الواقع. وفي حين أن كلمة **بقرن** هي بوضوح بقر، بصيغة الجمع المذكر، فقد قرأوها على أنها بـ - **قرن** التي معناها «بِقُرى». أما الكلمتان **معز** و **صءن** فقد حذفتا كلياً من الترجمة بسبب سوء التأويل العام للإطار الذي وردت فيه هاتان الاشارتان الصريحتان الى الماعز والأغنام.

إن الافتراض بأن أرض التوراة العبرية كان فلسطين لم يؤد الى تشويش الموضوع في حقل علم الآثار الفلسطيني وفي قراءة المنقوشات الكنعانية والمنقوشات الأخرى التي عثر عليها في فلسطين وتأويلها وحسب، بل هو فرض أحكاماً مسبقة على دراسة كل نصوص الشرق الأدنى القديمة الأخرى التي تتعلّق بتاريخ التوراة بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر. والجداول الطوبوغرافية المصرية القديمة الخاصة بـ « غرب آسيا» هي احدى هذه الحالات. وفي الفصل ١١ سيجري بحث محتويات أحد هذه الجداول لإيضاح كيف أنها تتعلق عملياً بغرب شبه الجزيرة العربية وليس بفلسطين والشام والعراق، وهو ما أخذ حتى الآن كأمر مسلّم به. وليست الجداول الطوبوغرافية المصرية الأخرى وحدها هي التي تورد أسماء أماكن توراتية، بل إن الجداول الطوبوغرافية الاشورية والبابلية، مثل جداول آشور بانيبال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ قبل الميلاد)، وشلمانصر الثالث(٨٥٩ - ٨٢٤ قبل الميلاد)، وسرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ قبل الميلاد)، تقدم هي أيضاً سجلات للفتوحات في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس في الشام.

ولإعطاء مثال واحد لا أكثر، فانه في الأسطر الأولى من جدول سرجون الثاني، يصف هذا الملك الآشوري نفسه بأنه «فاتح **سا - مي - ري - نا (سمرن)** و **بيت - خو - ءُ م - رِ - يا(خمري)**».وقد ساد الاعتقاد حتى الآن أن الاشارة في هذين الاسمين هي إلى «السامرة» (**شمرون** بالعبرية) و«بيت» عمري ملك اسرائيل (**عمري** بالعبرية). وقد كانت مملكة عمري الاسرائيلية بالتأكيد في جنوب الحجاز، أي في عسير الجغرافية، كما سنوضح في الفصل ١٠، و«السامرة» ما زالت هناك

وتدعى شمران، باسمها في صيغته التوراتية الأصلية بلا تغيير (انظر الفصل ١٠). لكن الاشارة في جدول سرجون الثاني ليست إلى «السامرة» و«بيت عمري» بل إلى منطقة جيزان، حيث ما زالت توجد قرية في جبل هَروب اسمها الصَّرْمَين (**سمرن في جدول سرجون**)، وقرية أخرى اسمها الحمراية (**خمري في جدول سرجون**) في وادي عقاب بناحية أبي عريش. والنص الذي يلي، والذي يورد أسماء أمكنة كثيرة أخرى، يشير إلى أنه لا بد أن يكون سرجون الثاني قد فتح كل عسير الجغرافية، أي كل أراضي غرب شبه الجزيرة العربية الواقعة بين الطائف وحدود اليمن. وعلى سبيل المثال،فإنه في منطقة جيزان «طارد **مي ـ تا ـ ءا**، ملك **موس ـ كو**». و**موس ـ كو (مسكو)** هي اليوم قرية مُسقو، في ناحية العارضة شرق أبو عريش. وفي رجال ألمع قام بـ « نهب **أس ـ دو ـ دو** » التي هي اليوم قرية السدود. وفي النهاية الشرقية لوادي نجران «اقتنص الـ **يا ـ ما ـ نو** في الـ **يا ـ مو** كالسمك». والاشارة هنا هي إلى «اليمنيين» أي «شعب الجنوب» («البنيامينيون» التوراتيون، أو «بنو يامن» في الشعر العربي القديم) الذين لم يعيشوا في «البحر» (**يم**)، بل في بلاد يام (**يم أيضاً**)، بين وادي نجران ورمال الربع الخالي. وفي منطقة الطائف، «هزم» **مو ـ صو ـ ري (مصر)** و **را ـ في ـ خو (رفخ)**، اللتين هما اليوم آل مصري والرفخة. وكذلك فقد «أباد كل **تا ـ با ـ لي**»، التي هي اليوم وادي تَبالة، من روافد وادي بيشة، و**خي ـ لاك ـ كو (خلك)**، التي هي اليوم الخليق (**خلق**)، في منطقة الطائف. وفي مكان قريب «أعلن كون **هان ـ نو**، ملك **خا ـ زا ـ أت ـ آ ـ آ** غنيمة». وحتى الآن، أخذت **خا ـ زا ـ أت ـ آ ـ آ** على أنها «غزة» (**عزه بالعبرية**)، وهو ما لا يمكن أن يستقيم بقدر عدم استقامة **خو ـ ءُ م ـ رِ ـ يا** على أنها عمري (**عمري**). ونظراً إلى أن العين لا تفرق عن الهمزة في الكتابة المسمارية المقطعية، لا بد أن تكون الاشارة هنا إلى قبيلة من غرب شبه الجزيرة العربية القديم، هي قبيلة خُزاعة (**خزعت**) التي ما زالت بقاياها موجودة

في موطنها الأصلي في جنوب الحجاز (الجوار العام لمكة المكرمة والطائف). وعلى بعد حوالى ٢٠٠ كيلومتر إلى الجنوب من أراضي خزاعة هذه (أي «على مسافة سبعة أيام» كما جاء في المنقوشة) «أخضع (سرجون الثاني) سبعة ملوك من بلاد ءي ـ ياء» (ءيء، أو عيء)، التي هي اليوم وادي عياء، من روافد وادي ابن هَشْبَل على الجانب البحري من عسير. وبوجود جميع هذه الأسماء الواردة في جدول سرجون في غرب شبه الجزيرة العربية، وهي ما زالت قائمة، وبلا أي تغيير فيها كما هي الحال، أي سبب يبقى للإصرار على الاعتقاد بأن هذا الجدول يشير إلى فتوحات آشورية في الشام وفلسطين، حيث لا يمكن العثور على أي من هذه الأسماء؟

وبالإضافة إلى الجداول الطوبوغرافية المصرية والآشورية والبابلية، فإن هناك سجلات قديمة أخرى للشرق الأدنى تورد أسماء أماكن توراتية، والأهم بين هذه السجلات ما يسمى «رسائل العمارنة». وهذه عبارة عن لوحات مسمارية تعود بتاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد اكتشف أولها في مصر في العام ١٨٨٧. وهذه اللوحات التي كتبت بأكّادية محرفة، وأحياناً بالكنعانية، تفيد عن مشاكل كان يواجهها عملاء الحكومة المصرية مع الزعماء المحليين لبعض المقاطعات الآسيوية، التي ساد الاعتقاد حتى الآن بأنها من الشام وفلسطين. والواقع أن بعض أسماء الأمكنة المفردة الواردة في رسائل العمارنة تطابق فعلاً أسماء أمكنة موجودة في فلسطين وفي غرب شبه الجزيرة العربية في آن معاً، وأبرز هذه الحالات تلك المتعلقة بـ آكا (عكّا) و يافو (يافا). أمّا إذا أخذت أسماء أماكن العمارنة جماعياً، فإنها لا تندرج عملياً إلا في غرب شبه الجزيرة العربية. وفي ما يلي أمثلة على أسماء الأماكن هذه، والأمثلة تقتصر فقط على الأسماء التي استمرت في الوجود في جنوب الحجاز وفي عسير بالصيغة الأصلية لأحرفها الساكنة من دون أن يطرأ عليها أي تغيير:

١ ـ **أدورو** (ءدر أو عدر): العذرا في رجال ألمع، العَذَرَة في بني شهر.

٢ ـ **آكّا** (ءك أو **عك**): العكّة قرب النماص، عُكوة في منطقة جيزان.

٣ ـ **أكشف** (كشف): الكَشَفَة قرب جدة، الكشف في رجال ألمع.

٤ ـ **أفيرو** (ءفر أو عفر): العفراء قرب النماص، عفراء في وادي أضم، عفراء في منطقة الطائف، وأيضاً قبيلة العفير أو العفارية.

٥ ـ **أرارو** (ءرر أو عرر): عَرار في منطقة جيزان، العرارة قرب ظهران الجنوب.

٦ ـ **أزّاتي** (ءزت أو عزت): آل عزّة في بلّحمر، العزّة في المجاردة.

٧ ـ **بورقونا** (برقن): البُرقان قرب خميس مشيط، البُرقان في بني شهر، آل بُرقان في منطقة جيزان.

٨ ـ **بوروزيليم** (برزلم، والظاهر بر زلم): براء (بــر) في رجال ألمــع، المعرفة بكــونها تلك الواقعــة في أراضي بني ظالم (ظلم) في المنـطقة نفسها، تفريقاً لها عن بر أخرى (هي اليـوم ذي بر) في مكــان أبعد شمالاً.

٩ ـ **جارو** (جر): الجرو (جر) في سراة عبيدة، جراء في رجال ألمع، آل الجرّ (قريتان بنفس الاسم) في رجال ألمع.

١٠ ـ **جزري** (جزر، قارن مع «جازر» التوراتية): الغَزَر في وادي أضم، الغَزَرَة في منطقة جيزان، غزير في مرتفعات غامد.

١١ ـ **جي ـ ءِ م ـ تي**(**جمت**):الغمــاط (**غمط**) في منطقــة جيـزان. الجمّــة (**جمت**) في بني شهر، جمّة قرب غُميقة في ناحية الليث.

١٢ ـ **جِنتي كِرمِل** (جنت كرمل): جناة، وهي منسوبة هنا إلى جبل كِرْمِل (انظر الفصل الأوّل)، وكلاهما في منطقة جيزان.

١٣ - **جُبلا (جبل)**: مترافقة مع **بوروزيليم** (رقم ٨) في التقرير نفسه، ولا بدّ أن **جُبلا** هذه هي اليوم قُبلَة في رجال ألمع، وليس قبلة في منطقة قنا والبحر التي هي، في كل الأحوال، محاذية لرجال ألمع.

١٤ - **هارابو (هرب)**: هَروب (جبل هَروب، أو هَروب المَلقا) في منطقة جيزان.

١٥ - **خـازاتي (خزت أو خـزعت** التي اعتبرت خـطأ حتى الآن تفريعـاً لِـ **أزّاتي**، أو غزّة،مع العلم أن **أزّاتي** هي آل عزّة): هي الاسم القبلي خزاعة (**خزعت**)، من غرب شبه الجزيرة العربية، والاسم ذاته يرد في جدول سرجون الثاني الطوبوغرافي على شكل **خا - زا - أت - آ - آ** (أنظر أعلاه).

١٦ - **مَجْدَلو (مجـدل)**: في إطار مـا ورد يجب أن تكون الإشـارة هنا إلى القرية الحالية المجدل في ناحية تنومة القريبة من رجال ألمع، وليس أياً من الأماكن العديدة الأخرى التي تحمل الاسم نفسه.

١٧ - **مَجِدّو (مجد**، قارن مع «مَجدّو» التوراتية التي لم يعثر عليها اطلاقاً في فلسطين بهذا الاسم، خلافاً للاعتقاد السائد): اطار الكلام يوحي بأن **مجدو** هذه بالذات هي مَقدي أو مَقَدّي (**مقد**) الحالية في منطقة القنفذة، وليست المُغَدَة (**مغد**) قرب الطائف، التي هي ايضاً **مجدو**.

١٨ - **مِشقو (مشق)**: إطار الكلام يشير إلى المشقا في رجال ألمع، وليس الى المشقة في وادي أضم.

١٩ - **مُحَزّو (محز)**: المحـظي قرب ظهـران الجنوب، أو احـدى قريتـين تسميان محضة في منطقة نجران، على أن إطار الكلام يشير إلى قرية آل مُزاح (مزح، بالاستبدال) في رجال ألمع.

٢٠ - **فيلّا (فل أو فلل)**: الفلل في وادي أضم، الفيل (**فـل**) في منطقـة القنفذة، الفيل في بلّسمر و بلّحمر.

٢١ ـ **قَنُو (قن)**: قَنا **(قــن)** في منطقة قنا والبحر.

٢٢ ـ **ريموني (رمن)**: الريمان في بلّحمر، الرِّمان قرب الطائف، والأرجح أنها الأولى.

٢٣ ـ **سيـلي (سل)**: إطـار الكلام يشـير إلى السيول، في منـطقـة قنـا والبحر، وليس إلى سيال في منطقة القنفذة.

٢٤ ـ **سوتو (ست)**: آل صُوت **(صت)** في منطقة جيزان، إلا إذا كانت الإشارة هنا إلى قبيلة السواطي (والمفرد ساطي) بجوار مكة المكرّمة، أو قبيلة سوطة في منطقة الطائف.

٢٥ ـ **شي ـ ءي ـ ري (شعر)**: الشَّعراء **(شعــر)** في منطقة جيزان.

٢٦ ـ **شوناما (شنم)**: سنومة في رجال ألمع.

٢٧ ـ **أودومو (ءدم)**: **الأرجح** هنا أنها وادي أدمة في منطقة بيشة، وليس وادي إدّام جنوب مكة المكرّمة، أو وادي إيدِمة شمال وادي نجران.

٢٨ ـ **أوروسـاليم (ءرسلم أو ءر سلم)**: حــول تعــريفهــا المقتــرح بـ «أورشليم» التوراتية، أو **يروشليم**، باعتبارها آل شـريم الحاليـة قرب النماص، انظر الفصل ٩. **وأوروساليم** هنا يحتمـل أن تشير الى القريتين التـوأمين أروى(ءرو) وآل سـلام **(سلم)** قرب تنـومة، جنوب النماص، حيث تنسب أروى هنا إلى آل سلام المجاورة تفريقاً لها عن مكان آخر في الناحية ذاتها يحمل الاسم نفسه، وهو قرية آل عمر أرواء.

٢٩ ـ **يافو (يف)**: وفية في منطقة جيزان، الوافية قرب خميس مشيط.

٣٠ ـ **زَرْقو (زرق)**: الزرقاء أو الزُّرقة في منطقة جيزان.

وهذه كلها ليست، بشكل من الأشكال، أسماء الأماكن الوحيدة في

رسائل العمارنة الموجودة الى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية، بل هي فقط تلك التي حافظت، بـأحرفهـا الساكنـة، على التهجئـة نفسها التي أعطيت لها في لوحات العمارنة. أضف إلى ذلك أن الطريقة التي جمعت بها هذه الأسماء في تقارير معينة توضح كيف أن مجموعات مختلفة من رسائل العمارنة تتحدث عن مناطق مختلفة في غرب شبه الجزيرة العربية حصراً دون غيرها، إذ منها ما يتحدث عن مناطق شمالية، ومنها ما يتحدّث عن مناطق جنوبية أو داخلية، وبهذا فإنها تقدم مغزاها الجغرافي في إطار غرب شبه الجزيرة العربية كاملاً.

وفي جميع الأحوال، تبقى القصة هي نفسها دوماً: لقد أخذت هذه المنقوشات والسجلات القديمة على أنها تتعلق بفلسطين لأنها تورد أسماء أمكنة توراتية (وهذا صحيح)، ولأنه يعتقد بأن أسماء الأمكنة التـوراتية تخص فلسطين (وهذا خطأ). وكلما أعيد تفحص هذه السجلات القديمة ظهر أنها بدلاً من ذلك تتعلق بغرب شبه الجزيرة العربية، تماماً كما هـو الأمر بالنسبة للتوراة العبرية نفسها. وربما كان الوقت قد حان لإعـادة دراسة هذه السجلات، جنباً إلى جنب مع دراسة التوراة العبريـة، في هذا الضوء الجديد.

٦ـ تهامة في التوراة

إن رسم مشهد شبه الجزيرة العربية الخاص بالتوراة العبرية لا يحتاج إلى تحديد نقطة معينة للانطلاق، ولا إلى اختيار نماذج معينة من الطوبوغرافيا التوراتية لدراستها، فكل الدلائل، من سفر التكوين إلى سفر ملاخي، تشير الى الاتجاه نفسه. وفي الفصول السابقة جرى التلميح إلى أن أرض يهوذا التوراتية تضمنت البلاد الهضبية الوعرة في الجانب البحري من مجال عسير، التي تنتهي بالصحراء الساحلية المسماة تهامة[1]. وما يمكن عمله كبداية هو إيضاح كيف أن تهامة هي في الواقع تهوم المشار إليها بالاسم أكثر من ٣٠ مرّة في النص التوراتي. وعند البرهان على هذا يكون قد تم تثبيت حقيقة قد تفيد كقاعدة جيدة للجغرافيا التوراتية ككل.

من الناحية البنيوية، ليس اسم تهامة (تهم بلا تصويت) اسماً عربياً. لكنّه مشتق من جذر عربي هو هيم (المصوّت هامَ)، بمعنى «عطش». ومنه «الهُيام»، وهو «اشدّ العطش». وأحد الاشتقاقات العربية من هذا الجذر هو المصدر هَيام (بفتح الهاء) الذي يشير إلى «ما لا

---

(١) حول مناقشة مسألة يهوذا التوراتية انظر الفصل ٨. اما بالنسبة إلى الاسم تهامة، فهو لا يطلق اليوم فقط على الساحل الصحراوي للبحر الأحمر من شبه جزيرة العرب، بل ايضاً على كامل المنحدرات الغربية البحرية من الحجاز وعسير واليمن، وهي في عرف الجغرافيين العرب «جبال تهامة».

يتمالك من الرمل». وهناك «الهَيْماء»، وهي «الفلاة بلا ماء». وتربة تهامة الساحلية، التي تمتد على طول غرب شبه الجزيرة العربية بأسره، هي المثل الساطع على معنى «الهَيام» و«الهيماء». وسواء في الحجاز أم في عسير أم اليمن، نجد أن مياه الأمطار التي تنحدر من المرتفعات باتجاه الساحل عبر عدد لا يحصى من جداول الوديان الموسمية أو الدائمة، تتلاشى في هذه التربة الساحلية الراشحة قبل الوصول إلى البحر، مخلفة وراءها آثارها على شكل مثلثات جافة تنتهي عند حد الشاطىء.

بالعربية، كان لاسم الصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية أن يكون «الهيماء». أما اسمها الفعلي، تهامة، فهو استمرار في الوجود لمصطلح تهوم المثبت في التوراة[٢]. وكما تظهر في التوراة، فان تهوم هي اسم الفعل أو المصدر المؤنث من هوم (قابل بالعربية هيم)[٣]، والتاء في بداية الاسم هي الضمير المتصل المؤنث المفرد للغائب. وهذا الضمير، وكذلك الضمير المتصل المذكر المفرد للغائب، وهو الياء، يدخل في تركيب أسماء العلم، ومعظمها على ما يبدو من أسماء الأماكن والقبائل، مثل تدمر، وتغلب، وتنوخ، ويثرب، وينبع، و يكرب، وجميعها أسماء جغرافية أو قبلية مشهورة في العرف العربي[٤].

وفي حين أن المختصين بالعبرية التوراتية كانوا قد وجدوا دوماً في اللفظة العربية «تهامة» المثيل للفظة تهوم التوراتية[٥]، فقد شاع القول

---

(٢) ان التصويت المعتمد بالعبرية للفظة تهوم هو من التقليد المسُّوري. ويمكن أن يكون قد كان للكلمة في الأصل تصويت مختلف أقرب إلى التصويت العربي للفظة تِهامة.

(٣) إن الحرفين شبه الصوتيين الواو والياء يستبدلان فيما بينهما، أحدهما بالآخر، في اللغات السامية.

(٤) يصعب التفريق عملياً بين الأسماء الجغرافية وتلك القبلية، نظراً لأن القبائل تحمل في العادة أسماء مواقعها.

(٥) الشكل العربي الحالي لِـ تهوم، وهو تهامة، يشدّد على أن الاسم هو مؤنث بإضافة لاحقة التأنيث، كما لو قيل تغلبة بدلاً من تغلب، أو تدمرة بدلاً من تدمر.

بأن اللفظة في العبرية مشتقة من مصدر ممات هو تهم، وأنها تعني «الغمر» أو «اللجّة» أو «المحيط الأقدم» أو «المياه الجوفية». والواقع أن تهم، كمصدر بهذا المعنى، لا وجود له في أي نصّ ساميّ قديم. وكما أن اللفظة العربية «تهامة»، التي هي اسم جغرافي لا يحمل أداة التعريف العربية «أل»، فان اللفظة العبرية تهوم لا ترد في أي مكان في النصوص التوراتية مرفقة بأداة التعريف العبرية هـ (التي تصوّت تقليديا ها). وقواميس العبرية التوراتية تشير إلى هذا الواقع دون أن تقدّم له تفسيراً، مثله مثل أمور كثيرة أخرى، بسبب عدم توفر المعرفة الضرورية بشأنه. والتفسير هو طبعاً أن تهوم التوراتية، مثلها مثل تهامة العربية، ليست اسم نكرة يمكنه أن يأخذ أو أن لا يأخذ أداة التعريف، بل هو اسم جغرافي لا يحمل أداة التعريف أصلاً. والواقع أن جميع الأسماء الجغرافية والقبلية العربية المبنية على وزن «يفعل» أو «تفعل» (انظر أعلاه) لا تحمل أداة تعريف. ولو كانت تهوم اسم نكرة يعني «العميق»، أو مهما افترض خطأ أنها تعني، لكانت ما اقتصرت على الظهور فقط بصيغة النكرة تهوم، بل أيضاً بصيغة المعرفة هـ - تهوم حيث يتطلب إطار الكلام هذه الصيغة، وهي ليست الحالة في أي مكان من التوراة.

عملياً، ان تهوم تعطي معناها الأفضل، حيث ترد في التوراة العبرية، بكونها الاسم السامي القديم للأراضي الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية التي تسمى اليوم تهامة. وورود الاسم في بعض الجمل التوراتية في صيغة الجمع المؤنث (تهوموت أو تهموت أو تهمت بالأحرف الساكنة وحدها)[٦] يشير إلى أمرين: الأول هو أن تهوم كانت تعتبر اسماً مؤنثاً (إذ إن تاء البداية فيها هي ضمير تأنيث، كما لوحظ سابقاً)، والثاني هو أن تهوم التوراتية، مثلها مثل تهامة العربية، لم تشر إلى إمتداد مفرد

(٦) ليس بالضرورة أن تكون التاء النهائية في تهمت لاحقة جمع مؤنث بل قد تكون أيضاً لاحقة تأنيث مفرد، كما في اسم تهامة بالعربية.

مستمر للصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية، بل إلى أشرطة مختلفة من هذه الصحراء، يعرف كل منها باسم فرعي استناداً إلى موقعه المعين. وهناك اليوم تفريق واضح بين تهامة الحجاز، وتهامة عسير، وتهامة اليمن. وربّما هناك تفريقات اضافية بحسب الاسم بالنسبة لكل من هذه الـ «تهامات» الثلاث في المصطلح الجغرافي المحلّي لكل منطقة. ولا شك في أن الأمر نفسه كان متبعاً في أيام التوراة.

ولأن تهوم، كما تظهر في التوراة العبرية، لم تعرّف حتى الآن بكونها اسماً جغرافياً كما هي في الواقع، فإن جميع المقاطع التوراتية التي يظهر فيها الاسم، سواء بصيغة المفرد أم بصيغة الجمع، قرئت خطأً، وترجمت بالتالي خطأً. وكمثال أول، ندرج هنا الترجمات المعتمدة في العربية لـ «البركات» التي أسبغها على قبيلة يوسف الاسرائيلية كل من اسرائيل (وهو يعقوب ابو الأسباط) وموسى. وهذه الترجمات مأخوذة من الكتاب المقدس الذي ترجم الى العربية من اللغات الأصلية بإشراف «جمعية التوراة الأميركية» و«جمعية التوراة البريطانية والأجنبية»، وهو أوسع ترجمة للكتاب المقدّس انتشاراً في العالم العربي:

آ ـ يباركك (**يبركك**)، تأتي بركات السماء من فوق (**بركت شميم م ـ عل**)، وبركات الغمر الرابض تحت (**بركت تهوم ربصت تحت**)، بركات الثديين والرحم (**بركت شديم ورحم**) (سفر التكوين ٤٩ : ٢٥).

ب ـ مباركة من الرب أرضه (**مبركت يهوه ءرصه**) بنفائس السماء بالندى (**م ـ مجد شميم م ـ طل**) وباللّجة الرابضة تحت (**م ـ تهوم ربصت تحت**)[٧].

---

(٧) الميم التي هي حرف الجر «من» في م ـ مجد و م ـ تهوم اربكت المترجين لهذا النصّ في جميع اللغات. وقد ترجمت إلى العربية على أنها حرف جرّ آخر هو الباء، وفي ذلك تحوير جذري للمعنى، لأن الباء كحرف جرّ تفيد معنىً معاكساً تماماً للمعنى الذي تفيده «من».

ويبدو أن قبيلة يوسف شغلت أرضاً تقع في وادي أضم وجواره، في المرتفعات المطلّة على صحراء تهامة الساحلية قرب بلدة الليث (وهي **ليش** التوراتية، انظر الملحق). وفي هذا المكان توجد حتى اليوم قرى تسمى ركّة (**ركه**، أو **ركت**)، والربيضة (**ربضت** بلا تصويت، قارن مع **ربصت**) والثديين (قارن مع **شديم** بالعبرية)، والرحم (**رحم**)، والبَرَكة (**بركه**، أو **بركت**)، والمِقدّة، وهي شعيب المقدة، (قارن مع **مجد**)، وكذلك مجموعتان من القمم التوائم، كل منهما تسمى السماين (**سمين**، قارن من **شميم** بالعبرية التي تصوّت **شمايم**). وإذا أخذت أسماء الأمكنة هذه في الاعتبار، وأعيدت قراءة مجموعتي «البركات» التي أسبغت على قبيلة يوسف على ضوء أسماء الأمكنة هذه، من دون الالتفات إلى التصويت المسُوري، يتبيّن أنها لا تتعلق عملياً بـ«بركات»، بل بتحديدات لأراضي القبيلة أو الأراضي التي كانت تدّعيها لنفسها:

آ ـ سوف ينزلك (**يبركك**) في ركّة السماين من أعلى (**بـ ـ ركت شميم م ـ عل**)، في ركّة تهامة الربيضة من أسفل (**بـ ـ ركت تهوم ربصت تحت**) في ركّة الثديين والرحم (**بـ ـ ركت شديم و ـ رحم**).

ب ـ من البَرَكة تكون أرضه (**م ـ بركت يهوه ءرصو**)، من مِقَدَّة السماين (**م ـ مجد شميم**)، من القمة (**م ـ طل**)[8]، ومن تهامة الربيضة من أسفل (**و ـ م ـ تهوم ربصت تحت**).

والقرية الصغيرة المسماة ركّة اليوم، والتي يبدو أنها كانت الموطن الرئيسي لقبيلة يوسف في وادي أضم في أيام التوراة، معرّفة في «البَرَكة» الأولى بالنسبة إلى قمم السماين وقرى الربيضة والثديين والرحم، مع إشارة إلى وجود السماين والربيضة في أعلى الهضبة وأسفلها على التوالي،

---

(٨) قابل «تل» في العربية، بمعنى الأكمة أو المرتفع. وربما كانت الاشارة هنا إلى أحدى قمم جبال السماين.

ومع وجود الربيضة في أراضي تهامة. وفي «البَرَكة» الثانية يشار إلى حدود أراضي يوسف الداخلية بأنها قريتا البَرَكَة والمقدّة المجاورتان للسماين (حيث هناك قرى أخرى تحمل الاسمين نفسيهما في غرب شبه الجزيرة العربية)، وإلى الحدود الساحلية بأنها صحراء تهامة قرب الربيضة.

ولعلّ هنالك تلاعباً بالكلمات في كل من هذين التحديدين لأراضي قبيلة يوسف. وكثيراً ما تحاول النصوص التوراتية أن توحي معاني لأسماء الاعلام والأماكن عن طريق مثل هذا التلاعب الكلامي، خصوصاً في الأسفار التي تعالج فترات ما قبل التاريخ، والتي تعنى بالأساطير أكثر من واقع الأحداث. والتلاعب في الفقرتين اللتين هما قيد البحث هنا قد يكون بالكلمات التالية:

ا ـ **يبركك**: فعل برك في العبرية يفيد معنى «البركة»، ويفيد أيضاً معنى «الركوع» (وفي العربية «الاستناخة»). ويقال بالعربية «برك بالمكان» اي «ثبت وأقام به». **يبركك** بالعبرية، إذن، قد تعني «يباركك» أو «ينزلك»، اي «يجعلك تثبت وتقيم».

ب ـ **بركت**: المعنى هنا قد يكون «بالركة» إذا قرئت الباء على أنها حرف جر. وقد يكون «بركة» إذا اعتبرت الباء جزءاً من الكلمة.

ج ـ **شميم**: الكلمة بالعبرية، وهي في صيغة المثنى او الجمع المذكر، تفيد معنى «السماوات»(جمع مؤنث «السماء»). وهي تتطابق تماماً مع اسم الموقع «السماين» في الوقت ذاته، لأن لاحقة جمع المذكر العبرية، وهي حرف الميم، محوّلة في الاسم الحالي إلى اللاحقة العربية للجمع المذكر، وهي النون.

د ـ **ربصت**: فعل ربص بالعبرية يقابله بالعربية «ربض»، وبالمعنى ذاته. وربصت، بالتالي، قد تعني «رابضة»، بالإضافة إلى إشارتها إلى مكان أسمه «الربيضة».

هـ - **شديم**: الكلمة بالعبرية في صيغة المثنّى المذكر، ومفردها **شدي** بمعنى «الثدي». ولذلك **شديم** قد تعني بالعربية «الثديين»، بالاضافة إلى أنها تشير إلى مكان اسمه بالشكل العربي الحديث «الثدبين».

هـ - **رحم** العبرية قد تعني «الرحم» بالعربية، وقد تشير إلى مكان اسمه «الرحم».

و - **مجد** العبرية تعني «الهدايا الثمينة»، أي «النفائس»، بالإضافة إلى إشارتها إلى مكان اسمه باللفظ العربي اليوم «المقدّة».

ح - **يهوه**: قد تعتبر هذه الكلمة بالعبرية على أنها الاسم الذي تطلقه التوراة على الله (انظر الفصل ١٢)، وهو اسم لا يلفظ في القراءة إجلالاً بل يكنى عنه بكلمة «الرب»، وهكذا يترجم إلى العربية. ويعتبر علماء اللغة ان **يهوه** هي ايضاً صيغة مضارع لفعل **هيه**، بمعنى «كان». والمضارع في هذا الفعل هو عادة **يهيه**. كلمة **يهوه**، إذن، قد تعني «الربّ»، وقد تعني «يكون»[9].

كل هذا صحيح. ومع ذلك تبقى حقيقة أن «البركات» الاثنتين المسبغتين على قبيلة يوسف، في سفري التكوين والتثنية، توردان أسماء أمكنة، وتقودان بالتالي إلى معنى ملموس. ومهما كان المعنى التصويري الذي ربما قصد بهذا التلاعب بالكلام فإنه يجب أن ينظر إليه على أنه أمر له أهمية ثانوية، إن وجد.

---

(٩) أحد الأخطاء الأكثر شيوعاً في القراءة التقليدية للتوراة تتعلق بالخلط بين **يهوه** بمعنى «هو يكون»، أو «سيكون هو»، مع **يهوه** كاسم لله. وعلى سبيل المثال، فان الجملة غير ذات المغزى «الرب (**يهوه**) أمطر على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب (**ءش م - ءت يهوه**) من السماء» (سفر التكوين ١٩ : ٢٤)، تقرأ عملياً «الرب (**يهوه**) أمطر على سدوم وعمورة كبريتاً، وهو نار موت (**و - ءش مءت يهوه**) من السماء». و**مءت** العبرية هنا يجب أن تقرأ كتهجية منوعة لـ **موت**، التي تعني بالعربية «الموت». وفي اللغات السامية يبقى التوقف الحنجري المعروف بالهمزة قابلاً للتبادل مع الحرفين شبه الصوتيين، الواو والياء.

وهنا علينا أن نعود إلى النقطة الرئيسية لهذا الفصل. ففي فقرتي «البركات» هاتين، كما ترجمتا هنا عن العبرية التوراتية الأصلية، يتضح أن **تهوم** ترد بمعنى شريط من أرض تهامة في غرب شبه الجزيرة العربية، محدد بالعلاقة بما هو اليوم قرية الربيضة، في محيط بلدة الليث بالحجاز. والاستمرار في قراءة **تهوم** العبرية، في هذا السياق على الأقل، كاسم نكرة يعني «الغمر»، أو «اللجّة» ، سيكون تكراراً لخطأ يكون تكرّس بمضي الزمن، ولكنه يبقى مع ذلك خطأ.

وهناك مقاطع أخرى في أسفار مختلفة من التوراة تتحدّث عن **تهوم** بالعلاقة مع أماكن ما زالت موجودة بأسمائها نفسها، في جزء أو في آخر من تهامة عسير وجنوب الحجاز. ومن نافل القول الاضافة بأنه يجب إعادة تأويل كل هذه المقاطع بشكل جذري. وعلى سبيل المثال، فإن سفر الخروج ١٥ : ٥ يتحدث عن **تهوم (تهمت**، بلاحقة التأنيث المفرد أو الجمع) بالعلاقة مع مكانين في وادي مدركة، في تهامة الحجاز جنوب الليث، هما قريتا المصلاة والبناية (التوراتيتان: **مصلوت** و **ءبن**). والمزمور ٣٣: ٧ يتحدث عن **ءوصروت تهوموت**، و **ءوصروت** هي جمع **ءوصره**، ولا بد أن الاشارة هنا هي إلى أكثر من مكان اسمه **وصره** في مواقع مختلفة من تهامة، ولذلك تظهر **تهوموت** هنا في صيغة الجمع. ومن هذه المواقع التهامية اليوم وَذْرَة في جوار القنفذة، ووَزْراء على مسافة قصيرة إلى الجنوب في جوار حَليّ. وفي يونان ٢ : ٦ تشير **نفش تهوم** بالتأكيد إلى قرية من تهامة هي اليوم «النِّفش»، في منطقة جيزان. ويتحدث عاموس ٧ : ٤ عن «نار» الإله يهوه، التي تلتَهم **تهوم ربه** و **هـ - حلق**، وهما ليسا «الغمر العظيم» و«الحقل» كما في الترجمة العربية المألوفة، بل تهامة الرَّبَّة في منطقة قنا والبحر، وقرية الحُقْلة (مع أداة التعريف، كما في العبرية) في منطقة جيزان. و«نار» يهوه كانت بلا شك بركانية. ومباشرة إلى الغرب من الرَبَّة، في منطقة قنا والبحر، يوجد أكبر حقول الحمم البركانية في

عسير الساحلية. أما بالنسبة للحُقلة فهي تقع بالقرب من الفوهات البركانية لجبل القارعة (انظر الفصل ٢). ويجب أن تكون زلازل هذه المناطق البركانية في عسير الساحلية هي ما أشير اليه في المزمور ٧٧: ١٧ في الجملة ءف يرجزو تهموت. وهذه يجب أن تترجم لتقرأ «زلزلت ايضاً التهامات»، بدلاً من الترجمة المألوفة المتلبسة «ارتعدت أيضاً اللجج».

وبغض النظر عن الجمل التوراتية التي تورد أسماء أمكنة موجودة على امتداد ساحل تهامة في جنوب الحجاز وعسير، هناك جملتان لهما مغزى جغرافي خاص تشيران إلى أمكنة في المرتفعات «المواجهة لـ» أو «المشرفة على» (وبالعبرية عل فني) تهامة هذه. واحدة من هاتين الجملتين، في سفر التكوين ١: ٢، تتحدث عن حشك عل فني تهوم. وقد ترجمت هذه الجملة إلى العربية «وعلى وجه الغمر ظلمة». والترجمة الصحيحة هي «وعلى وجه تهامة ظلمة». والواقع أن هناك قرية اسمها «الخشقة»(خشق، قابل العبرية حشك بمعنى «ظلمة») في منطقة قنا والبحر، والقرية هذه في تهامة عسير. ولعلّ في الأمر هنا أيضا تلاعباً في الكلام، إذا اعتبرنا أن الجملة بالعبرية قد تعني أيضاً «الخشقة المشرفة على تهامة».

وإحدى الجمل الأخرى في هذا الصدد ورد فيها حقو هوج عل فني تهوم (الأمثال ٨: ٢٧)، أي «حَقو هِياج المشرفة على تهامة»، والحَقُو والهِياج هما اليوم قريتان من منطقة جبل هَروب، شمال شرق جيزان، وتشرفان في الواقع على تهامة. وفي النص العبري جاءت الحقو معرفة بالنسبة الى الهِياج المجاورة لتمييزها، بلا شك، عن عدد من القرى الأخرى المسماة «حقو» والتي ما زالت موجودة في مناطق مختلفة أبعد شمالاً. والجملة التالية في الفقرة نفسها (الأمثال ٨: ٢٨) تذكر أسماء أمكنة أخرى موجودة في أجزاء مختلفة من عسير، من بينها

عزوز عينوت تهوم، أي «عزيزة عيينات تهامة»، وكل من عزيزة والعيينات ما زالتا موجودتين كقريتين تهاميتين في الجوار المباشر لليث. وفي الترجمات الراهنة تؤخذ بـ ـ **حقو هوج عل فني تهوم** على أنها تعني «لمّا رسم دائرة على وجه الغمر». أما بـ ـ **عزوز عينوت تهوم**، فقد جعلت في الترجمة العربية المألوفة «لما تشددت ينابيع الغمر»، ويقرّ علماء التوراة بالنسبة إلى هذه الجملة الأخيرة بأن «معنى النص العبري غير مؤكد».

والواضح من هذا الفصل أن **تهوم** التوراة العبرية كانت صحراء تهامة الحالية في غرب شبه الجزيرة العربية، وليست «غمراً» أو «لجة» من أي نوع. والدليل الأسمي يؤكد هذا من دون أدنى شك. وأكثر من هذا، فإن ترجمات المقاطع التي تتحدث عن تهوم آخذة في اعتبارها هذه الحقيقة يمكنها أن تجتاز الاختبار العملي والدقيق بكونها تحمل مغزى جغرافياً واضحاً لا لبس فيه، وهو مغزى ملموس وغير تصويري. وحيث هناك معنىً ملموس لأي نصّ لا يبقى هناك مجال للبحث عن أي معنى آخر.

هذا، إذن، هو واقع الأمر بالنسبة إلى **تهوم** التوراة، وهي اليوم ساحل تهامة على البحر الأحمر، من شبه الجزيرة العربية، ومن هنا نبدأ.

٧ ـ مسألة الأردن

«الأردن» (هـ ـ يردن) لم يكن في التوراة العبرية نهراً (نهر بالعبرية وبالعربية على السواء). وأكثر من ذلك، فإن أهل الاختصاص يعرفون تماماً أن ما من مكان وردت فيه الكلمة في النصوص التوراتية معرّفة على أنها اسم نهر[١]. أما كيف أصبح النهر الفلسطيني الشهير يعرف بهذا الاسم فهي مسألة تستحق التمحيص بحد ذاتها، ولكنها ليست المسألة التي سنتطرق اليها هنا[٢]. والمسألة المباشرة والآنية هي التالية: إذا كان أردن التوراة العبرية ليس نهراً، فماذا يمكن أن يكون؟

من ناحية علم أصول الكلمات، إن يردن التوراتية هي اسم مشتق من المصدر يرد، الذي يعني «انحدر، هبط، سقط». ومن الجذور التي تقابل يرد بالعربية «ردى» بمعنى «سقط، تهوّر من جبل عالٍ». ومن هذا الجذر على الأرجح يشتق الاسم العربي «رَيْد» وصيغته

(١) انظر سايمونز، الفقرة ١٣٧. ومع ملاحظة أن «أكثر أنهر فلسطين أهمية» لم يشر اليه أبداً في التوراة العبرية على أنه نهر، يضيف سايمونز في هامش أن «مشكلة أصل ومعنى كلمة يردن، التي اختلفت الآراء حولها، ما زالت بلا حل».

(٢) أطلق الجغرافيون العرب في الأصل اسم «الأردن» على أراضي الجليل والأجزاء المجاورة من وادي نهر الأردن وليس على نهر الأردن نفسه الذي يسمّى محلياً «الشريعة»، وليس «الأردن». وهذا الاسم قد يكون المماثل لـ يردن العبرية، ولكن ليس بالضرورة. والقواميس العربية تشتق الكلمة من المصدر رَدِنَ (رَدِنَ الجلد، تقبّض وتشنّج)، مع الإيحاء بأنها تعنى الأرض «الوعرة، القاسية، المجعّدة». وحول اشتقاق يردن انظر أدناه.

المؤنثة «رَيْدَة». و«الريد» هو «الحرف الناتىء من الجبل». وربما «الريدة»، وهي غير قاموسية، هي «النتوء الجبلي»، و«القمة الجبلية»، و«خط لقاء الجبل أو الجرف مع السماء». واستخدام التعبيرين بالعلاقة مع الأرض الجبلية ينحصر من الناحية العملية بغرب وجنوب شبه الجزيرة العربية، حيث ترد رَيْدَة ورَيْدان (**ريدن**، من **ريد**، قارن بالعبرية **يردن**، ولعلّ لاحقة النون هي في الأصل أداة تعريف مماتة) كأسماء أمكنة نكرة، أو كتعبيرين جغرافيين يدخلان في تشكل أسماء أمكنة مركبة. وفي عسير وحدها هنالك خمس قرى جبلية على الأقل، في أقاليم مختلفة، تسمى ريدة (أو ريدة . . كذا وكذا)، وقريتان على الأقل تسميان ريدان، ناهيك عن ريدة وحصن ريدان التاريخي باليمن.

في الاستعمال التوراتي، تؤخذ كلمة **هـ ـ يردن** تقليدياً على أنها اسم النهر المعروف في فلسطين، ولكنها ليست اسماً دوماً بل (كما في العربية) تعبير طوبوغرافي يعني «جرف» أو «قمة» أو «مرتفع». وفي المبنى **عبر هـ ـ يردن** («عبر» أو «ما بعد» الـ **يردن**)، الذي أخذ حتى الآن على أنه يعني «عبر الأردن» (أي «شرق الأردن»)، تشير **هـ ـ يردن** بلا استثناء إلى الجرف الرئيسي لسراة عسير الجغرافية (أنظر الفصل ٣)، الذي يمتد من الطائف في جنوب الحجاز إلى منطقة ظهران الجنوب قرب الحدود اليمنية. وفي معظم الحالات، تشير **عبر هـ ـ يردن** إلى أراضي عسير الداخلية تفريقاً لها عن عسير الساحلية التي كانت أرض يهوذا الاسرائيلية (انظر الفصل ٨). وعلى العموم، فإن **هـ ـ يردن** ، من دون **عبر**، يمكنها أن تشير إلى أي جزء من جرف عسير، وهي كثيراً ما تشير أيضاً إلى أي من القمم والمرتفعات التي لا تحصى في الجانب البحري من عسير وجنوب الحجاز، وتشير في الحقيقة إلى قمم الجبال أو إلى الجروف في أي مكان آخر (وعلى سبيل المثال، تلك التي في جبل أبو همدان في اقليم نجران، انظر الفصل

١٥). وهذا واضح من تراكيب مثل يردن يرحو الذي لا يعني «أردن أريحا» (كما في الترجمة العربية المألوفة)، بل «جرف يرحو»، و يرحو هنا تشير إلى مرتفع من جبل عيسان، في بلاد زهران، حيث يبدأ وادي وَرَاخ (ورخ)، وفيه ايضاً قرية اسمها وراخ على ما يبدو من الخريطة (انظر ما يلي). وحقيقة أنه كانت هنالك أكثر من يردن (وليس «أردن») واحدة تظهر أيضاً في التعبير هـ - يردن هـزه («هذا الجـرف» أو «هذا المرتفع»، وليس «هذا الأردن») الذي يرد ما لا يقل عن ست مرات في اسفار مختلفة من التوراة (التكوين ٣٢ : ١١، التثنية ٣ : ٢٧ و٣١ : ٢، يشوع ١ : ٢ و١١ و٤ : ٢٢). ولو كانت هـ - يردن اسماً لنهر معين، أو في هذه الحالـة اسماً لجـرف أو مرتفـع معين، لكان يصعب التفكيـر بسبب يقضي بالاشارة إليـه بهذه الكثـرة بالتعبيـر «هذا الأردن» إلا إذا كانت هنالـك أنهر أخـرى أو أجراف ومـرتفعات أخـرى تحمل الاسم نفسه[٣]. وعملياً، إن تعبير هـ - يردن هزه يعني ببساطة «هذا الجرف» أو «هذا المرتفع» أو «هذه القمة»، تفريقـاً عن أجراف أو مـرتفعات أو

(٣) هناك عدد لا يحصى من الجداول الموسمية والدائمةالتي تنبع من الانحاء المختلفة لجرف عسير، وهو ما يفسر التعبير التوراتي مي هـ - يردن أو ميمي هـ - يردن («ماء» أو «مياه» الـ يردن، انظر ما يلي). وعلى العموم، فان تعبير يردن يظهر في بعض الحالات في التوراة بمعنى «جدول ماء» أو «بركة». وبهذا المعنى، تكون الكلمة مشتقة من يرد (وبالعربية وَرَدَ) بمعنى «ذهب إلى الماء». و«الوِرد» بالعربية هو «النصيب من الماء». وهكذا، فان هـ - يردن التي «غطس» فيها نعمان الأرامي «سبع مرات» (الملوك الثاني ٥ : ١٤) ليعالج نفسه من الجذام كانت بالتأكيد بركة ماء أو نبعاً أو جدولاً. وإذا أخذ في الاعتبار أنها كانت قرب السامرة (شمرون)، التي هي اليوم شِمران في منطقة القنفذة (انظر الفصل ١٠)، فان يردن نعمان كانت بلا شـك تشير إلى مجمـع مياه في وادي نُعص الـذي يجري هنـاك. وموطن نعمان، المسمى آرام («رم»)، يمكنه أن يكون اليوم وادي وَرَم (ورم) في النهايات السفلى لرجال ألمع. و«دمشق» (دمسق أو د مسق) التي تخصه هناك هي اليوم ذات مسك (ذت مسك) وليس هناك نهر «فرفر» (فـرفر) ولا نهر «أبـانة» («بنء») يتـدفق في جوار دمشق الشام. وهذان النهران في موطن نعمان، الذي يقارنهما باستحسان مع الـ يـردن التي عولج فيها، يحملان اسمين هما اليوم لقريتي الرَّفْرَفَة (مع قلب الأحرف) والبنا (بنء) في الجوار العام نفسه من عسير الذي هو حوض وادي حَلي وروافده الكثيرة.

قمم أخرى.

ولإثبات حقيقة أن «أردن» التوراة لم يكن نهراً بهذا الاسم بل مجرد تعبير طوبوغرافي يشير إلى أجراف أو قمم ومرتفعات جبلية في جنوب الحجاز وعسير، سيكون من المفيد تحديد كيفية ورود الاسم بالترابط مع مجموعات مختلفة من أسماء أماكن من غرب شبه الجزيرة العربية في نصوص مختلفة من التوراة. ويمكن أخذ المثال الأول من الرواية المفصلة للعبور الاسرائيلي للـ «أردن» بقيادة يشوع، منذ اللحظة التي انطلق الاسرائيليون فيها إلى العبور من «شطيم»، وحتى الختان الجماعي لـ «شعب اسرائيل» في «تل القلف» (بالعبرية جبعت هـ ـ عرلوت) (يشوع ٣: ١ و٥: ٣). في البداية، سيكون من الملائم تحديد النقاط الدقيقة للانطلاق والوصول (انظر الخريطة). ونقطة الانطلاق، «شطّيم» (وتهجئتها التوراتية هي هـ ـ شطيم)، كانت في الظاهر قمة بجوار وادي وَجّ (يحتمل أن تكون جبل سويقة الحالي، إلى الشمال مباشرة من الطائف) ورد اسمها في الكتابات التاريخية العربية على أنها جبل شتان (شستن)[٤]. ويمكن تأكيد كون موقع «شطيم» يوجد هناك من خلال تحديد المنطقة التي وصلها الاسرائيليون بقيادة موسى، التي شملت بوضوح أجزاء منطقة الطائف الواقعة شرق الشق المائي[٥]. ونقطة الوصول، التي جرى فيها الختان الجماعي

(٤) استناداً إلى المؤرخين العرب، ذهب الرسول محمد (ﷺ) في حجه الأخير من المدينة إلى مكة بطريق جبل شتان والقرية المجاورة كداء، التي ما زالت هناك، واسمها اليوم الكدا.

(٥) إستناداً إلى سفر العدد ٣٣: ٤١ ـ ٤٩، فإن موسى قاد الاسرائيليين في المرحلة الأخيرة من تيههم من جبل «هور» (هر هـ ـ هر) الى «صلمونة» (صلمنه)، ثم إلى «فونون» (فونن)، و«أوبوت» (ءبت)، و«عيي عباريم»(عيي هـ ـ عبريم) في تخم «مؤاب» (موءب)، و«ديبون جاد» (دبين جد)، و«علمون دبلاتايم» (علمن دبلتيم)، و«جبال عباريم» (هري عبريم) أمام «نَبو» (نبو)، و«عربات مؤاب» (عربت موءب) «على أردن أريحا» (عل يردن يرحو، حرفياً: «على» يردن يرحو). ثم نزلوا (أي خيّموا) «على الأردن» (عل يردن، حرفياً: «على الأردن») بين «بيت يشيموت» (بيت هـ ـ يشمت) و«آبل شطيم (ءبل

للاسرائيليين غير المختونين، هي اليوم قرية ذي غلف، التي يكاد أن يكون اسمها الحالي ترجمة حرفية للاسم التوراتي **جبعت هـ - عرلوت**، أي «تل القلف» أو «تل الغلف». والقلفة أو الغلفة في العربية هي الغرلة (بالعبرية **عرله**، وجمعها **عرلوت**). وفي حين أن جبل شتان يقع شرق الشق المائي لغرب شبه الجزيرة العربية، فإن ذي غلف تقع غربه، في وادي أضم، في مرتفعات منطقة الليث. وللوصول من جبل شتان إلى ذي غلف يجب على المرء أن يتجه جنوباً، ثم أن ينعطف غرباً ليعبر الشق المائي عند مضيق وادي بقران، جنوب الطائف.

ومن جبل شتان إلى ذي غلف كان العبور الاسرائيلي للـ «أردن»، كما وصف في سفر يشوع. ويمكن تتبع هذا العبور حتى في أدق

= هـ شطيم) في «عربات مؤاب» (عربت موءب). اه. والأمكنة الثمانية الأولى المشار إليها موجودة في بلاد غامد وزهران، وهي اليوم: «مرتفع» (هر) الهرّة (هر)، وسلامان (سلمن)، وجبل النوف، ووادي بات (بت)، و«الحجارة المكومة» (عييم) في العرباء (عربء) في جبل شدا، وما زالت هناك كبلاطة حجرية مثلثة مسطحة مرفوعة على ثلاثة أحجار أخرى كبيرة ومبجلة باعتبارها من آثار إبراهيم المقدسة وتسمّى «مصلّى إبراهيم»، والقريتان المتجاورتان بَدْوَنْ (بدون) والغاذي (غـذ بلا تصويت، قارن مع جد) قرب بلدة قِلوة، وقريتان أخريان في الجوار الأوسع لقلوة تسميان عَمْلَة (عمل، قارن مع علمن) والبدلة (بدلت، قارن مع دبلتيم كجمع للاسم أو للنسبة المشتقة منه)، وأخيراً مرتفعات جبل غارب (غرب) في سراة زهران، التي تواجه عملياً نباه (نبه أو نب)، وهي نبو التوراتية في أقصى النتوء الجنوبي لقمة الطائف في الشمال. أما بالنسبة إلى عربت موءب فهي قرية غُرابة الحالية (انظر النص) الواقعة مباشرة إلى الشرق من الشق المائي بين اقليمي زهران والطائف، وعبر الـ يردن، أو «الجرف»، مقابل أم الباب (ءم يب) التي هي مؤاب التوراتية. وغرابة هذه تقع عملياً على الامتداد نفسه للـ يردن، أو «الجرف»، حيث تقع مرتفعات وادي وراخ، أو ورخ («أريحا» التوراتية، انظر النص). والمنطقة التي استوطنها الاسرائيليون أخيراً بقيادة موسى كانت امتداد الأرض المرتفعة بين الأثِمّة (ءثمت) في اقليم زهران و«مجرى ماء» (ءبل) جبل شتان (شتن)، المسمى اليوم وادي وَجّ، في اقليم الطائف. وحول المحاولات المرتبكة لتفسير جغرافيا سفر العدد ٣٣: ٤١-٤٩، من خلال «عبر الأردن» (أي «شرق الأردن»)، انظر الصفحة ١٢٤-١٢٥ من دليل كريلنغ لجغرافية التوراة.

تفاصيله في مسرح غرب شبه الجزيرة العربية، مع الأخذ في الاعتبار أن أحداً لم ينجح في تتبع مسار هذا العبور في مسرحه المفترض تقليدياً أنه من شرقي الأردن إلى فلسطين، عبر نهر الشريعة (انظر كريلينغ، ص ١٣٢ ـ ١٣٤). وقد جاء أن الاسرائيليين انطلقوا إلى عبورهم في وقت الحصاد، عندما كانت الوديان على جانبي الـ **يردن**، أي «الجرف»، ممتلئة بمياه السيول الغزيرة (٣: ١٥)[٦]. وعندما وصلوا إلى النقطة التي يمكنهم عبورها، تراجعت المياه (أو هي جعلت تتراجع ببناء سدود لتحويل مجراها) لتسمح لهم بالمرور (٣: ١٦).
وعن النص الأصلي بالعبرية، نقلت الترجمات العادية الحدث كما يلي:

«وقفت المياه المنحدرة من فوق (**م ـ ل ـ معله**) وقامت ندّاً واحداً بعيداً جداً (**ند ءحد هـ ـ رحق مءد**) عن أدام (**ءدم**)، المدينة التي إلى جانب صَرْتان (**صرتن**)، والمنحدرة الى بحر العربة (**عل يم عـربه**)، بحر الملح (**يم هـ ـ ملح**) انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل أريحا (**يريحو**)».

تقليدياً، ترجمت العبرية **يم عربه يم هـ ـ ملح**، خطأ، على أنها «بحر عربة، بحر الملح»، وأخذت على أنها تشير إلى البحر الميت الفلسطيني. ومع ذلك، فان يم العبرية يمكنها أن تعني «بحر» وأن تعني «غرب». ولهذا، فان الترجمة الصحيحة للجملة **عل يم عربه يم هـ ـ ملح** تصبح «**غرب عربه** (اسم مكان)، غرب **هـ ـ ملح** (اسم مكان آخر)». والموقعان موضوع البحث هما غُرابة (غرب بلا تصويت) في وادي بقران، مباشرة شرق الشق المائي، والقرية القريبة منها، الملحة

---

(٦) نهر الأردن لا يفيض في وقت الحصاد، وهو آخر الربيع. وعلى العموم، فان هذا هو موسم الأمطار الغزيرة في عسير الجغرافية، وهي الأمطار التي يمكنها أن تتسبب أحياناً في سيول هائلة. وقد زرت المنطقة في أواخر أيار (مايو) وتأكدت من هذا الأمر بنفسي.

(**ملح**، مع أداة التعريف العربية، قابل مع الاسم بالعبرية **هـ ـ ملح** الذي يحمل هو أيضاً أداة التعريف). وهناك ترجمات أخرى خاطئة في الفقرة المستشهد بها، وهي:

١ ـ أن **م ـ ل ـ معله** العبرية هي طريقة غير معقولة للقول «من أعلى»، لأنها تعني حرفياً «من إلى أعلى». وبالشكل الصحيح، يجب أن تقرأ **م ـ لمعله**، أي «من **لمعله**» (اسم مكان). **ولمعله** هذه هي اليوم قرية اسمها المعلاة (**عل ـ معله** بلا تصويت) في منطقة الطائف، قرب غُرابة والملحة.

٢ ـ أن **ند عحد** العبرية، في هذا الاطار، يجب أن تترجم «سدّاً واحداً»، وليس «نداً واحداً» بمعنى «أكمة واحدة».

٣ ـ أن **هـ ـ رحق معد**، إذا قرئت فيها **معد** ككلمة واحدة، تعني حرفيّاً «المسافة كثيراً»، ولهذا ترجمت «بعيداً جداً». والتركيب «المسافة كثيراً» غير معقول. أما إذا هي قرئت **هـ ـ رحق م ـ عد**، فيمكنها أن تعني «الممتد من **عد** (اسم مكان)». و**عد** هذه هي اليوم قرية ودّ، في الجزء نفسه من منطقة الطائف حيث توجد غُرابة والملحة والمعلاة.

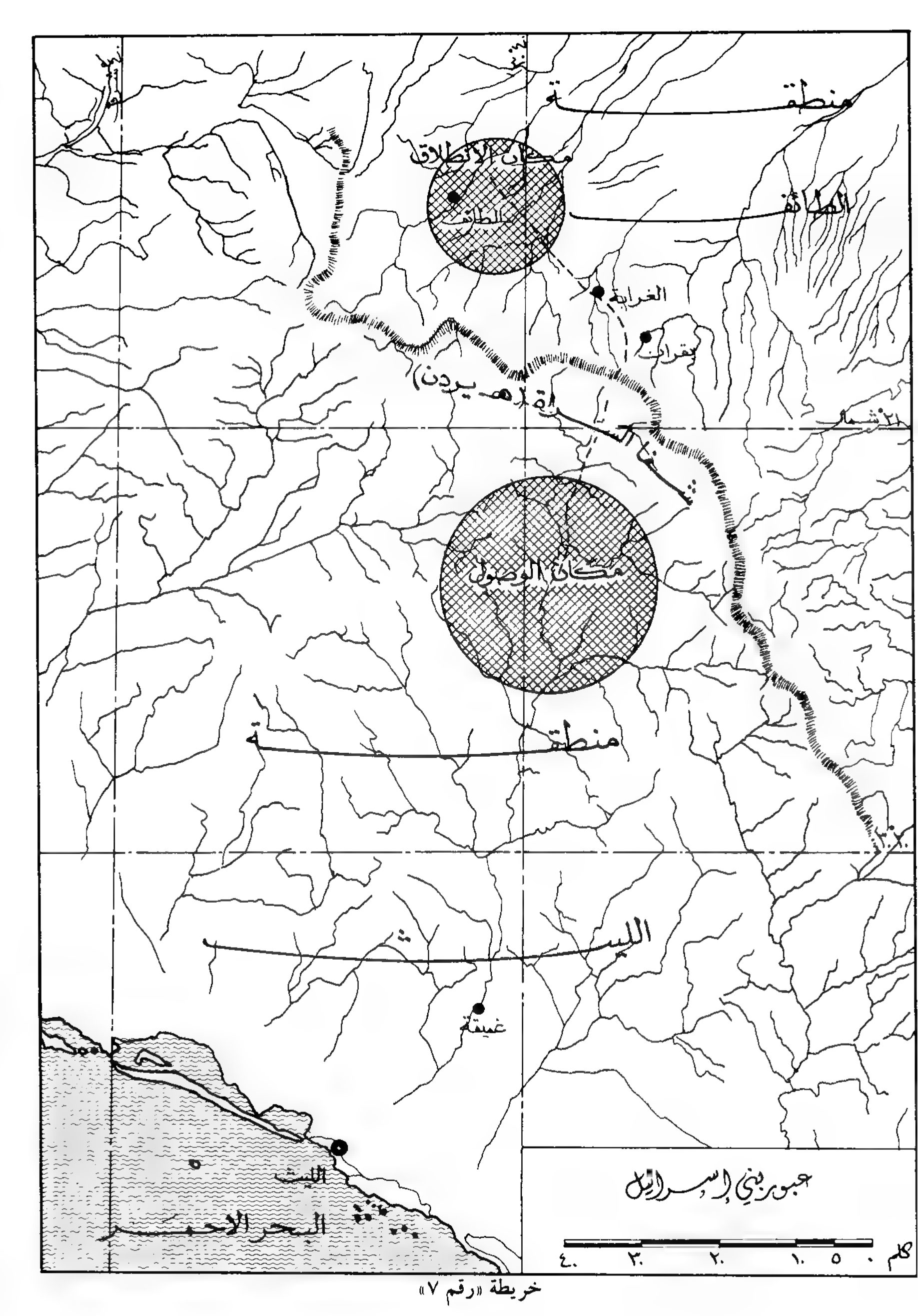
أما الأمكنة الباقية التي هي بحاجة إلى تحديد فهي «أدام» و«صرتان» و«أريحا»، مع الأخذ بعين الاعتبار القرب بين المكانين الأول والثاني. و«أدام» لا بد أن تكون اليوم أضم (**عضم**، تحوير عن **عدم** التوراتية)، وهي القرية الواقعة غرب الشق المائي إلى الجنوب من الطائف، والتي يسمى باسمها وادي أضم. أما «صَرْتان» (**صرتن**) فلعلّها الرَّزْنَة (تحريفاً عن **رصنت**، مع قلب الأحرف) الحالية، وهي أيضاً في وادي أضم. وأما بالنسبة لِـ «أريحا» (**يريحو**)، وهي في التهجئة التوراتية غير **يرحو** التي هي اليوم وراخ، فهي اليوم قرية الرخية في وادي أضم. وعلى ضوء هذا كله يجب أن تترجم جملة يشوع ٣ : ١٦ كما يلي:

«المياه المنحدرة من المعلاة ارتفعت في سدّ واحد يمتد من ودّ، عند أضم، المدينة التي هي بجانب الرزنة. وتلك المتدفقة نزولاً غرب غرابة، غرب الملحة، انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل الرخية».

ومن الواضح أن المياه التي «وقفت» لتسمح لبني اسرائيل بعبور الجرف عند عقبة بقران (وذلك لأنها ووجهت بسدّ أقيم خصيصاً لهذه الغاية، على ما يظهر) كانت مياه سيل وادي أضم، الذي يجري من الشق المائي غرباً باتجاه البحر. وهكذا تكون نقطة العبور قد حددت في نص سفر يشوع بدقة مذهلة.

وعندما عبر رجال اسرائيل (إذا كان للنص العبري أن يقرأ صحيحاً) عقبة بقران بين غرابة وأضم، «حملوا اثني عشر حجراً» من الجرف (هـ - يردن) «حسب عدد أسباط بني اسرائيل» (٤ : ٨). وعندما وصلوا «الجلجال» (جلجل)، أخذ يشوع الأحجار الاثني عشر ونصبها كمَعْلَم لذكرى عبور هـ - يردن هزه («هذا الجرف» أو «هذا المرتفع»). ولا شك في أن هذه الحكاية، كما وردت، تشكل محاولة لتفسير كيفية وجود رابية «جبل جلجل» الصخرية في «سهل جلجل» في وادي أضم. وما زال السهل والرابية هناك حتى اليوم، باسميهما التوراتيين دون أي تغيير فيهما.

وللوصول إلى سهل جلجل (وهو «الجلجال» في الترجمة العربية المألوفة)، كان بنو اسرائيل قد نزلوا وادي أضم «مقابل أريحا (يريحو)» (٣ : ١٦)، أي مقابل قرية الرخية، وهذا صحيح جغرافياً (انظر أعلاه). وجلجل (أو «الجلجال»)، حيث حلوا، كانت «في تخم أريحا الشرقي»، كما جاء في الترجمة العربية (بـ - قصه م - زرح يريحو بالعبرية، ٤ : ١٩). وقصه العبرية أخذت هنا على أنها تعني «تخم»، وزرح على أنها تعني «شرق»، وهما عملياً اسمان لقريتان في وادي


منطقة الطائف
مكان الانطلاق
الطائف
الغراية
بقران
(قلاهه يردن)
السراة
مكان الوصول
منطقة الليث
غميقة
الليث
البحر الاحمر
عبور بني إسرائيل
كلم ٠ ٥ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠

خريطة «رقم ٧»

أضم، وهما «القصية» و«الصرحة». وقد عُرّفت الثانية منهما بصرحة الرخية (**زرح يريحو**)، نسبة الى قرية الرخية المجاورة لها، لتمييزها عن قرية أخرى اسمها الصرحة في المنطقة ذاتها. وبالتالي، فإن الترجمة الصحيحة للجملة يجب أن تكون: «حلوا في جلجل، في القصية، من صرحة الرخية»، وهكذا يكون قد أشير إلى كامل امتداد مكان حلولهم.

ومثل قصة أحجار جلجل أو «الجلجال» الأثني عشر، هي قصة الختان الجماعي لرجال اسرائيل غير المختونين عند **جبعت هـ ـ عرلوت** (التي هي اليوم ذي غلف، انظر أعلاه)، إذ تمثل هذه القصة محاولة لتفسير ظاهرة غير معتادة، وهي في هذه الحالة الاسم الغريب لمكان يسمى «تل القلف». وليس موضع الاهتمام هنا عملياً معرفة سبب تسمية المكان بهذاالاسم[7]. والمهم هو أن قرية ذي غلف الحالية في غرب شبه الجزيرة العربية ـ مثل الرخية (أو «أريحا») وجلجل (أو «الجلجال») والقصية والصرحة ـ تقع في وادي أضم، وهو ما يطابق تماماً التأويل الجغرافي الصحيح للعبور الاسرائيلي للـ «أردن» بقيادة يشوع. أما إحداثيات نقطة العبور في عقبة وادي بقران، جنوب الطائف، فهي ٢١° شمال ٤٠° ٣٠′ شرق.

وفي حين أن «أردن» يشوع كان عقبة جبلية في جنوب الحجاز، على امتداد الجرف الرئيسي لغرب شبه الجزيرة العربية، فان «أردن» لوط (التكوين ١٣ : ١٠ ـ ١٢) كان قمة جبل هروب، على بعد حوالى ٤٥٠ كيلومتراً إلى الجنوب ـ الجنوب الشرقي، في منطقة جيزان، حيث ما

---

(٧) يروي الرحالة الذين زاروا ساحل عسير في القرن الحالي أن الشباب كانوا يؤخذون الى رابية خارج قريتهم ليختتنوا هناك علناً. والكلمة التي تستخدم محلياً لفعل الختان هي «علّى»، أي «رفع» أو «أخذ إلى مكان عالٍ». وربما كانت ذي غلف، التي كانت تسمى في القديم **جبعت هـ ـ عرلوت**، موقعاً لرابية كانت تستخدم في السابق لطقوس ختان الشباب البالغين.

زالت توجد قرية اسمها رَيْدان (قارن بالعبرية **هـ - يردن**). ويبدو أن جبل هروب بكامله كان يسمّى **هـ - يردن** (أي «ريدان») في زمن التوراة. وانطلاقاً من نقطة البداية في «النقب» (**هـ - نجب**)، بين «بيت أيل» (**بيت ءل**) و«عاي» (**هـ - عي**) (التكوين ١٣ : ٢)، افترق لوط عن عمه أبرام العبري (انظر الفصول ١٢ و١٣ و١٥) وذهب ليقيم في منطقة وصفت بأنها **ككر هـ - يردن**، التي جعلت عادة في الترجمات «دائرة الأردن» أو «وادي الأردن». ومع التسليم بأن **ككر** تعني «دائرة»، وهو ما يبدو صحيحاً، فان **ككر هـ - يردن** يجب أن تكون إشارة إلى «محيط» جبل «ريدان» (أي جبل هروب) الذي ترويه مجاري وروافد وادي صبيا ووادي بيش.

وتعريف **ككر هـ - يردن** على أنها «محيط» جبل هروب الخصب، في منطقة جيزان، وليس «دائرة الأردن» في فلسطين، يتأكّد من مسار تحركات لوط كما وردت في سفر التكوين. والواضح من هذا المسار أن «النقب» التي انطلق لوط منها ليصل إلى **ككر هـ - يردن** لم تكن إطلاقاً صحراء النقب في جنوب فلسطين، بل كانت قرية النقب، التي ما زالت قائمة حتى اليوم على منحدرات رجال ألمع، غرب مدينة أبها وإلى الشمال مباشرة من منطقة جيزان (انظر الفصل ٤). وهنا أيضاً توجد، وحتى يومنا هذا، قريتا البتيلة (**بتل**)، التي هي «بيت أيل» التوراتية، والغيّ (غي مع أداة التعريف العربية. قارن بالعبرية **هـ - عي**)، التي هي «عاي» التوراتية[8]. وللوصول إلى **ككر هـ - يردن**، أي «محيط» جبل هروب، كان على لوط أن يذهب أولاً إلى جبل هروب، ثم أن ينزل من هناك إلى الوديان. وفي سفر التكوين ١٣ : ١٨ قيل عملياً إن لوط ارتحل

---

(٨) الباحثون التوراتيون حددوا «بيت أيل» التوراتية، زيفاً، بكونها قرية بيتين الفلسطينية على أساس التشابه السطحي بين الاسمين، ولا شيء غير ذلك. وهم يقولون إن «عاي» قد تكون قرية التل الحالية، قرب بيتين. ولمعلومات أوسع حول هذه النقطة، راجع الفصل ١٣، الهامش ٤.

«من قدم» (م ـ قدم بالعبرية) ليصل إلى مبتغاه. **وقدم** هي اليوم مورد، أي مكان سقاية، يسمى **الغمد** قرب ريدان، في جبل هروب. ولم يكن لمترجمي التوراة ان يعرفوا أن **قدم** كانت اسم مكان، وبالتالي كان لديهم عذر ليأخذوها حرفياً على أنها تعني «شرق». وعلى العموم، وبافتراض أن لوط انطلق من فلسطين، وأنه كان عليه بالتالي أن يتجه شرقا ليصل إلى **ككر هـ ـ يردن**، التي اعتقد بأنها وادي الأردن، فإن هؤلاء المترجمين أساؤوا عن قصد ترجمة م ـ **قدم** العبرية لتعني «شرقاً»، أي «باتجاه الشرق»، وهم على علم كامل بأنها لا يمكن أن تعني إلا «من الشرق »، إذا كانت **قدم** تعني «شرق». وليس بسبب قلة الأمانة، بل أكثر من ذلك بسبب الجهل بالواقع، ترجم هؤلاء القصة قيد البحث بكاملها (التكوين ١٣ : ١٠ ـ ١٢) لتقرأ تقريباً كما يلي:

«فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن (**ككر هـ ـ يردن**) أن جميعها سقي (**كله مسقه**)، قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة (**ل ـ فني شحت يهوه ءت سدم و ـ ء ت عمره**)، كجنة الرب (**ك ـ جن يهوه**)، كأرض مصر حينما تجيء إلى صوغر (**ك ـ ء رص مصريم بـ ـ ء كه صعر**). فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقاً (**م ـ قدم**)... ولوط سكن في مدن الدائرة (**عري هـ ـ ككر**) ونقل خيامه إلى سدوم (**و ـ يءهل عد سدم**).

وبغض النظر عن انتقائية أخذ **ككر هـ ـ يردن** على أنها «دائرة الأردن»، أي وادي الأردن، وعن الترجمة المقصودة الخطأ لـ م ـ **قدم** على أنها «شرقاً» وليس «من الشرق» (وهي تعني عملياً «من الغمد»)،فان مترجمي هذه الفقرة فهموا يهوه العبرية، التي وردت مرتين في الفقرة كصيغة مضارع لفعل هيه أي «كان» (انظر الفصل ٦، الهامش ٩)، على أنها اسم إله اسرائيل (**يهوه**، والمترجم عادة «الرب»). وكذلك، فقد أخذ

هؤلاء المترجمون **شحت** العبرية على أنها فعل ماضٍ يعني «أخرب» أو «خـرّب»، في حين أنها ترد عملياً في النص كاسم مكان (انـظر أدناه). ولوضع ترجمة الأصل العبري، الذي له مغزاه التام كما هو، في نصـاب البنية الجغرافية المتصورة في فلسطين، لجأ المترجمون إلى التلاعب بالنصّ الأصلي، فنزعوا الجملة **ل ـ فني شحت يهوه ءت سدم و ـ ءت عمره** من موقعها الصحيـح، الذي يـأتي في الأصل مبـاشـرة بعـد **كله مسقـه** أو «جميعها سقي»، ليضعوها بعد **ك ـ ءرص مصريم بـ ـ ءكه صعر**، وهـذا ليس موقعها في الأصل العبري. وأكـثر من ذلك، فقـد اعتبروا أن من المسلم به كون **ءرص مصـريم** تعني «أرض مصر». وفي الجملة الأخيرة افترضوا كلهم، وبلا استثناء، أن **عري هـ ـ ككر** تعني «مدن الدائـرة» أي مدن وادي الأردن، في حين أن الأصـل العبري يشـير الى «كهوف» مكان معين (بالعربية **غار**، أي «كهف») أو «وديانه» (بالعربية **غَور**، أي «المكان العميق» أو «الوادي»). والمرجح أن **عري** في إطار النصّ تعني «الكهوف»، نظراً لأن لوط وصف بكونه قد عاش في كهف، أو «مغارة»، وهو في هذه الحالة **معره**[٩]، في سفر التكوين ١٩ : ٣٠ . ونورد فيما يلي إعادة ترجمة للنص نفسه، محافظين على أسماء الأمكنة المذكورة بصيغتها العبرية الأصلية، من أجل تحديدها لاحقاً:

> «فرفع لوط عينيه ورأى أن كل **ككر هـ ـ يردن** مسقيّ باتجاه شحت (**ل ـ فني شحت**)، وهي بجانب سدم وعمره (**يهوه ءت سدم و ـ ءت عمره**). انها كجنة (**ك ـ جن يهوه**)، كأرض **مصريم** باتجاه **صعر**. ولهذا اختار لوط لنفسه كل **ككر هـ ـ يردن**، وارتحل لوط من **قدم**... وسكن لوط في كهوف الـ **ككر**، ونصب خيامه حتى **سدم**».

---

(٩) عملياً عر (وليس عـير، أي «مدينـة») هي مفرد عـري (أو عريم) في النص، ويقـابلها بالعربية «غار» أو «غور». ومعره (بالعربية «مغارة») مشتقة من الجذر نفسه، وهو «غور». يقال بالعربية «غار في الشيء» أي دخل فيه، و«غار الماء» أي ذهب في الأرض وسفل فيها.

وهذه الترجمة الجديدة للنص العبري المكتوب بالأحرف الساكنة تقدم مجموعتين من أسماء الأمكنة، احداهما تشير إلى ثلاثة مواقع في «دائرة ريدان» (**ككر هـ ـ يردن**)، أي محيط جبل هروب، وهي **شحت** **وسدم وعمره**، والثانية تشير إلى موقعين في انحاء أخرى، هما **مصريم** **وصعر**. ومواقع المجموعة الأولى تقارن ايجاباً مع **مصريم** بأنها «جنة» في الخصوبة. والمواقع الخمسة كلها ما زالت توجد بأسمائها في عسير اليوم، وتقع الثلاثة الأولى في منطقة جيزان، حيث يتوقع الباحث أن يجدها، ويقع الموقعان الأخيران في جوار أبها الشديد الخصوبة، وهو الجزء من السراة الذي يحظى بمعظم الأمطار. ونورد فيما يلي تحديداً للمواقع الخمسة بأسمائها الحالية:

١ ـ **شحت**: هي اليوم الشخيت (**شخت** بلا تصويت)، في جبل بني مالك، جنوب شرق جبل هروب، وشرق وادي صبيا مباشرة.

٢ ـ **سدم**، أو «سُدوم»: ما زال الاسم موجوداً، وقد طرأ عليه تبديل في مواقع الأحرف فأصبح «دامس» (**دمس** بلا تصويت)، ووادي دامس هو الرافد الأقصى غرباً لوادي صبيا (انظر الفصل ٤).

٣ـ **عمره**،أو «عمورة»: الغمر (**غمر**)، على منحدرات جبل هروب فوق وادي دامس.

٤ ـ **مصريم**: من الأكيد أن الاسم هنا لا يشير الى «مصر» وادي النيل، بل إلى ما هو حالياً قرية المِصرمـــة (وتلفظ محلياً المصرامة) في جوار أبها (انظر الفصل ٤).

٥ ـ **صعر** أو «صوغر»: الصعراء (**صعر**)، أيضاً في جوار أبها. وهناك أكثر من «صوغر» أخرى في أنحاء مختلفة من عسير.

ونورد هنا بعض التعليق المضاف لتحديد هوية المكان قيد البحث. استناداً إلى سفر التكوين ١٩ : ٢٤، فان «سدوم» و«عمورة» دمرتا

خلال حياة لوط بمطر من «كبريت» و«نار موت من السماء» (انظر الفصل ٦، الهامش ٩)، والواضح أن المقصود هو ثورة بركانية. وهناك «سدومات» عديدة محتملة أو ممكنة في عسير، احداها هي سُدومة (سدم بلا تصويت، تماماً كما في التوراة)، في منطقة بني شهر. لكن ليست هناك آثار بركانية بالقرب من أي منها. أما وادي دامس فليس كذلك، إذ أن مساره الأدنى يعبر حقل حمم براكين عكوة. ولا بد من تذكير علماء الآثار التوراتيين الذين ما زالوا يبحثون عن بقايا سدوم (أو بقايا عمورة) بالقرب من البحر الميت في فلسطين بأنه لم يعثر هناك بعد على أية آثار لنشاطات بركانية قديمة. وهاتان البلدتان لا بد أن تكونا قد دفنتا تحت حمم وادي دامس في منطقة جيزان، عند سفح جبل هروب، بالرغم من وجود قرية اسمها الغمر (غمر)، وهو اسم «عمورة» (عمره) التوراتية بالذات، على منحدرات جبل هروب[١٠]. و هـ ـ يردن أو «الأردن» الذي ربط به المكانان اللذان ورد اسماهما في قصة هجرة لوط لا يمكنه أن يكون إلا جبل هروب، الذي ما زالت قرية ريدان تحمل الى اليوم اسمه التوراتي (الذي يعني «الجرف» أو «المرتفع»). و«الدائرة» (ككر) التي تلي لا بد أنها كانت تشير في الأزمنة التوراتية إلى الشعاب التي تشكّل حوضي وادي صبيا ووادي بيش في محيط جبل هروب، كما ذكرنا. وكذلك، فإن قدم لوط ليست «الشرق» بالتأكيد، بل مورد الغمد قرب ريدان جبل هروب[١١].

---

(١٠) يحتمل أن تقع الغمر هذه خارج محيط التساقط البركاني لعكوة. وهذا هو الأمر بالنسبة لـ «عمورة» أخرى في منطقة جيزان، التي هي الغمرة في جبل بني مالك. و«عمورات» عسير (سواء بالغين أو بالعين) أكثر عدداً من أن تحصى.

(١١) اخترع الباحثون التوراتيون تعبير «بنتابوليس»، اي «المدن الخمس» لـ «سهل الأردن»، إشارة إلى «سدوم» و«عمورة»، و«أدمة» و«صبوييم» (انظر الفصل ٤) و«بالع ـ صوغر» (التكوين ١٤)، على أنهم لم ينجحوا في تحديد موقع أي من هذه «المدن الخمس» في وادي الأردن الفلسطيني. انظر سايمونز، الفقرة ٢٧١.

وبالنسبة الى أسم المكان **مصريم**، لا بد من لفت الانتباه إلى أنه نادراً ما استخدم في التوراة العبرية للاشارة إلى «مصر»، كما يفترض عادة[١٢]. وحيث لا تشير الكلمة إلى المِصرمة في جوار أبها وخميس مشيط (انظر الفصل ٤ والفصل ١٣)، فهي تشير إلى مَصر في وادي بيشة، أو إلى المَضْروم (**مضرم**) في مرتفعات غامد، أو إلى آل مصري في منطقة الطائف[١٣] (انظر الفصل ١٤). و«فرعون» التوراتي (**فرعه**)، كما سيذكر لاحقاً، لم يكن ملك مصر، بل يبدو أنه كان الحاكم المتسلط في وقت ما على «المصرمة» وجوارها، امتداداً إلى «مصر» وجوارها في حوض وادي بيشة. وفرعا (فرعء) اسم لقبيلة ما زالت موجودة في وادي بيشة إلى اليوم. واسم هذه القبيلة لا يختلف في اللفظ عن **فرعه** التوراتية، ولعلّه استمرار في الوجود للقب حكّام هذه الناحية في الأزمنة الغابرة.

وعندما يتم الاعتراف بأن «الأردن»، أي **هـ - يردن** التوراتية، ليست اسماً لنهر ما، بل لفظة تعني «الجرف، القمة، المرتفع»، أو هي اسم مكان مثل ريدان يحمل المعنى نفسه، يصبح سهلاً فهم تعابير توراتية مركبة أخرى تظهر فيها اللفظة نفسها. وقد لوحظ سابقاً أن **يردن يرحو** (سفر العدد ٢٦ : ٣ و٦٣، ٣١ : ١٢، ٣٣ : ٤٨ و٥٠، ٣٥ : ١، ٣٦ : ١٦) ليست «أردن أريحا»، بل هي «مرتفع وراخ» في بلاد زهران. وإلى جانب **يردن يرحو**، هناك تعابير توراتية أخرى تظهر فيها نسبة مماثلة

---

(١٢) بالنسبة للشكوك القديمة لدى علماء التوراة حول كون مصريم التوراتية تشير، بلا استثناء، إلى مصر، انظر:

Zeitschrift für Assyriologie, 37:67; **Reallexikon der Assyriologie** (ed. E. Ebeling and B. Meissner, Berlin, 1928), I, 255a; Harri Torczyner, **Die Bundeslade und die Anfänge der Religion Israels** (Berlin, 1930), pp. 67f.

(١٣) بالحكم من خلال توزع أسماء الأمكنة هذه في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن «ءرص مصريم» التوراتية (أي «أرض المصريين») كانت تشمل كامل حوض وادي بيشة، بالاضافة إلى حوض وادي رنية الى الشمال.

إلى يردن، ولا بد من دراستها. إن **معبروت هـ ـ يردن** (القضاة ٣: ٢٨، ١٢: ٥ و٦)، مثلاً، لم تكن «مخاوض الأردن»، بل كانت «شعاب الجرف»[١٤]. **وسفت هـ ـ يردن** (الملوك الثاني ٢: ١٣) لم تكن «شاطىء الأردن»، بل «شفا الجرف». والشفا (قابل **سفه** بالعبرية) هو «حرف كلّ شيء وحدّه». وما زالت «الشفا» تستعمل في المصطلح المحلّي للدلالة على حرف السراة في جنوب الحجاز وعسير. **وجليلوت هـ ـ يردن** (يشوع ٢٢: ١١) لم تكن «دائرة الأردن»، بل «أجلال الجرف» (جمع جلّ، والجل من الأرض «القطعة ذات جدار وحدّ معلوم»). والأجلال هي المدرّجات الزراعية في الأراضي الجبلية.

وأخيراً، فمن الأكيد أن **جءون هـ ـ يردن** (ارميا ١٢: ١٥، ٤٩: ١٩، ٥٠: ٤٤، زكريا ١١: ٣) لم تكن «كبرياء الأردن» (أو «أدغال الأردن»، كما في معظم الترجمات الأوروبية). وكلمة **جءون** العبرية مثبتة بمعنى «مرتفع»، وما من سبب غير جموح الخيال يمكن أن يجعلها تعني «كبرياء»، أو «أدغال» بمعنى «الشجر الشامخ المرتفع». وعبارة **جءون هـ ـ يردن** يمكنها أن تشير إلى «مرتفع ريدان» (أي مرتفع جبل هروب). لكن الواقع هو غير ذلك. فهناك واديان في منطقة جيزان يسمّى كل منهما اليوم وادي غوّان (**غوء ن**). الأول منهما واد ساحلي يصب في البحر عند بلدة الشُقَيق، والثاني أبعد جنوباً، وهو من روافد وادي بيش، وينبع من النهاية الشمالية لقمة جبل هروب (**يردن** أو ريدان لوط) ويتصل بجداول مياه أخرى هناك. وللتفريق بين وادي «غوان الجرف» أو «غوان ريدان» هذا، ووادي غوان الساحلي إلى شماله، يسميه النص التوراتي المشار اليه **ج ء ون هـ ـ يردن**. وهذا هو الأمر،

---

(١٤) فؤاد حمزة، الذي زار عسير سنة ١٩٣٤، أحصى ٢٤ من أمثال هذه الشعاب التي تعبر الجرف من النماص جنوباً، بغض النظر عن تلك التي بين النماص والطائف. انظر كتابه في **بلاد عسير** (الرياض، ١٩٦٨)، ص ٩١ ـ ٩٣.

بكل بساطة، بشأن هذه العبارة التوراتية التي حيّرت حتى اليوم عقول المفسّرين.

إن إعادة النظر بنص واحد يتحدّث عن **جءون هـ - يردن** هذا سيكون كافياً هنا. وفي الترجمة العربية المعتمدة لهذا النص، وهو وارد في سفر النبي زكريا ١١ : ١ - ٣، يقرأ محتواه كما يلي:

«افتح ابوابك يا لبنان (**لبنون**) فتأكل الأرض أرزك(**ء رز**).
وَلْوِل يا سرو لأن (**كي**) الأرز سقط، لأن (**ء شر**) الأعزّاء (**ء دريم**) قد خربوا. وَلْوِل يا بلوط (**ء لون**) باشان (**بشن**) لأن الوعر المنيع (**يعر هـ - بصور**) قد هبط. صوت (**قول**) ولولة الرعاة (**ءللت هـ - رعيم**) لأن فخرهم (**ءدرتم**) خرب. صوت (**قول**) زمجرة الأشبال (**شرء جت كفيريم**) لأن كبرياء الأردن (**ج ء ون هـ - يردن**) خربت».

وهناك غموض في هذه الترجمة. فمن هم «الأعزّاء» الذين خربوا؟ وما هو «الوعر المنيع»، ناهيك عن «كبرياء الأردن»؟ وما هو الفعل أو الخبر المحذوف المتعلّق بـ « صوت وَلْوَلَة الرعاة» و«صوت زمجرة الأشبال» في الجملتين الأخيرتين الناقصتين في حلتهما العربية على الأقل؟ وما على الباحث إلاّ أن يقابل هذا النصّ بالأصل العبري حتى تتضح الأخطاء اللغوية التالية فيه:

أولاً، إن **ءشر** في العبرية تختلف عن **كي** التي تعني «لأن»، وهي اسم موصول تقابله بالعربية عبارة «الذي». ولذلك فالجملة العبرية في الأصل، **هلل بروش كي نفل ءرز ءشر ءدريم شددو**، هي جملة واحدة وليست جملتين كما في الترجمة. وهي تعني حرفياً: «وَلْوِل يا سرو لأن (**كي**) الأرز الذي (**ءشر**) أخربته **ءدريم** قد سقط (**نفل**)».

ثانياً، **ءدريم** بالعبرية هي جمع مذكّر للفظة **ءدر**، والجذر منها يقابله في العربية **ذرو** ويفيد معنى الشموخ والارتفاع. ويقابل لفظة **ءدر**

بالعربية «الذروة»، أي «القمة». ولذلك فكلمة **ءدريم** بالعربية تفيد معنى «الذُرى» أي «القمم» قبل أن تفيد معنى «الاعزّاء». والقمم التي تسبب خراب الاشجار بالنار (كما هو واضح من النص) هي الذُرى البركانية، لا غيرها (انظر الملاحظات الجغرافية لاحقاً).

ثالثاً، **يعر هـ - بصور** هي في العبرية نكرة مضافة إلى معرفة، وليست نكرة موصوفة بنكرة، أو معرفة موصوفة بمعرفة، لكي تعتبر نعتاً ومنعوتاً. ولذلك فالعبارة لا يمكن أن تعني «الوعر المنيع»، حتى لو سلمنا بأن **هـ - بصور** تعني المنيع، وهي بالأكيد لا تعني ذلك.

رابعاً، إن لفظة **قول** بالعبرية تعني «صوت» أو «صراخ»، لكنها أيضاً فعل أمر بمعنى «اسْمَعْ». وبترجمة **قول** كفعل أمر يستقيم التركيب النحوي في الجملتين الأخيرتين الغامضتين من النص.

خامساً، بناء على أن **ءدر** تعني «الذروة»، فلفظة **ءدرتم** معناها «ذروتهم» أو «قمتهم» أو «جبلهم» وليس «فخرهم»، والضمير هنا يرجع إلى **رعيم**، وفي الترجمة «الرعاة».

سادساً، إذا كانت **كفيريم** (جمع كفير) تعني «الشبل»، فالترجمة الصحيحة لعبارة **شءجت كفيريم** هي «زمجرة أشبال» وليس «زمجرة الاشبال»، لأن **كفيريم** لا تحمل أداة التعريف في العبرية. ولعلّ المعني بلفظة **كفيريم** شيء آخر تماماً.

وبالاضافة إلى هذه الملاحظات اللغوية، هناك ملاحظات جغرافية تتعلق بالنص تلخّص بما يلي:

١ - هناك جبل لبنان المعروف بالشام، والشجر فيه هو الارز. وهناك أيضاً لُبنان بالحجاز، وقد ذكر الجغرافيون العرب (ومنهم ياقوت الحموي) انه «جبلان قرب مكة يقال لهما لُبْن الأسفل ولُبْن الأعلى». وإضافة إلى ذلك هناك لبينان في شمال اليمن، في جوار منطقة

نجـران، وهو من «أسـرار» (أي أراضي أو وديان) منـطقة هَمْـدان اليمنية. وللبينان هـذا ذكر في «صفـة جزيـرة العرب» للهمـداني. والمرجح أن لبينان (وليس لبنان الشام أو لبنان الحجـاز) هو **لبنـون** الذي يشير إليه سفر زكـريا. والأرز لا وجـود له في تلك المنـطقة، والشجر الذي يكثر في جوارها هو العرعر. والقواميس العربية تفيد بأن الأرز قد يكون العرعر. وليس هناك ما يمنع كـون **ءرز لبنـون** التوراتي «عرعر لبينان»، لا «أرز لبنان».

٢ ـ في جوار لبينان بشمال اليمن مجموعة من القمم البركانية تسمّى جبل حطاب. وقد وصفها فان بادانغ (ص ١٤ ـ ١٦) بأنها تقع على ارتفاع حوالي ٢٩٠٠ متر عن سطح البحر، وأنها تتألف من حـوالي ٦٠ مخروطاً بركانياً، معظمها من عصور جيولوجية حديثـة. وذلك يعني أن هذه البراكين كانت ناشطة في العصور التاريخية. وفوهـات هـذه البراكـين وحقول حممهـا تنتشر حـول جبـل حـطّاب في كـل الاتجاهات. وعند الحدّ الجنوبي لجبل حطّاب توجد حتى اليوم قرية اسمها ضِـروان. والرأي السائـد بين مفسّـري القرآن الكـريم بأن ضِروان هذه كانت الجنة المذكورة في سورة القلم. ويقول الطبري في تفسيره: «ذكر أن اصحاب الجنة كانوا أهل كتاب». ويقول الفخر الرازي في تفسيره، «قيل كانوا من بني اسرائيل». وفي هذا ما يشجع على الاعتقاد بأن براكين جبل حطاب المجاورة ربمـا كانت معـروفة لدى زكريا وغيره من انبياء بني اسرائيـل. وربما كـانت الـ **ءدريم**، أي «الذُرى» التي احرقت **ءرز لبنون**، أي «عرعر لبينان»، هي ذاتها الذرى البركانية الكثيرة المجتمعة في جبل حطّاب.

٣ ـ إذا اعتبـرنا أن **لبنـون** سفر زكريـا هو لبينـان اليمن، وليس لبنان الشـام، لا تعود هنـاك أيّة مشكلة بـالنسبة الى مـوقـع **بشن** (وهي «باشان» في الترجمة العربية، وقد ساد الاعتقاد حتى الآن بأنها تشير

إلى مـرتفعات «البثنيـة» بين حـوران والبلقاء، في جنـوب الشام).
وبشن هذه لا بد أنها اليوم «البثنة» في جبـل فيفا، بـداخل منـطقة جيزان. وشجر (ءلون) ذلك الجوار ليس البلوط بل لعلّه البطم.

٤ ـ إذا كان ءرز لبنون في النص يشير إلى «عرعر لبينان»، وءلون بشن إلى «بطم البثنة»، فلعل الترجمة الصحيحـة للعبارة الغـامضة يعـر هـ ـ بصور هي «وعر الصابر» أو «غابة الصـابر»، اعتبـاراً أن هـ ـ بصـور (مع أداة التعريـف العبريـة) هي قريـة «الصابـر» (مع أداة التعريف العربية) في مرتفعات بني الغازي من منطقة جيزان (قابل صابر، مع بصور).

٥ ـ إذا قرئت لفظة رعيم في عبارة ءللت هـ ـ رعيم على أنها جمع رعي، بمعنى «راعي»، وجب ترجمة العبارة «ولولـة الرعـاة». لكن رعيم قد تكـون جمع رعي كنسبـة إلى مكان اسمـه رع، فتعني «أهل رع» أو «سكان رع». وهناك في نـاحية بني الغـازي من منطقـة جيزان وادٍ صغير اسمه ريع (رع) ينزل من أحد جوانب جبل يسمّى مَصِيْدَة. وفي ذلك ما يفسّر ءدرتم (أي «ذروة» أهل وادي ريع) بأنها جبل مصيدة هذا بالذات.

٦ ـ لعل كفيريم (وهي جمـع مذكّـر كفير) هي أيضـاً اسم مكان وليس كلمة عادية تعني «أشبال». وقد سبق أن جءون هـ ـ يردن هو وادي غوّان في جبل هروب المسمى قديماً ريدان (يردن). وفي جبل هروب قرية تسمى «الرفقات» (جمع لصيغة المؤنث من رفق، قابل مع كفير) قد تكون هي كفيريم سفر زكريا.

ويستخلص من جميع هذه الملاحظات اللغـوية والجغـرافية وجـوب إعادة النظر في ترجمة النص العبري لكامل هذا المقطع من سفر زكريا. وربما كان المقصود به هو الآتي:

«افتح ابوابك يا لبينان فتأكل النار عرعرك. وَلْـوِل يا سـرو لأن العرعر الذي أخربته الذُرى قد سقط. وَلْوِل يا بطم البثنة لأن غابة الصابر قد سقطت. اسمع ولولة أهل ريع لأن ذروتهم خربت. اسمع زمجرة الرفقات لأن غوّان ريدان قد خرب».

ومهما كانت الحقيقة في النهاية، فهناك شيء واحـد أكيد بشـأن هذا المقطع من التوراة، وهو انه لا يتحدّث إطلاقاً عن «كبرياء الأردن».

٨ - أرض يهوذا

كانت أرض «يهوذا» في الأزمنة التوراتية تشمل الجانب البحري من عسير الجغرافية، من الشق المائي لامتداد السراة (هـ - يردن الرئيسية للتوراة العبرية، انظر الفصل ٧) وحتى صحراء تهامة الساحلية (تهوم التوراتية، انظر الفصل ٦). وقد جرى التلميح إلى هذا كله قبلاً، ولكن ما هو البرهان؟

«يهوذا» في التوراة هو سبط من «أسباط اسرائيل»، أي قبائل بني اسرائيل، وقد أخذ هذا السبط اسمه من جدّه الأعلى يهوذا، بن يعقوب المدعو ايضاً اسرائيل. و«يهوذا» أيضاً اسم المملكة التي استمرت تحت حكم بيت داود بعد وفاة سليمان. ومن اسم هذه المملكة جاء اسم «اليهودية» كدين، لأن عبادة يهوه البدائية تحوّلت الى دين خلقي مصقول على ايدي «الأنبياء» الذين رعاهم ملوك «يهوذا».

والواضح أن «يهوذا» كان اسماً جغرافياً قبل أن يصبح اسماً لقبيلة من بني اسرائيل (حول القبيلة وموطنها، انظر الملحق)، وصيغته العبرية يهوده هي اشتقاق من يهد، المماثلة للعربية وهد، وهو جذرٌ يفيد معنى «الانخفاض». ومن الجذر وهد بالعربية الوَهْد والوَهْدَة، بمعنى «المنخفض» أو «الهوّة» في الأرض. ويهود[1] ويهوده التوراتيتان تأتيان من

---

(١) يهود كانت الاسم التوراتي لمقاطعة «يهوذا» في أيام الأخمينيين.

العبرية يهد، ولا بد أنهما كانتا تعبيرين طوبوغرافيين سامِيَّين قديمين يحملان المعنى نفسه.

والـواقع ان الأرض الهضبية الممتدة على الجانب البحري من عسير الجغرافية ليست مجرد أرض تحتوي على قمم وسلاسل متضافرة فيما بينها، بعضهـا يبرز من الامتـداد الرئيسي للسـراة، وأخرى تقف معـزولة هنـا وهناك، بل هي تحتوي أيضاً على «وهاد» منخفضة تتعرج بين هذه القمم والسلاسل (انظر الفصل ٣). ولا شـك أن هذا هـو ما أعـطى «يهوذا» القديمة اسمها[٢].

ويمكن للباحث أن يدرس أمثلة كثيرة من النص التوراتي لكي يبرهن أن أرض «يهوذا» التوراتية، كموطن لبني اسرائيل على وجه العموم وليس لقبيلة «يهوذا» وحدها (انظر الملحق)، كـانت تضم المنحدرات البحـرية لعسير وجنوب الحجـاز حتى مرتفعات الطائف. وأحد الأمثلة الواضحة يأتي من روايتين في سفر عزرا ٢ : ٣ ـ ٦٣ وسفر نحميا ٧ : ٨ ـ ٦٥ عـن عودة بني اسرائيل في أيام الأخمينيين من الأسر في بابل إلى أرض «يهوذا». وهذان النصان، وباختلافات ضئيلة، يدرجان اسماء المجموعات العائدة من بني اسرائيل استناداً إلى البلدان والقرى الأصلية لها، وليس استناداً الى القبيلة أو الأسرة في أية حال، كما اعتقد حتى الآن[٣]. وباستعراض

---

(٢) استنادا الى سفر التكوين ٢٩ : ٣٥ و٤٩ : ٨، فإن الاسم يهوده يعني «ليمجّد يهوه» (نحت من يهوه يده). وهذا التفسير الميثولوجي للاسم هو من نسج الخيال، ولا يقرّه علم اللغة. وحتى الآن لم يجد العلماء لهذا الاسم تفسيراً ناجحاً، وقد افترض عموماً أنه كان في الأصل اسم قبيلة وليس اسم موطن. وفي العادة تسمى القبائل بأسماء مواطنها، مع أن هنالك حالات تحمل فيها المواطن أسماء القبائل التي تسكنها. ولعلّ قبيلة «يهوذا» الاسرائيلية كانت تحمل في زمانها اسم أرض «الوهد» من تهامة جنوب الحجاز وعسير، من وادي أضم شمالاً حتى مشارف منطقة جيزان جنوباً، فتسمّت على اسم الأرض، ولم تتسمَّ الأرض باسمها.

(٣) حتى الآن، اتجـه الباحثـون التوراتيـون الى الاعتقاد بـأن الأسماء الـواردة في الـلائحتـين والمسبوقة بكلمة بني، أي «أبناء»، كانت عموماً أسماء قبائل أو أسر، وأن تلك المسبوقة =

النصين، يمكن للباحث المزود بخريطة مفصّلة لشبه الجزيرة العربية، وبالمعاجم المتوفرة عن أسماء الأماكن بالعربية كموجّه مضاف، أن يعثر بسهولة على الأكثرية العظمى من البلدان والقرى التي أورد ذكرها سفرا عزرا ونحميا، كمواقع ما زالت موجودة وتحمل الأسماء نفسها، أو بصيغ من هذه الأسماء يسهل التعرف اليها بشكل آني ومباشر، وذلك في أجزاء من غرب شبه الجزيرة العربية تمتد، بشكل تقريبي، من جوار الطائف والليث شمالاً وحتى منطقة جيزان في الجنوب. وحتى تلك الأسماء التي افترض أنها أسماء لـ «كهنة» أو «لاويين» أو «مغنين» أو «بوّابين» أو «خدم المعبد» أو «عبيد سليمان»، هي اسماء تشير في الواقع إلى جماعات آتية من مناطق معينة في الاقليم العام نفسه ومن مناطق مجاورة في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً من منطقة نجران وجوارها. وهذا هو التعريف الجغرافي بهذه الفئات الستّ الأخيرة من الأسرى العائدين، التي لم تكن على الاطلاق مجموعات من «الكهنة» أو «اللاويّين» أو «المغنّين» أو «البوّابين» أو «خدم المعبد» أو «عبيد سليمان» كما درج اعتبارها حتى الآن:

آ - «الكهنة» (**هـ - كهنيم**)، الفئة التي يقال أنها تعد اجمالياً ٤٢٨٩ (حوالي عشر عدد الاسرائيليين العائدين، والذي كان حوالي أربعين ألفاً)، وتقسم كما يلي (عزرا ٢ : ٣٦ - ٣٩ ، نحميا ٧: ٣٩ - ٤٢):

١ - «بنو» **يَدْعِيا (يدعيه)**.
٢ - «بنو» **إمِّير (ءمر)**.

= **بـ ءنوشي**، أي «شعب»، كانت بشكل رئيسي أسماء أماكن. وفي المصطلح العبري القديم، كما في العربية الحديثة، ينسب الناس الى مكان تواجدهم كـ «أبناء» هذا مكان، أو كـ «شعب» (أو «أناس») المكان. واستخدام التعبيرين الاثنين في النص العبري نفسه كان - بلا شك - تبادلاً يهدف الى أناقة النص، وليس الى التفريق النوعي بين «الأبناء» و«الأناس».

٣ ـ «بنو» فشحور (**فشحور**).
٤ـ «بنو» حاريم (**حرم**).

وكلمة **كهنيم** التوراتيـة هنا يجب ألا تؤخـذ على أنها صيغـة الجمع لكلمة **كهن**، أو «كاهن»، بالعبرية. ومن الصعب تصور أن واحداً من كل عشرة رجال من الاسرائيليين العائدين كان كاهناً. وبدلاً من ذلك، فان **كهنيم** هنا يجب أن ينظر اليها على أنها جمـع لـ **كهني**، منسوبـة إلى كهن كـاسم مكـان، لتعني «**شعب كهن**». ويبـدو أن المـوطن الأصـلي للـ **كهنيم** هو اليوم قهوان (**قهن** بلا تصويت، تعريباً لـ **كهن** التوراتية)، من قـرى وطن سَلْوا بمنطقـة نجران. وقـد أدرج عـزرا ونحميـا أسماء الـ **كهنيم** (أي شعب قهوان) العائدين حسب اسماء بلداتهم الأصلية أو مناطقهم الأصلية (وليس أسماء أسرهم) كما يلي:

١ ـ يَدْعِيا (**يدعيه**)، التي هي اليوم، بوضـوح، الموطن القبـلي «وادِعة» (**ودع** بلا تصويت)، في وادي نجران. ويتحدث عـزرا (٢: ٣٦) ونحميـا (٧: ٣٩)، كـلاهمـا، عن **بني يدعيه لـ ـ بيت يشوع**، المترجمة عادة «بنو يدعيـا من بيت يشوع» ولكنها تعني فعلاً «**شعب وادعة إلى بيت يشـوع** (اسم مكان)»، نظراً لأن اللام كحرف جرّ في العبرية تعني «إلى» وليس «من». والمجتمـع المشار اليـه كان بـلا شـك سكان منطقة تمتد من مـوطن الوادعـة الأساسي، في قلب وادي نجران، الى واحة «وسيع» (قارن بالعبرية **يشوع**)، عند النهاية الشرقية لمنطقـة اليمامـة في وسط شبه الجـزيرة العربية.

٢ ـ إمِّير (**ءمر**)، التي هي اليوم في الظاهر واحة «الأمار» (**ءمر** بلا تصويت)، في منـطقة اليمـامة في وسط شبـه الجزيـرة العربية، شمال شرق منطقة نجران.

٣ ـ فشحور (**فشحور**)، التي هي اليوم، بوضوح، وطن الحرشف (بقلب الأحرف) من قرى يام نجران، أو الحرشف من قرى وادي حبونا، شمال وادي نجران.

٤ ـ حاريم(حرم)، التي هي اليوم وادي حَرِم، عند الحدّ الغربي لمنطقة اليمامة.

من هذا، يتضح ان **كهنيم** كان اسماً أطلق في زمن التوراة على مجتمع امتد موطنه من وادي نجران باتجاه الشمال حتى وادي حبونا، وباتجاه الشمال الشرقي الى منطقة اليمامة في وسط شبه الجزيرة العربية. والامتداد الواسع لهذه الأراضي قد يفسر لماذا كان الـ **كهنيم** العائدون، استناداً الى كل من عزرا ونحميا، بهذه الكثرة في العدد. ونظراً لوجود أرض الـ **كهنيم** في منطقة داخلية ، فقد كانت، ولا شك، منطقة ملحقة بأرض «يهوذا» أكثر مما كانت جزءاً منها.

ب ـ «اللاويون» (هـ ـ **لويم**)، يقسمون كما يلي (عزرا ٢ : ٤٠ ونحميا ٧ : ٤٣) :

١ ـ «بنو» يشوع(**يشوع**).

٢ ـ «بنو» قدميئيل (**قدميءل**، أو **قدمي ءل**).

٣ ـ «بنو» هودويا (**هودويه** في عزرا، و**هودوه** في نحميا).

والـ **لويم** (جمع **لوي**، النسبة إلى **لو** أو **لوه**)، لم يكونوا «لاويين» كهنوتياً، بل كانوا مجتمعاً يعود في أصوله الى ما هو اليوم قرية لاوة (**لوه** بلا تصويت) في وادي أضم. وفي وادي أضم نفسه ما زالت هناك اليوم قرية تسمى هُدَيَّة، وهي ليست إلا «هودويا» المذكورة في كل من عزرا ونحميا. وفي نصي عزرا ونحميا، يميز شعب هودويا، في وادي أضم، عن مجموعتين أخريين من الـ **لويم**، يأتي الكلام عنهما معاً على أساس

أنهما «بنو يشوع وقدميئيل». وهذا لأن «يشوع» و«قدميئيل» كانا مكانين متجاورين قرب بلدة غُمَيْقة الحالية في منطقة الليث، على مسافة ما الى الأسفل من وادي أضم. وفي هذا الجوار تتمثل «يشوع» اليوم بقرية شَعْيَة (قارن مع **يشوع** التوراتية)، بينما تتمثل «قدميئيل» بقرية القَدَمَة (**ءل ـ قدم**، قارن مع **قدميءل** التوراتية).

ج ـ «المغنّون» (**هـ ـ مشرريم**)، بمن فيهم «بنو آساف» (**ءسف**) (عزرا ٢ : ٤١، نحميا ٧ : ٤٤).

ولا شك أن هؤلاء كانوا مجتمعاً ينتسب الى قرية مَسَرَّة (**مسر**)، في منطقة بارق غرب منطقة المجاردة من عسير. والى الشرق من مَسَرَّة، في منطقة بلَّسمر، توجد قرية آل يوسف (**يسف** بلا تصويت)، وهي ولا شك «آساف» (أو **ءسف**) التوراتية.

د ـ «البوّابون» (**هـ ـ شعريم**)، ويقسمون كما يلي (عزرا ٢ : ٤٢، نحميا ٧ : ٤٥):

١ ـ «بنو» شَلُّوم (**شلوم**).
٢ ـ «بنو» آطير (**ءطر**).
٣ ـ «بنو» طلمون (**طلمن**).
٤ ـ «بنو» عَقُّوب (**عقوب**).
٥ ـ «بنو» حَطيطا (**حطيطء**).
٦ ـ «بنو» شوباي (**شبي**).

وهؤلاء الـ **شعريم** لم يكونوا «بوّابين»، بل كانوا في الأصل من أهل المكان المسمى حالياً «الشعارية» (**شعري** بلا تصويت) في منطقة الطائف. وكل القرى المواطن للـ **شعريم**، كما أدرجت لدى عزرا ونحميا، يمكن العثور عليها في الجوار العام نفسه من هذه المنطقة. وهي: الشُمول (**شلوم** التوراتية)، و«وترة» (**ءطر** التوراتية)، والمَنَطَلَة

(**طلمن** التوراتية)، وعَقيب أو عقوب (**عقوب** التوراتية)، والحُوَيِّط (ويبدو أنها صيغة معربة من **حطيطء** التوراتية)، والثوابية (**شبي** التوراتية).

هـ ـ «خدم المعبد» (الترجمة المعتمدة باللغات الأوروبية للفظة العبرية **نتينيم**، والتوراة العربية لم تترجمها فأبقتها «النَّتينيم»)، وقد أدرجوا على أنهم «بنو» أي أهالي ٣٥ مكاناً مختلفاً (عزرا ٢ : ٤٣ ـ ٥٤، نحميا ٧ : ٤٦ ـ ٥٦).

ومن الأكيد أن هؤلاء الـ **نتينيم**، لم يكونوا «خدم معبد»، بل كانوا قبيلة منتشرة في مواقع مختلفة من مناطق جيزان، ورجال ألمع، وقنا والبحر. والمناطق الثلاث هذه متاخمة لبعضها البعض في جنوب عسير. وربما كان موطن القبيلة الأصلي احدى قريتين تسميان اليومَ طناطن (طنطن، قارن مع العبرية نتين) في منطقة جيزان. وفي ما يلي القرى الـ ٣٥ التي جاؤوا منها:

١ ـ صِيحا (**صيحء** في عزرا، **وصحء** في نحميا): إما الصخية أو الصخيّ في رجال ألمع.

٢ ـ حَسوفا (**حسوفء**): الحُشَيْفَة، في منطقة جيزان.

٣ ـ طَباعوت (**طبعوت**): ربّما كانت ثَعابَة في رجال ألمع، أو عَثَبَة في منطقة جيزان، والاسم الأقرب (بصيغة جمع المؤنّث، كما بالعبرية) هو اسم قرية العثابيات، في منطقة القنفذة.

٤ ـ قيروس (**قرس**): كِرس، أيّ من تسع قرى تحمل الاسم نفسه في منطقة جيزان، إلا إذا كانت كُروس (**كروس**) في المنطقة نفسها.

٥ ـ سيعَهَا (في عزرا)، سيعا (في نحميا)، (**سيعء** في عزرا،

وسيعء في نحميا، وفي الحالتين مع أداة التعريف الآرامية اللاحقة، تاركة الاسم **سيعه** أو **سيع**): السعي (**سعي**، مع أداة التعريف العربية السابقة) في منطقة جيزان.

٦ ـ فادون (**فدون**): الفَدْنَة. في منطقة جيزان.

٧ ـ لَبانَة (**لبنه**): اللُّبانة (**لبنه** بلا تصويت) في منطقة جيزان.

٨ ـ حجابة (**حجبه**): الحُقْبَة في منطقة جيزان، والحُقْبة في رجال ألمع.

٩ ـ عقّوب (**عقوب**): العقيبة في منطقة جيزان (تفريقاً عن **عقوب** منطقة الطائف التي هي اليوم عَقيب أو عقوب، انظر أعلاه).

١٠ ـ حاجاب (**حجب**): الحجاب في قنا والبحر، او الحجاب (الحجاب المسيل) في رجال ألمع.

١١ ـ شَمُلاي (**شملي**): الشَمُلاء (**شملء**)، احدى قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقة جيزان.

١٢ ـ حانان (**حنن**): حنينة (**حنن** بلا تصويت)، أو ربّما الحنيني (**حنن** بلا تصويت) في منطقة جيزان.

١٣ ـ جَديل (**جدل**): الجدل في قنا والبحر.

١٤ ـ جَحَر (**جحر**): جُحْر، أو ربما الجُحْرَة في منطقة جيزان.

١٥ ـ رآيا (**رءيه**): راية في منطقة جيزان.

١٦ ـ رَصِين (**رصين**): بين امكانات عديدة، الاحتمال الأكبر هو رضوان (**رضون** بلا تصويت) في منطقة جيزان، إلا إذا كانت الرازِنة (**رزن** بلا تصويت) في رجال ألمع.

١٧ ـ نقودا (**نقودء** أو **نقـود** إذا أهملت أداة التعريف الآرامية اللاحقة): ناجد (**نجد** بلا تصويت) في منطقة جيزان.

١٨ ـ جَـزَّام (**جزم**): الجـزايم (**جزم** بـلا تصويت) في منـطقة جيزان، إلا إذا كان هذا اسم جيزان (**جزن** بلا تصويت) نفسها.

١٩ ـ عُزًّا (**عزء**): الغَزَوَة (**غزو**) في منطقة جيزان.

٢٠ ـ فاسيح (**فسح**): الصافح (**صفح** بلا تصويت)، واحـدة من قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقة جيزان.

٢١ ـ بيساي (**بسي**): بَصوة في منطقة جيزان.

٢٢ ـ أَسْنَة (**ءسنه**): الوَسَنْ (**وسن**) في قنا والبحر.

٢٣ ـ مَعونيم (**معونيم**، جمع **معون** أو **معوني**): المعاني (بصيغة الجمع العربية)، قريتان بالاسم نفسه في رجال ألمـع، إلا إذا كـانت الاشارة هنـا الى وادي المعـاين (الجمع العـربي لـ «مَعْينَ») في منطقة جيزان.

٢٤ ـ نفوسيم (**نفيسيم**، مثنى أو جمع **نفيس**): نَصيفـان (مثنّى **نصيف**) في وادي أضم. ولا بد أن الاسرائيليين من أهالي هذه القرية القدماء كانوا قد وصلوها في الأصل قادمين من مكان يحمل الاسم نفسه في منطقة جيزان لم يعد موجوداً.

٢٥ ـ بقبوق (**بقبوق**): جُبْجُب في منطقة جيزان.

٢٦ ـ حَقوفا (**حقوفء**، مع أداة التعريف الآرامية الـلاحقة): الحجفـة (مع أداة التعـريف العربيـة السابقـة) في منطقـة جيزان.

٢٧ ـ حَرْحور (**حرحور**): لا يمكن العثـور عليها كـاسم لمكان

واحد، ولكنها ربما كانت الخَرْ (خر)، المعرَّفة توراتياً بالعلاقة مع الخيرة (خيره) المجاورة في رجال ألمع (أي «خرّ الخيرة») لتفريقها عن مكان آخر اسمه «حر» في منطقة جيزان.

٢٨ ـ بصلوت (بصلوت): : يحتمل انه اسم قبيلة في صيغة جمع المؤنث الكثيرة الشيوع في العربية، مأخوذ عن اسم المكان **بصل**، قارن مع البلاص (**بلص** بلا تصويت) في رجال ألمع. وترجيحي أنه الاسم القديم لقبيلة بني صلب الحالية في رجال ألمع. وإلا فهو صُلْبِيَة (صلبي أو صلبيت) في منطقة جيزان.

٢٩ ـ مَحيدا (محيدء): ربّما هي حميدة، في منطقة جيزان. لكن المرجّح أنها الحميداء (حميدء، مع الاحتفاظ بلاحقة التعريف الآرامية الواردة في الاسم التوراتي)، في منطقة البرك المحاذية لساحل جيزان.

٣٠ ـ حرشا (حرشء مع لاحقة التعريف الآرامية): الخُرش (مع أداة التعريف العربية السابقة) في منطقة جيزان.

٣١ ـ بَرقوس (برقوس): إما الكِرباس أو الكَربوس في منطقة جيزان. وهناك اليوم أيضاً قبيلة بالرقوش (بـ ـ رقوش) في سراة زهران، والاسم يطابق الاسم التوراتي تماماً.

٣٢ ـ سيسَرا (سيسرء): لعلّها وادي شرس (بقلب الأحرف من سسر) في شمال اليمن. وهناك قرية اسمها شرسى (شرسء) في منطقة الطائف.

٣٣ ـ تامَح (تمح): الطمحة في منطقة جيزان.

٣٤ ـ نَصيح (نصيح): نضوح في رجال ألمع.

٣٥ ـ حطيفا (**حطيفء**): خطفا (**خطفء**، محافظة على لاحقة التعريف الآرامية دون أداة التعريف العربية) في منطقة جيزان.

من هذه التحديدات للقرى مواطن الـ نتينيم، المتمركزة في جوار واحد من جنوب عسير، ومعظمها في منطقة جيزان، يبدو في غاية الوضوح أن هؤلاء لم يكونوا «خدم معبد»، بل قبيلة تسمّت باسم مكان هناك (انظر أعلاه). والأمر نفسه ينطبق على الفئة التالية:

و ـ «عبيد سليمان» (**عبدي شلمه**)، الاسم الذي أدرج كـ «بني»، أي شعب أو قوم، من عشرة أمكنة (لا أسر) مختلفة.

وبدلاً من أن يكون هؤلاء «عبيد سليمان»، كان الـ **بني عبدي شلمه**، أي **بنو عبدي(م) شلمه**، قبيلة تعود في أصولها إلى ما هو اليوم قرية آل عبدان (**عبدن**) في ناحية فيفا من منطقة جيزان، والقرية هذه مُعَرَّفَة توراتياً بالنسبة الى قرية في الناحية ذاتها اسمها آل سلمان يحيى، واسم سلمان (أو سليمان) تعريب للاسم التوراتي **شلمه**. وقد عُرّفت آل عبدان هذه بأنها «عبدان سلمان» لتمييزها عن موقع في ناحية بني الغازي من منطقة جيزان اسمه ايضاً عبدان. وهذه كانت مواطن هذه القبيلة في مختلف المناطق:

١ ـ سوطاي (**سطي**): ربّما هي آل صُوت (صت)، في منطقة جيزان، لكن الأرجح أنها الطويسة (بقلب الأحرف) من قرى يام نجران.

٢ ـ هَسُّوفَرَت (**هـ ـ سفرت**): رَصَفَة في منطقة جيزان، وتبدو مختلطة نصاً مع آل سَفَرَة في منطقة بلّسمر.

٣ ـ فَرُودا (**فروده** مع لاحقة التعريف الآرامية): ربما كانت

الفـردة (مـع أداة التعـريف العـربيـة)، في رجـال ألمـع، والأرجح هو انها الرفـداء (رفدء)، في بلّسمـر، لأن اسم هذه القرية يحتفظ بلاحقة التعريف الآرامية.

٤ ـ يَعْلَة (يعله): ربما كانت عـالية (**عليـه**، بقلب الأحرف)، احدى قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقة جيزان، لكن الأرجح انها الوَعْلَة، في منطقة القنفذة.

٥ ـ دَرْقـون (درقون): ربمـا كانت الـدَرق في منطقـة جيزان، مختلطة نصـاً مـع قَـرْدان (قـردن) في منـطقـة الـطائف. والأرجح أنها الجرذان (**جرذن**، بقلب الأحرف)، من قرى منطقة بلّسمر.

٦ ـ جَـدّيل (جـدل): الجَدَلْ، في منـطقة قنـا والبحـر (انـظر أعلاه).

٧ ـ شَفَطْيا (شفطية): الشُطَيْفِيَّة، أيّ من ثلاث قـرى متجاورة تحمل الاسم نفسه في منطقة جيزان.

٨ ـ حَـطِّيل (حـطيل): تبـدو أنها ساحـل الحُلُوطي (**حلطي**، بقلب الأحرف)، وتدعى أيضاً ساحل أبي عَلُّوط (بالعـين بدلاً من الحاء)، في منطقة جيزان.

٩ ـ فُـوخَرَة الـظِّباء (فكـرت هـ ـ صبيم، باعتبـار كون صبيم تصـوت عـادة عـلى أنها مثنى صبي، أي «غـزال»، انـظر الفصل ٤): الفَقَرَة، من قـرى صبيا في منـطقة جيـزان، وهي معـرّفة تـوراتياً بـالنسبة إلى البلدتـين التوأمـين صبيا والظبية. وهذان الاسمان هما الاسم ذاته، الأوّل بالصيغة الآرامية، والثاني بالصيغة العربية.

١٠ ـ آمي أو آمـون (عمي في عزرا، وعمون في نحميـا):

الاختلاط هنا هو بين اليامية (يمي بلا تصويت) ويماني المروى (يمن بلا تصويت)، والاثنتان في منطقة جيزان.

إن تحديد مواطن من افترض حتى الآن انهم ابناء «الكهنة» و«اللاويين» و«المغنين» و«البوابين» و«خدم المعبد» و«عبيد سليمان» العائدون من الأسر البابلي الى أرض «يهوذا»، والذين كانوا في الحقيقة ست مجموعات قبلية عرفت بأسماء أماكنها الأصلية، يكفي بحد ذاته إلى الاشارة الى المكان الذي كان في الواقع أرض «يهوذا» التوراتية، قبل الأسر البابلي وبعده. ولا ضرر من تحديد الأماكن المتبقية، من تلك الواردة في عزرا ٢ ونحميا ٧ كمواطن أصلية للاسرائيليين العائدين من بابل، وكلها في غرب شبه الجزيرة العربية. وتسهيلاً، سيجري تحديد هذه الأماكن حسب المناطق، انطلاقاً من الجنوب إلى الشمال:

آ ـ منطقة جيزان:

١ ـ آرَح (ءرح): رَحْ، إلا إذا كانت الرّحا او الوَرْخَة في أقليم الطائف.

٢ ـ زَتُّو (زتو، مع أداة التعريف الآرامية اللاحقة): ربما كانت الزاوية (بلا تصويت **زويت** مع أداة التعريف العربية السابقة)، والمسألة فيها نظر.

٣ ـ آطير (ءطر، في عزرا فقط): وَتَرْ، إلا إذا كانت الوَتْرَة أو الوتيرة (وتر بلا تصويت) في منطقة الطائف.

٤ ـ بيصاي (بصي): بَصْوَة (بصو) أو البُزَة، إلا إذا كانت بَضَا (بضء) في منطقة الطائف.

٥ ـ حاريم (حرم): خُرْم، إلا إذا كانت عَرَبات حارِم («غدير» حرم بلا تصويت) في منطقة محايل.

٦ ـ تل حَرْشا (**تل حرشه**، أي «هضبة» **حرشـه**) وتل ملح (**تـل ملح**): جبل الحشر (بقلب الأحرف من **حـرش**) وحميل (**حمل**، بقلب الأحـرف من **ملح**). والأخيرة في مرتفعات الحُرَّث.

٧ ـ أدَّان (في عزرا) أو أدُّون (في نحميـــا) (**ءدن و ءدون**): الاختـلاط فـي الظاهـر هو بـين قـريتـين في منـطقتـين متجاورتين، احداهما هي حالياً الأذن (**ءذن**) والأخرى هي الوَدَانَة (**ودن**).

٨ ـ حـاريف (**حريـف**، في نحميـا فقط): الحَرْف، أيّ من خمس قرى تحمل الاسم نفسه. وهناك أيضـاً حَرْف في رجال ألمع، وأخرى في منطقة بلّسمر، وثالثة في منطقة القنفـذة. ويمكن أيضـاً أن تكـون خَـرْفـا في منـطقــة الطائف.

٩ ـ عناثوث (**عنتوت**): عنطوطة.

١٠ ـ عزموت (**عـزموت** في عـزرا) أو بيت عزمـوت (**بيت عـزموت**، أي «معبـد» **عزمـوت**، في نحميا، والاسم بصيغة جمع المؤنث): العُصَيْمات (مع الاحتفاظ بصيغة جمع المؤنث).

١١ ـ أدونيقام (**ءدنيقم**، وفي الظاهر **ءدني قم**، أي «أرباب» أو «أسياد» **قم**): أيّ من عدد من القرى في المنطقة التي تحمل اسم «القائم» (**قءم**).

ب ـ منطقة رجال ألمع:

١ ـ نطوفة (**نطفه**): قعوة آل ناطف (**نطف** بلا تصويت).

٢ ـ بيت إيل (**بيت ءل**): البَتيلة، حددت قبلاً في الفصل

السابع. وقد تكون ايضاً بتول في منطقة جيزان، أو البتلة في ناحية تنومة بالسراة.

٣ - **عاي (هـ - عي): الْغَيْ (غي)**، حددت قبلاً في الفصل ٧.

٤ - بَرْزِلَّاي الجلعادي (**برزلي هـ - جلعدي**، كلاهما في صيغة النسبة، والمنسوب اليه **برزل** و **جلعد**): البرصة (هي في الظاهر **ءل برص**، وفيها تحوير عن **برز ءل** المختصَرة إلى **برزل**)، وهي معرّفة توراتياً بالنسبة الى موقع مجاور هو الجعد (**ءل - جعد**، وهي تحوير عن **جلعد**، انظر الفصل ١١).

ج - منطقتا قنا والبحر والبرك:

أ - **عَزْجَدْ (عزجد**، وهي في الظاهر **عز جد**): ربما كانت عَزّ، في منطقة البرك، معرفة بالنسبة الى الجدّة (**جد**)، في منطقة القنفذة المجاورة. والمسألة فيها نظر.

٢ - حبايا (**حبيه**): الحَبْوة في منطقة قنا والبحر، إلا إذا كانت القرية التي تحمل الاسم نفسه في منطقة بني شهر، أو الخَبْيَة في منطقة جيزان. وفي حالات أقل احتمالاً: حبوى والخبوا في وادي أضم.

د - منطقة محايل:

١ - عادين (**عدين**): عدينة.

٢ - عيلام (**عيلام**): علامة، إلا إذا كانت آل العَلَم في ناحية تنومة، أو غيلان في سراة غامد.

هـ ـ منطقة بلَحمر ـ بلَسمر:

١ ـ كروب (**كروب**): ربما كانت الكَرْبَة (**كرب**)، ويحتمل أيضاً أن تكون القريبة (**قرب**) في منطقة جيزان، أو قريبة أخرى في منطقة الطائف.

٢ ـ باباي (**ببي**): الباب (**بب**)، على سفح جبل ضِرِم.

٣ ـ التَّميم (**تميم**): آل تمّام (**تمم**).

و ـ منطقة بارق:

١ ـ فرعوش (**فرعش**): ربما كانت الجعافر (**جعفر**، ولعلّها تحوير عن **فرعش** بتحويل الشين لفظاً إلى جيم)، إلا إذا كانت الجعافر في منطقة القنفذة المجاورة، أو عجرفة (**عجرف**) في منطقة قنا والبحر، أو العرافجة (**عرفج**) في مرتفعات غامد.

ز ـ منطقة المجاردة:

١ ـ جبعون (**جبعون** في نحميا فقط): آل جبعان (**جبعن**).

٢ ـ **نبو** (**نبو**): نبيه (**نب**)، إلا إذا كانت النباة (**نب**) في منطقة الطائف (انظر الفصل ٧، الهامش ٤)، أو نباة أخرى على سفح جبل ضِرِم، في منطقة بلّسمر.

ح ـ منطقة القنفذة:

١ ـ جِبَّار (**جبر**، في عزرا فقط): جُبار (**جبر** بلا تصويت)، أو أياً من أماكن متعددة تحمل الاسم نفسه أو متفرعات عنه في أجزاء أخرى من عسير وجنوب الحجاز.

٢ ـ حاديد (**حديد**): حذيذ، إلا إذا كانت حَدَاد (**حدد**) في

منطقة الطائف، أو وادي حديد في منطقة جيزان.

٣ ـ الأوريم (**ءوريم**): الرِّيام، إلا إذا كانت الرِّيامة في منطقة بني شهر.

٤ ـ قرية عاريم (**قريت عريم**) وكفيرة (**كفيره**) وبَئيروت (**بءروت**): النص الوارد في يشوع ٩: ١٧، حيث تذكر الأمكنة الثلاثة معرَّفً بعضها بالبعض الآخر، وبالترافق مع جبعون (انظر أعلاه، تحت منطقة المجاردة)، تشير بوضوح إلى منطقة القنفذة وجوارها حيث هناك قرية عامر (**قريت عريم**) والقفرة (**كفيره**)، وربثة التي ربما كانت **بءروت**. وربثة هذه من منطقة المجاردة المحاذية لمنطقة القنفذة.

ط ـ وادي أضم (منطقة الليث):

١ ـ فحث مؤاب (**فحت موءب**): الفاتح (فتح بلا تصويت) معرفة بالنسبة أم الياب المجاورة (**ءم يب**) التي هي مؤاب التوراتية (انظر الفصل ٧)، لتمييزها عن الفاتح في منطقة قنا والبحر.

٢ ـ يشوع(**يشوع**): شعية (**شعي**). وقد أورد كل من عزرا ونحميا «يشوع» هذه كتابعة لِـ«فحث مؤاب» (حول التابعة الأخرى «يؤاب»، انظر تحت منطقة الطائف).

٣ ـ يوره (**يوره**، في عزرا فقط): ورية.

٤ ـ بيت لحم (**بيت لحم**، أو «معبد» لحم، ولحم تعني حرفياً «خبز» أو «طعام» أو «تموين»، وهي في الظاهر اسم لاله للمؤن): أم لَحْم (**ءم لحم**، وتعني «أم»، أي

«إلهة» الـ «خبز، طعام، تموين»)[٤].

٥ ـ الرَّامة (هـ ـ رمه، مع أداة التعريف): ذا الرامة[٥].

٦ ـ جبع (جبع): هذا الموقع الذي يترافق اسمه في التوراة مع «الرّامة» و«مخماس» (انظر أسفل) هو بالأكيد العقبة (عقب، قابل مع جبع) في وادي أضم، وليس جبع في وادي حلي، على كون الموقع الثاني يحمل الاسم التوراتي بدون تحريف.

٧ ـ مِخْماس (مكمس): مَقْمَصْ[٦].

٨ ـ مغبيش (مجبيش): مشاجيب (بقلب الأحرف).

ي ـ سائر منطقة الليث وبلاد غامد وزهران:

١ ـ طوبيا (طوبيه): يبدو أنها بويط (بقلب الأحرف) في وادي الجائزة.

٢ ـ أونو (ءونو): أوان في وادي مدركة، إلا إذا كانت وَيْنَة

---

(٤) الأمر الذي يفرض تحديد بيت لحم التوراتية بكونها أم لحم، في وادي أضم، وليس أي مكان آخر، هو ترافق اسم بيت لحم في العديد من النصوص التوراتية مع اسم المكان «أفراتة» (ء فرت) الذي هو اليوم فِرت (فرت) قرب أم لحم، في وادي أضم نفسه. وخذ، على سبيل المثال، ميخا ٥: ١: «أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا»... انظر أيضاً الفصل ٩.

(٥) هذه هي «الرامة»، قرب «بيت لحم»، التي دفنت فيها راحيل زوجة يعقوب، حسب سفر التكوين. وهي «الرامة» المذكورة في إرميا ٣١: ١٥: «صوت سمع في الرامة، نوح بكاء مرّ. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزّى عن اولادها لانهم ليسوا بموجودين». وحول راحيل، أنظر الملحق.

(٦) لاحظ الترافق بين «جبع» و«مخماس» مع «الرامة» (انظر الهامش ٦) في إشعيا ١٠: ٢٨ ـ ٢٩ (ومخماس وردت في اشعيا مخماش في الترجمة العربية).

(وين) في منطقة بني شهر.

٣ ـ يؤاب (يوءب): الياب، في بلاد غامد قرب بَلْجُرَشي. وقد ذكرت في عزرا وفي نحميا كتابعة لِـ «فحث مؤاب» (انظر تحت وادي أضم). ويؤاب الأخرى الممكنة الأقرب الى «فحث مؤاب» هي بواء في منطقة الطائف. وعلى العموم، فان الاسمين يؤاب (يءب) والياب (يءب) يتطابقان تماماً.

٤ ـ عيلام الآخر (عيلم ءحر): الاشارة هنا هي الى جبل العلماء (علم) ووادي يَحَر في تهامة زهران، واسم الجبل منسوب توراتياً الى اسم الوادي (بالعربية «علماء يحر»). وليست المسألة هنا مسألة «عيلام آخر» أو «أخرى».

ك ـ منطقة الطائف:

١ ـ زكّاي (زكي): المرجّح انها الضيق، إلا إذا كانت الضيقة بمنطقة غميقة. وهناك امكانات أخرى.

٢ ـ باني (بني، في عزرا) أو بنوي (بنوي، في نحميا): والاختلاط هو بين مكانين في منطقة الطائف، هما قريتا البِنِي والبنياء.

٣ ـ لود (لد): اللِدّ، إلا إذا كانت اللِدَّة في وادي الجائزة، في منطقة الليث.

٤ ـ أريحا (يرحو): ورخة (ورخ)، إلا إذا كانت مثل «أريحا» (يريحو و يرحو) التي نوقش امرهما في الفصل ٧، وهما الرّخية في وادي أضم، ووادي وَرَاخ في

مرتفعات زهران.

من بين أسماء الأماكن الـ ١٣٠ الواردة في لوائح عزرا ونحميا، والمحددة بقرى غرب شبه الجزيرة العربية الواردة أعلاه، هناك أماكن قليلة قد تبقى غير مؤكدة. وبالمقابل، ليس هنالك إلا قلة ضئيلة جدّاً من هذه الأسماء نفسها حددت بأماكن موجودة في فلسطين. وربّما كانت هذه الأسماء اربعة فقط، وهي بيت لحم ولدّ ونبو وأريحا (انظر مقابلات الاسماء التوراتية المطروحة هنا باسماء المواقع الفلسطينية في سايمونز، الفقرة ١٠١١ وما يلي). وهذا وحده له أن يقود الى الاستنتاج بأن الأرض التي تسمّيها التوراة «يهوذا» (وهي غير «اليهودية» في فلسطين المذكورة في الأناجيل)[٧] يجب البحث عنها في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس في أي مكان آخر. والأراضي التي كانت أراضي «يهوذا» هذه تشمل المنحدرات البحرية لجنوب الحجاز وعسير، من منطقة الليث في الشمال الى منطقة جيزان في الجنوب ضمناً، وكذلك منطقة الطائف عبر الشق المائي من منطقة الليث. ويمكن للباحث أن يحلّل نصوصاً توراتية أخرى تتعلق بجغرافية أرض «يهوذا» لزيادة البرهان أن هذه الأرض كانت في عسير وجنوب الحجاز، وليس في فلسطين. لكن مثل هذا العمل لا نهاية له، وما ورد في هذا الفصل يكفي لاثبات الحدّ الأدنى من الواقع.

---

(٧) «اليهودية» في فلسطين، وهي منطقة القدس والخليل، اتخذت اسمها في العصرين الهليني والروماني من سكانها اليهود، وليس من اسم شعب أو أرض «يهوذا».

٩ـ أورشليم ومدينة داود

كان الملك داود هو الـذي أخذ «أورشليم» و«حصن صهيـون» من اليبوسيين، ونقل اليها عاصمته من «حبرون» في السنة الثامنة من ملكه على «يهوذا» (صموئيل الثاني ٥: ٥ ـ ١٠). هذا مـا يعرفـه كل قـارىء للتوراة. وهناك خمسة أمكنة تسمى حبرون ما تزال موجـودة تحت اسم خِـربان (خـربن، بقلب الأحرف) عـلى المنحدرات البحـريـة لعسـير، ومن بين هذه الأمكنة الخمسة يحتمل أن عاصمة داود الأولى كانت قرية الخربان الحالية في منطقة المجاردة، التي كانت ذات يوم «حبرون» أبرام، أي ابراهيم (انظر الفصل ١٣)[١]. وكما سنـرى، لا بد أن «أورشليم»

---

(١) ليست هنالك عملياً أية «حبـرون» في فلسطين. وفي فلسطين أطلق اليهود والمسيحيون الاسم على بلدة الخليل الواقعة في الأراضي الهضبية جنوب «أورشليم» الفلسطينية، أي القدس. ونظراً لأن «حبرون» التوراتية ترتبط بسيرة حياة ابراهيم، الذي يصفه القرآن الكريم (٤: ١٢٥) بأنـه «خليل» الله أي «صـديقه»، فقـد قبلت التقاليـد الاسلاميـة التعريف اليهودي والمسيحي للخليل الفلسطينية على أنها «حبـرون» ابراهيم. عملياً، اسم المكان «الخليل» لا يعني «الصديق»، بل هو تعريب لاسم مكان «سامي» قديم هو حليل (من حلل في العبرية، أي «جَوَّفَ»، قارن بالعربية خلل، اي «اخترق، نفذ الى») وتعني «كهف» أو «مغـارة». ولا بدّ ان البلدة الفلسـطينية كـانت قد أخـذت اسمها في الأصل من الكهف المعروف المجاور لها (والذي أورد ذكره الجغرافيون العرب)، والذي كرس في التقاليد التالية على أنـه ضريـح ابراهيم. ويمكن تحـديد كـون خربـان منطقـة المجاردة المحاذية لمنطقة القنفذة كانت عاصمة داود الأولى من خلال تحديد مواقع أسماء أمكنـة أخرى متـرافقة معهـا، مثل «جبعـون» (جبعون) التي هي اليـوم آل جبعان، =

كانت تقع على مسافة ما صعوداً باتجاه الشرق، في جوار النماص أو تنومة، أي في مرتفعات السراة عبر جرف عسير. ويظهر ان اليبوسيين (**هـ - يبوسي**، نسبة الى **يبوس**)، الذين كانوا يسيطرون على البلدة في الأصل، كانوا احدى القبائل أو الأقوام العديدة التي سكنت غرب شبه الجزيرة العربية في الزمن القديم (انظر الفصل ١٥). وبين أمكنة أخرى، ما زالت هناك ثلاثة تستمر في حمل اسمهم بوضوح، وهي: قرية يباسة في وادي أضم، ومنخفض وادي يَبْس أو يُبَيْس على الجانب البحري من بلاد غامد، وقرية يَبْس في منطقة المظيلف. ومع ذلك، يبقى السؤال: وماذا عن «أورشليم»؟

نبدأ هنا بالتدقيق في النص العبري لصموئيل الثاني ٥: ٦ - ١٠ الذي يتحدث عن كيفية استيلاء داود على «أورشليم». وقد ابدى الباحثون التوراتيون العجب لما اعتبروه ضآلة مذهلة في المعلومات التي يقدمها هذا النص، خصوصاً وأنه يعالج حدثاً كبير الأهمية في تاريخ بني اسرائيل (على سبيل المثال، انظر كرايلينغ، ص ١٩٥ - ١٩٧). والواقع هو أن هذه الضآلة في المعلومات ليست ناتجة عن تقصير في النص المذكور، بل عن الطريقة التي قرىء بها هذا النصّ وفهم تقليدياً من قبل الباحثين والمترجمين. وعلى سبيل المثال، فان الترجمة العربية للنصّ تورده كما يلي:

«وذهب الملك ورجاله الى أورشليم الى اليبوسيين (**ءل هـ - يبوسي**) سكان الأرض، فكلموا داود قائلين: لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج، أي لا يدخل داود إلى هنا (لء

=و «حِلْقَتْ هَصُوريم» (حلقت هـ - صريم) التي هي اليوم الحَلَق والصِرام (والأولى منسوبة توراتياً الى الثانية) في المنطقة نفسها (انظر صموئيل الثاني ٢: ١٦). ويستبعد جدّاً أن يكون اسم «خربان» من «الخراب»، كما يتصوّر البعض، خصوصاً وأنّه يرد كاسم مكان في ثلاث من خمس حالات بدون أداة التعريف العربية، وفي ذلك ما يدلّ على أن الاسم معرّب من أصل غير عربي.

تبوء هنه كي ءم هسيرك هـ ـ عوريم و ـ هـ ـ فسحيم ل ـ ءمر لء يبوء دود هنه). وأخذ داود حصن صهيون (**و ـ يلكد دود ءت مصدت صيون**). هي مدينة داود. وقال داود في ذلك اليوم إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمي المُبْغَضين من نفس داود (والجملة بالعربية ناقصة، وهي في الأصل العبري: **و ـ يءمر دود بـ ـ يوم هـ ـ هوء كل مكه يبوسي و ـ يجع بـ ـ صنور وءت هـ ـ فسحيم و ـ ءت هـ ـ عوريم سنءو نفش دود**). لذلك يقولون لا يدخل البيت أعمى أو أعرج (**عل كن يءمرو عور و ـ فسح لء يبوء ءل هـ ـ بيت**). وأقام داود في الحصن (**بـ ـ مصده**) وسماه مدينة داود. وبنى داود مستديراً (سبيب) من القلعة فداخلاً (من **هملوء و ـ بيته**، وتقرأ تقليديّاً **من هـ ـ ملوء و ـ بيته**، باعتبار الهاء في **هملوء** أداة تعريف). وكان داود يتزايد متعظماً والرب إله الجنود معه (**و ـ يهوه ءلهي صبءوت عمو**)».

ولإظهار جليّة ما يقوله هذا النصّ في أصله العبري، لا بدّ من الملاحظات التالية بشأنه:

أوّلاً، يقول النصّ ان الملك داود ورجاله ذهبوا «إلى أورشليم» و«إلى اليبوسيّين» الذين كانوا هناك. وهذا لا يعني بالضرورة أن داود ورجاله ذهبوا «إلى أورشليم» بقصد فتحها. ولا يذكر النصّ في أي مكان آخر أن داود « أخذ أورشليم » ، بل يقول بكلّ وضوح، وحتى في الترجمة العربية، ان ما «أخذه» هو «حصن صهيون» وليس «أورشليم». والواقع هو أن بنى إسرائيل كانوا قد فتحوا «أورشليم» في أيّام «القضاة»، أي في زمن سابق لزمن داود، وقد سمحوا لليبوسيين الذين كانوا في البلدة بالبقاء فيها آنذاك. وكان اليبوسيون ما زالوا مقيمين في «أورشليم» عندما كتب سفر القضاة، وذلك بعد زمن داود بوقت طويل (انظر سفر القضاة

١ : ٨، و٢١ ؛ ٢١ : ٢٥).

ثانياً، النصّ لا يقول ان «حصن صهيون» (في الأصل العبري **مصدت صيون**) كان في «أورشليم» بالذات أو في جوارها. وسيتّضح فيما بعد أن «صهيون» (والتهجئة في الترجمة العربية مأخوذة عن الصيغة السريانية للاسم التوراتي) لم يكن على الاطلاق اسم حصن «أورشليم»، بل كان اسماً لمكان آخر بعد عن «أورشليم». وتعرّف **صيون** في عدة مقاطع من التوراة على أنها **هر صيون**، أي «جبل» أو «هضبة» (وفي كلام أهل عسير «قعوة») **صيون**. والهضبة هذه موجودة الى اليوم في مرتفعات رجال ألمع، غرب أبها، وبها قرية تحمل اسم **هر صيون** بالذات، وهي «قعوة الصيان». و**مصدت صيون** قد تترجم بالعربية «حصن الصيان». لكن هناك في جوار قعوة الصيان قرية اسمها الصَّمَد، وأخرى اسمها أم صمدة (**ءم صمد**، و ءم البداية هي في العادة أداة التعريف في لهجة أهل عسير). ولعلّ أم صمدة، وليس الصمد، كانت هي **مصدت** أو «حصن» الصيان. وقد حرف اسمها التوراتي، واعتبرت ميم البداية فيه ءم التعريف في اللهجة العسيرية (قابل «أم صمدة» مع **مصدت**).

ثالثاً، يقول النصّ بكل وضوح ان **مصدت صيون**، أي حصن الصيان، أو أم صمدة الصيان، «هي مدينة داود». ولا يقول النصّ اطلاقاً أن مدينة داود كانت «أورشليم».

رابعاً، تُرجم المقطع العبري **و - يءمر دود بـ - يوم هـ - هوء كل مكه يبوسي و - يجع بـ - صنور** على أنه جملة واحدة: «وقال داود في ذلك اليوم إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ الى القناة». والترجمة هذه لا تجوز لأن مقول القول فيها ناقص الفعل، كما هو ظاهر، وبالتالي فهو ليس جملة كاملة. والمقطع هذا هو في الواقع جملتان، لأن **و - يجع بـ - صنور** الأخيرتين تشكلان جملة كاملة، ومعناها «ووصل إلى صنور» (انظر أسفل). أمّا الجملة الأولى من المقطع، وهي في الأصل **و - يءمر دود**

ب ـ يوم هـ ـ هؤ كل مكه يبوسي ، فمعناها «وقال داود: في هذا اليوم تمت هزيمة اليبوسيّين» (ومقول القول هو حرفياً، «في هذا اليوم كلّ هزيمة اليبوسيين»، وهو جملة اسمية كاملة، والمبتدأ فيها مؤخّر). والواضح من النص ان داود قال هذا القول مباشرة بعد أخذه مصدت صيون. ويستنتج من ذلك أن مصدت (أي أم صمدة) وصيون (أي قعوة الصيان)، في مرتفعات رجال ألمع، كانت عند الحدّ الأقصى من أرض اليبوسيّين.

خامساً، يستفاد من الترجمة العربية للنصّ الذي يجري البحث عنه هنا أن سكّان «أورشليم» اليبوسيّين اشترطوا على داود نزع «العميان والعرج» من البلدة. وهذا كلام لا معنى له. أما إذا أخذنا النصّ الأصلي، وتحفظنا تجاه ترجمة هـ ـ عوريم و ـ هـ ـ فسحيم بِـ «العميان والعرج»، فيكون المفهوم منه ما يلي: «فكلّموا داود قائلين: لا تدخل الى هنا ما لم تتخلّص من الـ عوريم والـ فسحيم». والواضح أن كلام اليبوسيّين هذا كان نصحاً لداود وليس تحدّياً له. وفي الترجمة العربية للمقطع و ـ يجع بـ ـ صنور وءت هـ ـ فسحيم وءت هـ ـ عوريم سنءو نفش دود ما يوحي بأن داود أمر رجاله بالهجوم على «أورشليم» عن طريق «القناة» (صنور)، حيث كان «العرج» و«العميان» المُبْغَضين من داود. والواقع هو أن صنور في هذه الجملة هي اسم مكان. وبناء على ذلك، فالترجمة الصحيحة للجزء الأوّل من هذا المقطع هي: «ووصل (داود) الى صنور والى الـ فسحيم والى الـ عوريم». أمّا الجزء الثاني، فلا يمكن أن يعني «المُبْغَضين من نفس داود» لأن سنءو بالعبرية هي فعل ماضٍ، معلوم لا مجهول، والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره هم، وليس هو، ويرجع الى الـ فسحيم والـ عوريم، وليس إلى داود. والجملة التي تلي سنءو نفس دود في الأصل هي، عل كن يءمر و عور وفسح لء يبوء ءل هـ ـ بيت، ومعناها حرفياً «لذلك يقولون عور وفسح لا يدخل الى

البيت»، ويبدو ان الاشارة هي الى قولٍ أو مثل مألوف (قابل مع المثل العربي، «لا تدلّ البدوي على باب الدار»). وبذلك تكون ترجمة المقطع بكامله كما يلي: «كرهوا شخص داود. لذلك يقال **عور وفسح** لا يدخل البيت». وفي المقطع، على ما يظهر، محاولة لتفسير مثل شائع عن طريق ربطه بحدث تاريخي.

سادساً، يقول النصّ بكل وضوح ان داود، بعد وصوله إلى **صنور** وكسرته لشوكة الـ **عوريم** والـ **فسحيم**، جعل إقامته بـ - **مصدت** («في الحصن» أو «في أم صمدة») وليس في «أورشليم»، وأنه أسمى هذا المكان وليس غيره «مدينة داود». ويضيف النصّ، بالترجمة العربية، أن داود بنى «مستديراً» (سبيب) من «القلعة» (هملوء، مقروءة هـ - ملوء، باعتبار هاء البداية كأداة تعريف كما سبق). والواضح هو أن ما بناه داود لم يكن «مستديراً» بل «سوراً». أمّا هملوء، فليست «القلعة» بل اسم مكان ما زال موجوداً في مرتفعات رجال ألمع، وهو اليوم قرية الهامل (مع الاستعاضة عن الهمزة الأخيرة في الاسم التوراتي، وهي لاحقة التعريف الآرامية، بسابقة التعريف العربية). والخلاصة هي أن ما بناه داود في جوار قعوة الصيان كان سوراً يبتدىء من الهامل ويمتدّ داخلاً، أي باتجاه «مدينة داود»، وهي على الأرجح أم صمدة كما ذكرنا[٢].

سابعاً، تقول الترجمة العربية ان «الربّ إله الجنود» كان مع داود. والأصل العبري يقول، و - يهوه (فعل بمعنى «كان» وليس «يهوه»، أي «الربّ») **ءلهي صبءوت عمو**، أي «وكان إله **صبءوت** (اسم مكان، وليس «الجنود») معه. **وصبءوت** التوراتية هي اليوم الصَّبَيات في جوار النماص من سراة عسير.

---

(٢) من الضروري التحقّق من مدى التقارب بين قرى قعوة الصيان والهامل وأم صمدة، في رجال ألمع، قبل البت نهائياً في هذا الأمر. وقد تعذّر عليّ أن أفعل ذلك شخصياً.

يبقى النظر في قضية **صنور** والـ **عوريم** والـ **فسحيم**. والواضح أن الأول هو اسم مكان بالمفرد والثاني والثالث جمع **عور** و**فسح**، أو جمع نسبة الى **عور** و **فسح** (أي جمع **عوري** و **فسحي**). والأكيد أن الكلمتين لا تردان في النص المطروح بمعنى «العميان» و«العرج». ولا بدّ أن الاشارة في الاسمين هي الى قبيلتين من القبائل التي كانت تناصب بني اسرائيل أشدّ العداء. ويفيد النصّ بأن هاتين القبيلتين كانتا في جوار مكان اسمه **صنور**.

ويقول سفر القضاة ان بني اسرائيل عندما استولوا على «أورشليم» قبل زمن داود كانوا قد سعوا الى إخضاع «الجنوب» (**هـ - نجب**)، وكذلك «البلاد الهضبية» أو «الجبل» (**هـ - هر**) و«الأراضي المنخفضة» أو «السهل» (**هـ - شفله**)، من أراضي الكنعانيين (قضاة ١ : ٩)، ولكن بلا نجاح على ما يظهر، لأن سفر القضاة لا يذكر مثل هذا النجاح. ويستنتج من ذلك أن داوداً كان عليه أن يتّجه جنوباً من «أورشليم» ليستولي على باقي أرض اليبّوسيين حتى قعوة الصيان وأم صمدة والهامل في رجال ألمع، فيقول بعد أخذه لهذه المواقع: «في هذا اليوم تمّت هزيمة اليبوسيّين». وكان على داود ايضاً أن يستمرّ في الاتجاه جنوباً من هذه المواقع ليصل الى **صنور** ويكسر شوكة الـ **عوريم** والـ **فسحيم**، وهما المبغضين لداود، والذين كان يضرب بهم المثل بالازعاج فيقال عنهم انهم «لا يدخلون الى البيت»، أي انهم شعب غير مرحّب به في البيوت. والواقع هو أن **صنور** التوراتية هي اليوم قرية الصرّان على سفح جبل هروب في شمال منطقة جيزان، الى الجنوب من رجال ألمع. والباحث عن موطني الـ **عوريم** والـ **فسحيم** يجده في ذلك الجوار بكلّ سهولة، فهما جبل عوراء (**عور**) الى الشمال من جبل هروب، وصُحَيْف (**صحف**)، من قرى جبل الحشر، جنوب جبل هروب.

وهكذا تصبح جغرافية النصّ المطروح واضحة تماماً: داود اتجه

جنوباً من «أورشليم» ليستولي على جوار قعوة الصيان في رجال ألمع، ثم استمرّ في الاتجاه جنوباً الى الصرّان، في جبل هروب، وضرب «العورائيين» و«الصحيفيين» (وليس «العميان» و«العرج») في ذلك الجوار، وذلك بناء على النصح الذي تلقّاه من أهالي «أورشليم» اليبّوسيين. ثم عاد من حملته هذه إلى رجال ألمع فحصّن «مدينة داود» في أم صمدة، بجوار قعوة الصيان، وجعل مقامه هناك ليبقى ساهراً على حدوده الجنوبية المهدّدة. وهكذا، فإن المعلومات التي يوردها سفر صموئيل الثاني عن أخذ داود لـ «مدينة داود» (وليس لِـ «أورشليم») ليست ضئيلة، كما أعتقد علماء التوراة حتى اليوم، بل هي في غاية الدقّة والتفصيل. ويبدو أن التحصينات التي اقامها داود في جوار قعوة الصيان (وليس «جبل صهيون»)، بين الهامل وأم صمدة، لحماية مملكته من جهة الجنوب ،كانت بالنسبة الى زمانها على جانب كبير من المناعة. وها هو ما قيل في وصفها في المزمور ٤٨ : ١٢ ـ ١٣ :

«طوفوا بصهيون (صيون) ودوروا حولها، عُدُّوا أبراجها،
ضعوا قلوبكم على متارسها، تأملوا قصورها لكي تحدثوا بها
جيلاً آخر»[٣].

ولا بد من الاشارة هنا إلى أنه، خلافاً للانطباع السائد، فان التوراة العبرية لم تقل في الواقع، في أي مكان منها، ان «صهيون»، أو «مدينة داود» التي كانت بالتأكيد في جوارها، كانت جزءاً من «أورشليم». وذكر «صهيون» إلى جانب «أورشليم» في عدد من المقاطع التوراتية (مثل: المزامير ١٠٢ : ٢١، ١٢٥ : ١ و٢، ١٣٥ : ٢١، ١٤٧ : ١٢) لا يتضمن بالضرورة قرباً جغرافياً أو تعريفاً لأحد المكانين بالآخر. ومن نصوص

---

(٣) هذا المزمور منسوب الى «بني قورح» (بني قرح) الذين ما زال اسمهم حياً لم يمس، بكونه لقريتي القرحة (قرح) في جبل فَيْفا، والقرحان (قرحن) في جبل بني مالك، وكلاهما في منطقة جيزان، بعيداً الى الجنوب من رجال ألمع. وفي جملة سابقة من المزمور نفسه (٤٨ : ٢) يوصف «جبل صهيون» عملياً بكونه «في أقاصي الشمال».

مزامير عديدة (مثل: ٦٥ : ١، ٧٤ : ٢، ٧٦ : ٢، ١٣٢ : ١٣، ١٣٥ : ٢١)، يمكن للباحث أن يجمل أن داود كان قد كرّس «صهيون» أو «جبل صهيون» ـ بغض النظر عن كونها الهضبة التي وجدت فيها مدينة داود ـ كمكان عبادة أو مقام مقدس بديل، فيما يظهر، لمقام أقدم اسمه «ساليم» (**شلم**، انظر الفصل ١٢، وليس «أورشليم»؛ انظر المزمور ٧٦ : ٢). ولا بد ان موقع مقام «صهيون»، المختلف عن «مدينة داود»، كان المرتفع الذي تقع فيه القرية الحالية قعوة الصيان. وببعض التنقيب الأثري، يمكن لحقائق القضية أن تزداد وضوحاً.

وفي ضوء ما قيل حتى الآن يجب البحث عن «أورشليم» التوراتية (**يروشليم** بالعبرية، وتُعْرَب **يرو شليم**)(٤) في منطقة ما الى الشمال من قعوة الصيان (وهي «جبل صهيون» في رجال ألمع)، لأن داود اتّجه جنوباً من «أورشليم» ليصل الى «حصن صهيون» كما سبق. والأرجح هو أن «أورشليم» هذه (المختلفة عن «أورشليم الفلسطينية؛ انظر الفصل ١) يمكن أن يعثر عليها فوراً على مسافة حوالي ٣٥ كيلومتراً إلى الشمال من بلدة النماص في سراة عسير، شمال أبها. انها القرية التي تسمى اليوم آل شَريم (**ءل شريم**)، التي يحتوي اسمها على بعض التحريف التعريبي عن الأصل **يرو شليم** (تغيير موقعي الحرفين الراء واللام بين قسمي الاسم المركب)(٥). ووقوع منطقة النماص على ارتفاع حوالي ٢٥٠٠ متر عن

---

(٤) لقد اعتبر اسم يروشليم حتى الآن لغزاً. والأرجح هو أنه يعني «مقر» أو «مسكن» (الاسم يرو، قارن مع مصدر الفعل بالعربية ءري، أي «سكن» أو «أقام») شليم (قارن مع الاسم القبلي الحي «سُلَيْم» في مرتفعات عسير). والمصدر من الفعل ءري يظهر في أسماء أمكنة أخرى في غرب شبه الجزيرة العربية، كما في أرْواء (ءرو) وأروى (ءرو). واذا لم يكن الاسم شليم اسم قبيلة (وربما قبيلة فرع من اليبوسيين)، فيحتمل أنه كان اسم إله محلي، وربما تنويع في **شلم** (انظر الفصل ١٢). وبالتالي فان اسم المكان **يروشليم** يعني «مقر سُلَيم»، أو «مقرّ شلم» (اسم الاله).

(٥) ويحتمل أيضاً أن يكون الاسم **يروشليم** جمعاً لاسمين حاليين لقريتين، هما: أروى (ءرو) وآل سلام (سلم) في جوار تنومة من السراة، غير بعيد الى الجنوب من =

سطح البحر، كموقع مقترح لِـ «أورشليم» التوراتيـة، يجعله في موضـع استراتيجي للسيطرة سـواء على الأراضي الـداخلية أم عـلى المنحدرات البحرية لعسير. وهناك طريق قديمـة، يمتد مسـارها فـوق الجرف وعـلى امتـداد الشق المائي للسـراة، تصلها بـأبهـا وخميس مشيط في الجنـوب، وببلاد غامد وزهران والطائف في الشمال، أي بكامل امتـداد الأراضي القديمة لِـ «اسرائيل» و«يهوذا». وتتميز المنـطقة بغنـاها الخـاص بالبقـايا الأثرية التي لم تستكشف بعد. وكانت توجد هنـا، في الزمن التـوراتي، أقداس ومقامات لا تحصى (انظر الفصل ١٢)، ومن بينها مقام ما يسمى «رب الجنود» («إله الصَبَيات»)، انظر أعـلاه، والصَّبيات هي اليـوم من قـرى النمـاص، وهي ليست بعيـدة عن آل شـريم). وللوصــول الى «أورشليم» هذه في جوار النماص، من عاصمته الأصلية «حبرون» وهي الخربان في منطقة المجاردة (انظر أعلاه)، لم يكن على داود إلّا أن يتّجـه صعـوداً عن طريق وادي خـاط، فيقطع المسـافة في يـومـين بسهـولـة. وكعـاصمة لمملكـة تضم معظم عسـير، كان مـوقع «أورشليم» (أي آل شريم) في مرتفعـات النّماص أفضـل بكثير من مـوقع «حبـرون» (وهي الخربان) في منحدرات المجاردة.

وبـالرغم من أن داود اعتبـر «أورشليم» هذه، بـالقـرب من مقـام صبءوت (أي الصبيات) ، عاصمته الرسمية على ما يظهر، يحتمل أنـه أقام معظم وقته في عاصمته الثانية، وهي «مدينة داود» في رجال ألمـع، ليراقب حدوده الجنوبية عن قرب. وهناك مات، أو هناك دفن على الأقل (الملوك الأول ٢ : ١٠). واستمر ابنه وخليفته سليمان، الذي يبدو أنـه كان معه عند موته، في الاقامة في مدينة داود (أي في أم صمدة في رجال ألمع) «إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها» (الملوك

= النماص. وفي هذا الحال، ربّما نسبت أروى الى قرية آل سلام المجاورة لتمييزها عن قرية آل عمر أرواء في المنطقة ذاتها. وهناك حاجة الى علم الآثار للبرهان على هذه النقطة بما لا يدع مجالاً للشك.

الأول ٣ : ١). وعندها فقط ذهب الى مقام «جبعون» (آل جِبعان الحالية، في منطقة المجاردة) لتقديم الضحايا، ثم تابع سيره صعوداً من هناك ليدخل «أورشليم» (الملوك الأول ٣ : ٤ و١٥). ويصادف هنا أن رحلة سليمان من «مدينة داود» إلى «أورشليم» عبر «جبعون» تبدو متكاملة في مغزاها الجغرافي. وعملياً، فان احدى الطرق التي تقود من رجال ألمع الى منطقة النماص تمر عبر منطقة المجاردة[٦].

وعندما تتّضح للباحث حقيقة أن «أورشليم» التوراتية لم تكن «أورشليم» الفلسطينية أي القدس، بل على الأرجح قرية آل شريم الحالية في منطقة النماص من سراة عسير، أو مكان آخر قريب من آل شريم هذه (انظر الهامش ٥)، يمكن له ان يحدد فوراً، وبدرجات مختلفة من التأكد، ما هو مترافق مع أورشليم في النصوص التوراتية. و«أبواب» (سعر هو المفرد بالعبرية) أورشليم هي احدى الحالات البارزة، إذ يمكن تحديدها حسب الأماكن التي سميت بأسمائها، والتي يحتمل ان تشير إلى الاتجاهات التي تنفتح عليها:

١ ـ باب «بنيامين» (بن يمن، ارميا ٣٧ : ١٣، ٣٨ : ٧، زكريا ١٤ : ١٠): بين احتمالات عديدة، ربما كانت ذات يومين (يمن بلا تصويت) في منطقة بلّسمر وبلّحمر.

---

(٦) قصة خلافة سليمان، كما رويت في الملوك الأول، توحي بوضوح بأن «مدينة داود» و«أورشليم» كانتا مكانين مختلفين، يبعد أحدهما مسافة عن الأخرى. عملياً، ان المسافة المباشرة بين أم صمدة، في رجال ألمع، وآل شريم، في منطقة النماص، تقارب ٨٠ أو ٩٠ كيلومتراً، أما مسافة السفر بينهما عبر الطرق الجبلية المختلفة فأبعد بكثير. وعلى العكس من أبيه داود، قام سليمان بتجميل وتحصين «أورشليم» وجعل منها مقر إقامته الدائم. ومع اعتبار كون «مدينة داود» و«أورشليم» مكانين مختلفين، فان «الدرج النازل من مدينة داود» الى أورشليم (هـ ـ معلوت هـ ـ يوردوت م ـ عير دود) يجب ألا يشوش الموضوع، لأن هذا «الدرج»، أو «الدرجات» كانت «مذابح» أو «منصات» (معلوت) جلبت (يوردوت، وبالعربية «واردات») من مدينة داود» الى «أورشليم» (نحميا ٣ : ١٥)، وربما في أيام سليمان.

٢ ـ باب «الزاوية» (هـ ـ فنه، الملوك الثاني ١٤ : ١٢، قارن مع أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ٢٣، أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٩، إرميا ٣١ : ٣٨، زكريا ١٤ : ١٠): هي في الظاهر النيَّافة (بقلب الأحرف، ومع أداة التعريف العربية بدلاً من العبرية) في منطقة بني عمرو في السراة.

٣ ـ باب «الدِّمَنْ» (هـ ـ شفت، نحميا ٢ : ١٣، ٣: ١٣ و١٤، ١٢ : ٣١): بين احتمالات عديدة، ربما كانت الشَّفوة أو الشَّافية (كلاهما شفت بلا تصويت) في رجال ألمع.

٤ ـ باب «الشرق» (مزرح، وقد تقرأ م ـ زرح، أي «من مكان الشروق»، نحميا ٣: ٢٩): آل محرز (بقلب الأحرف من مزرح)، احدى قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقتي بني شهر وبلّحمر، غرب النماص.

٥ ـ باب «أفرايم» (ء فريم، الملوك الثاني ١٤ : ١٣، قارن مع أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ٢٣، نحميا ٨: ١٦، ١٢: ٣٩): الوَفْرَيْن (مثل ءفريم في المثنى) في منطقة بني شهر.

٦ ـ باب «السمك» (هـ ـ دجيم، أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٤، نحميا ٣ : ٣، صفنيا ١ : ١٠): ذات الدماغ (دمغ)، في حوض وادي بيشة، وقد ذكرها أحمد بن عيسى الرّداعي في أرجوزة الحج اليمني (انظر الهمداني، «صفة جزيرة العرب»، ص ٤٣٠). ويبدو أنه لم يعد لها وجود اليوم بهذا الاسم.

٧ ـ باب «العين» (هـ ـ عين، نحميا ٢ : ١٤، ٣: ١٥، ١٢ : ٣٧): والاشارة قد تكون الى ينبوع محلّي، وإلا فهي الى القرية الحالية «العين» في السراة، في منطقة بلّسمر، وهي القرية الأقرب الى النماص بهذا الاسم.

٨ ـ باب «الخيل (هـ ـ سوسيم، نحميا ٣: ٢٨، إرميا ٣١: ٤٠): الاشارة هنا يمكن قد تكون إلى قرية السُّوسِيَّة (الجمع بالعربية من سوس) في بلاد زهران، لكن الأرجح ان المقصود هو المَسُوس (تحوير بقلب الأحرف عن سوسيم) في رجال ألمع.

٩ ـ باب (العَدّ» (هـ ـ مفقد، نحميا ٣: ٣١): الأكثر احتمالاً هو الميناء الحالي القنفذة، الذي هو الميناء الأقرب الى منطقة النماص وجوارها، والذي يمكن لاسمه أن يكون تحريفاً تعريبياً لـ هـ ـ مفقد، مع تحويل أداة التعريف العبرية الى أداة التعريف العربية، كما في معظم الأحوال المشهودة.

١٠ ـ الباب «الأوسط» (هـ ـ توك، إرميا ٣٩: ٣): الطوق مع أداة التعريف العربية، في رجال ألمع.

١١ ـ الباب «العتيق» (هـ ـ يشنه، نحميا ٣: ٦، ١٢: ٣٩): ياسينة (يسنه بلا تصويت)، في منطقة القنفذة.

١٢ ـ باب «السجن» أو «الحرس» (هـ ـ مطره، نحميا ١٢: ٣٩): ماطِر (مطر بلا تصويت) في منطقة محايل.

١٣ ـ باب «الضَّأن» (هـ ـ صون، نحميا ٣: ١ و٣٢، ١٢: ٣٩): آل زَيَّان (زين بلا تصويت، الرديف فونولوجياً لـ صون)، في منطقة بلّحمر.

١٤ ـ باب «بنيامين الأعلى» (بن يمن هـ ـ عليون، إرميا ٢٠: ٢): لا شك بأنها آل يماني (يمن بلا تصويت) في سراة بلقرن، شمال النماص، وهي منسوبة توراتياً الى قرية عليان المجاورة.

١٥ ـ باب «الوادي» (هـ ـ جيء، أخبار الأيام الثاني ٢٦: ٩، نحميا ٢: ١٣ و١٥، ٣: ١٣): بين احتمالات عديدة،

الأرجح هي الجِيَة (جي مع أداة التعريف) في منطقة النماص، إلا إذا كانت الجَوّ (جو ومع أداة التعريف أيضاً) في منطقة بلّسمر غرب النماص.

١٦ ـ باب «الماء» (هـ ـ ميم، عزرا ٨ : ١، نحميا ٣ : ٢٦، ٨ : ١ و٣ و١٦، ١٢ : ٣٧): يحتمل أنها المومية فى منطقة قنا والبحر المحاذية لرجال ألمع، ويحتمل أيضاً أنها المايَين (المثنى بالعربية من «ماء») في منطقة المدينة، على امتداد طريق القوافل الرئيسية لغرب شبه الجزيرة العربية المتجهة الى الشام، إلا إذا كانت اشارة عملياً الى «ماء» محلية.

١٧ ـ الباب «وراء السعاة فتحرسون حراسة البيت» (ء حر هـ ـ رحيم و ـ شمرتم ءت مشمرت هـ ـ بيت مسه، الملوك الثاني ١١ : ٦): والترجمة الأصح للأصل العبري هي: ءحر الـ رحيم وشمرتم بجانب برج الحراسة لـ بيت مسه». والاشارة هي الى الأماكن الأربعة التالية، وجميعها في منطقة القنفذة وجوارها المباشر: اليُحور (يحر بلا تصويت)، وصَروم (تحوير بقلب الأحرف عن رصيم)، والسَمَرَة (سمرت، ولاحقة الميم في شمرتم العبرية هي ضمير الجمع المضاف اليه للغائب، ويعود الى يحر ورصيم)، وحِلَّة مصوى («مستوطنة»، نظراً لـ بيت العبرية، أو «منزل» مصو، قارن مع مسه التوراتية). وبذلك يستقيم المعنى الجغرافي على الوجه الآتي: «باب يحور وصَروم وحلّة مصوى المنسوبة اليهما».

١٨ ـ باب «بين السورين» (بين هـ ـ حمتيم، الملوك الثاني ٢٥ : ٤، قارن مع إرميا ٣٩ : ٤، ٥٢ : ٧): الاشارة هنا الى «بين» (أي «ناحية» أو «مرتفع») آل حماطان في سراة

زهران. والصيغة المعرّبة للاسم هي في صيغة المثنى، كما في الأصل العبري(٧).

١٩ ـ باب «شَلكَّة» (**شلكت**، أخبار الأيام الأول ٢٦ : ١٦): شقلة في منطقة القنفذة.

٢٠ ـ باب «السور» (**هـ ـ يسور**، الملوك الثاني ١١ : ٦، أخبار الأيام الثاني ٢٣ : ٥): آل يسير في منطقة تنومة، جنوب النماص، في اتجاه أبها.

٢١ ـ باب «يشوع رئيس المدينة» (**يهوشع سر هـ ـ عير**، الملوك الثاني ٢٣ : ٨) هنا تبدو القرية الحالية شوعة (**شوع**)، في منطقة قنا والبحر، معرفة توراتياً بالنسبة الى قريتي السرِّ (سر) والغار (غر)، في منطقة رجال ألمع المجاورة (بالعربية، «شوعة سِرّ الغار»).

٢٢ ـ باب «الفَخَّار» (**هـ ـ حسروت**، إرميا ١٩ : ٢): لعلّها الخريزات (تحوير بنقل الأحرف وقلب السين الى زين عن **حسروت**، وهي أيضاً بجمع المؤنث كما بالعبرية) في جوار حلي من منطقة القنفذة.

٢٣ ـ «باب الرب الجديد» (**سعر يهوه هـ ـ حدش**، إرميا ٢٦ : ١٠) أو «باب بيت الرب الجديد» (**سعر بيت يهوه هـ ـ حدش**، إرميا ٣٦ : ١٠): تبدو الاشارة هنا الى مقام قديم

(٧) الصيغة العبرية المفردة من الاسم **حمت** (كما في سفر العدد ١٣ : ٢١ و٢٩ وأماكن أخرى من التوراة العبرية) استمرت في الوجود أيضاً في جنوب الحجاز وعسير كاسم لقرية تسمى ذوي حمط، وست قرى تسمى حماطة. والخلط بين اسم المكان التوراتي هذا واسم حماه (**حمه** أو **حمت**) الواقعة في وادي العاصي في الشام فعل الكثير في ابعاد الفهم التقليدي للجغرافيا التوراتية عن مرماه. ولا بد من إعادة النظر بعناية بمضمون الاسم نفسه كما ورد في السجلات المصرية وفي السجلات الأشورية والبابلية القديمة.

كان مكرساً في زمن التوراة للربّ **يهوه** في القرية الحالية التي تدعى الحديثة (الترجمة العربية للكلمة العبرية هـ ـ حدش)، في منطقة القنفذة.

٢٤ ـ «الباب الأعلى لبيت الرب» (**سعر بيت يهوه هـ ـ عليون**، أخبار الأيام الثاني ٢٧ : ٣؛ والترجمة الأفضل هي «باب هـ ـ **عليون** بيت الرب»): والمقام المذكور لا بدّ أنه كان في آل عليان (**ءل علين**، أي «إله» **علين**) في منطقة النماص (انظر الفصل ١٢).

٢٥ ـ «الباب الأول» (**سعر هـ ـ رءشون**، زكريا ١٤ : ٤): يحتمل أنها الرَّوْشَن في وادي بيشة، وأقل احتمالاً كونها ريشان أو الروسان في منطقة الطائف[٨].

ويمكن للباحث ان يتابع تحديد أماكن كثيرة وردت بأسمائها في التوراة العبرية بالعلاقة مع «أورشليم» (أقسام السور، الأبراج، الينابيع، الحقول، المباني، المدافن، الخ) حسب أسماء المواقع التي ما زالت هناك، ومعظمها في الجوار المباشر لآل شريم في منطقة النماص وما يليها من سراة عسير. وأحد الأمكنة التي لم أستطع بعد تحديدها بالاسم هو «جبل الزيتون (هر هـ ـ زيتيم) الذي قدام أورشليم من الشرق» (زكريا ١٤ : ٤، كما في الترجمة التقليدية). والمكانان الآخران اللذان ارتبط اسماهما في النصوص التوراتية بـ «أورشليم» لم يكونا عملياً في الجوار المباشر للمدينة، والنصوص التي أوردتها لم تقل أنهما كانا كذلك:

١ ـ وادي هنوم أو ابن هنوم (بن هنم). واذا قرىء الاسم على

---

(٨) قارن بين تحديدات أسماء أبواب أورشليم هنا وتلك الواردة في كتاب ج. سايمونز:

J. Simons, **Jerusalem in the Old Testament** (Leiden, 1952).

وتحديدات سايمونز تعتمد فقط على المكتشفات الأثرية في أورشليم الفلسطينية، من دون أية أدلة اسمية تدعمها.

أنه **هـ ـ نم**، باعتبار هاء البداية أداة تعريف، يمكن لاسم هذا «الوادي» (**جيء** بالعبرية) ان يحدد فوراً بكونه النامة (**نم** بلا تصويت، مع أداة التعريف العربية) في منطقة بلّحمر، بين منطقة بني شهر ورجال ألمع. وهذا هو تماماً حيث يحدد الموقع في نص يشوع ١٥ : ٨: «الى جانب اليبوسي (أي أورشليم) من الجنوب». واستناداً إلى الملوك الثاني ٢٣ : ١٠، فقد كان هناك في هذا الوادي مكان يسمى «توفة» (**هتفت** وتقرأ خطأ **هـ ـ تفت**). وليست هذه اليوم إلا قرية الهَطَفَة (**هطفت**) في الجوار نفسه (قارن مع سايمونز، الفقرة ٣٦). ويسمّى الوادي حيث تقع قرية النامة اليوم وادي صَبَح.

٢ ـ جدول (أو غدير) قدرون (**نحل قدرون**): وهذا يجب ان يكون وادي بني عمر الأشاعيب، على المنحدرات البحرية من بلاد زهران، حيث توجد هناك قرية تسمى قِدران، وهو الاسم التوراتي «قدرون» بالذات. وفي الملوك الثاني ٢٣ : ٤ و٦، جاء بالعبرية: **م ـ حوص ل ـ يروشليم بـ ـ شدموت قدرون**، و **م ـ حوص ل ـ يروشليم ءل نحل قدرون**. وفي الترجمة العربية المألوفة: «خارج أورشليم في حقول قدرون»، و «خارج أورشليم الى وادي قدرون». وهنا جاءت **حوص** في الواقع كاسم مكان هو اليوم حَوَّاز (حوز بلا تصويت) في نفس الوادي الذي توجد فيه قِدران، في تهامة زهران. وباعادة ترجمة المقطعين هذين من الملوك الثاني ٢٣ يستقيم المعنى كما يلي: «من حوّاز إلى أورشليم في حقول قدران»، و«من حوّاز إلى أورشليم، إلى وادي قدران». وهذه الترجمة تطابق الاطار الجغرافي لذكر قدران وحوّاز في التوراة بشكل كامل: بأوامر من الملك

يوشيا ملك «يهوذا»، جمعت كل الأصنام الوثنية، لا من «أورشليم» وحدها، بل من كل المنطقة بين حوّاز و«أورشليم»، وأخذت إلى حقول قِدران، أو إلى وادي قِدران، حيث أحرقت (حول التحديد التقليدي الواهي لـ «قدرون» خارج «أورشليم» الفلسطينية، انظر سايمونز، الفقرة ١٣٩).

في يوم ما، قد يؤكد علم الآثار التحديد المقترح لموقع «أورشليم» التوراتية باعتبارها القرية الحالية آل شريم، في مرتفعات النماص. والشيء الأكيد، هو أن «مدينة داود»، التي هي اليوم أم صمدة، في رجال ألمع، كانت مكاناً مختلفاً تماماً عن «أورشليم» هذه. وكما لوحظ سابقاً، كانت «مدينة داود» قد بنيت كبلدة حصينة لتحرس الحدود الجنوبية لمملكة داود. والسبب في اختيار مكان مثل آل شريم ليصبح عاصمة لهذه المملكة، بغض النظر عن كونه معقلاً جبلياً، كان ـ أولا ـ موقعه المركزي بين وادي أضم واقليم الطائف في الشمال، ورجال ألمع في الجنوب، نظراً لأن أراضي المملكة كانت تمتد بين هاتين المنطقتين، وكان ـ ثانياً ـ وقوع البلدة على امتداد الطريق الرئيسية الجبلية شرق جرف عسير، وهي الطريق التي تتصل عند نقاط عدة بطرق القوافل الداخلية شرقاً، وبالطريق الساحلي غرباً، والتي ما زالت تستخدم كطريق رئيسية بين الطائف وحدود اليمن الى اليوم. وعندما ثبّت داود نفسه في «أورشليم» هذه، لم يعد يحكم «يهوذا» وحدها، بل «كل اسرائيل» (صموئيل الثاني ٥ : ٥)، كما فعل ابنه سليمان من بعده. واستناداً الى الملوك الأول ٤ : ٢٥ (في الترجمات العادية)، امتدت الأراضي التي حكمها سليمان «من دان الى بئرسبع»، أي من الدنادنة في تهامة زهران جنوب وادي أضم (انظر الفصلين ١٠ و١٤ والملحق) الى شباعة في مرتفعات خميس مشيط شرق رجال ألمع (انظر الفصل ٤). وبعد موت سليمان، انقسمت مملكة «كل اسرائيل» هذه إلى «مملكتين»

متنازعتين، تسميان على التوالي «يهوذا» و«اسرائيل». أما ما كانته «اسرائيل» في الأصل بالنسبة لـ «يهوذا»، وما أدى اليه انقسام مملكة سليمان بعد موته، فأمران يستحقان المعالجة على حدة. وهما المسألتان اللتان تشكلان الموضوع الرئيسي للفصل التالي.

١٠ـ اسرائيل والسامرة

إذا كانت «يهوذا»، أو يهوده، أرض الشعاب والوهاد على امتداد الجانب البحري لجنوب الحجاز وعسير (انظر الفصل ٨)، فلا بدّ أن «اسرائيل» (يسرءل) كانت في الأصل مرتفعات السراة هناك. وقد كتب الكثير عن أصل الاسم، ولكن النتائج كانت مدعاة للتشويش أكثر منها مدعاة للتنوير. والقول في سفر التكوين ٣٢ : ٢٨ بأن الاسم يعني «يجاهد مع الله» أو «الله يجاهد» (يسره ءل) ما هو إلا تفسير ميثولوجي من نسج الخيال. إن كون الاسم **يسرءل** مركباً من **يسره** و **ءل** هو أمر مؤكد. ومع ذلك، فإن **يسره** هنا ليست المضارع من الفعل العبري **سره** بمعنى «جاهد، ناضل، قاتل»، بل هي اسم قديم من الفعل نفسه بمعنى الكلمة العربية **سرو** أو **سري**، و «السرو» هو «ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل»، و «السراة» (من سري) «أعلى كلّ شيء». ويتضح من ذلك أن الجذر من الاسم، كما هو مشهود بالعربية، يفيد معنى العلو والارتفاع والشموخ. وبالتالي، فإن الجزء الأول من **يسرءل**، أي **يسره**، هو اسم على وزن «يفعل» مشتق من **سره** بمعنى «شمخ، ارتفع»، ويقابله بالعربية اسم «السرو» أو «السراة» من الجذر ذاته. ويتضح من ذلك أن الاسم بكامله هو **يسره ءل**، أي «سراة الله»، والاشارة هي ولا شك الى مرتفعات السراة بين الطائف واليمن.

وكتعبير يعني «سراة الله»، لا بد أن الاسم **يسرءل**، أو «اسرائيل»،

كان اسماً جغرافياً قبل أن يصبح اسماً لشعب، وأخيراً لمملكة في غرب شبه الجزيرة العربية مختلفة عن مملكة «يهوذا». والظاهر أن «إله السراة»، أي إله المرتفعات في جنوب الحجاز وعسير في القدم، كان يدعى ءل يسره. وهذه لائحة لمواقع في الحجاز وعسير ما زالت تحمل اسم ءل يسره هذا، أي «إله السراة»، الى اليوم[1]:

١ ـ اليَسْر (ءل ـ يسر) في منطقة محايل.
٢ ـ اليَسْرى (ءل ـ يسر) في منطقة النماص.
٣ ـ اليَسْرى (ءل ـ يسر) في منطقة الطائف.
٤ ـ يَسْرَة (يسر) بجوار أبها.
٥ ـ آل يسير (ءل يسر) بجوار تنومة.
٦ ـ اليسيرة (ءل ـ يسر) في الحجاز، كاسم لقريتين.
٧ ـ يسير (يسير) في الحجاز.
٨ ـ آل ياسر (ءل يسر) في منطقة القنفذة.
٩ ـ آل سِرَة (ءل سره، محافظة على صيغة المصدر العبرية) في منطقة أبها.
١٠ ـ السَّرْيَة (ءل ـ سري) في جوار خميس مشيط، شرق أبها.
١١ ـ أبو سَرْيَة (سري) في منطقة الطائف.
١٢ ـ السَرِي (ءل ـ سري)، الموقع غير محدد في المعاجم الجغرافية.

وهناك أسماء أخرى يمكن أن تضاف إلى تلك أعلاه مشتقة من سرو كتنويع لـ سري بالمعنى ذاته. وما يكاد يماثل تماماً الكلمة العبرية يسرءل (مع ءل لاحقة وليس سابقة) هو الاسم سُرَيْويل (وهي في الظاهر تحريف

(١) إني مقتنع شخصياً بأن الـ طء نتر (أو «أرض الله») لدى المصريين القدماء هي أرض يسرءل التوراتية بالذات، أي سراة عسير الجغرافية. وبالنسبة الى هوية ءل يسره «اله السراة»، انظر الحاشية التالية.

لـ سري ءل)، وهو اسم قرية في أواسط نجد[٢].

وشعب « اسرائيل » لا بد أنه كان في الأصل مجموعة من قبائل بلاد السراة في غرب شبه الجزيرة العربية . وقد اتحدت هذه القبائل في زمن ما فأصبحت شعباً استوطن أرض « يهوذا » ، وأقام لنفسه هناك مملكة في أواخر القرن الحادي عشر أو مطلع القرن العاشر قبل الميلاد. وكانت الظروف السياسية والاقتصادية في تلك الفترة ملائمة لظهور مثل هذه المملكة في غرب شبه الجزيرة العربية . فقد كان هنالك تراجع في الضغوط الخارجية على شبه الجزيرة العربية من جهة العراق والشام ومصر بعد حوالى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد ، مما مهد الطريق أمام ظهور دول محلية مستقلة في شبه الجزيرة . وقد جاء هذا التراجع في الضغوط الخارجية نتيجة لانهيار الدولة الحثّية في شمال الشام في ذلك الوقت، وضعف الدولة القائمة آنذاك في مصر، بينما كانت الدولة الآشورية في العراق ما زالت في بدايتها . ومن ناحية أخرى ، كان هنالك ازدهار في تجارة القوافل العابرة لشبه الجزيرة العربية، مما انعكس باستبدال الحمار بالجمل وجعله وسيلة النقل الرئيسية المعتمدة لهذه التجارة، وذلك في مرحلة ما بين ١٣٠٠ و١٠٠٠ قبل الميلاد. لكنّ مملكة «كل اسرائيل» (انظر الفصل ٩) التي ظهرت في حينه لم تعمّر طويلاً، وسرعان ما فقدت وحدتها السياسية. وبحلول النصف الثاني للقرن العاشر قبل الميلاد، كانت تسيطر على أراضيها سلالتان متنازعتان من الملوك: ملوك «يهوذا»، وعاصمتهم في آل شريم (الموقع المقترح لـ«أورشليم» التوراتية، انظر الفصل ٩)، وملوك

(٢) يفسر الاسم محلياً على أنه تصغير لكلمة «سروال» العربية، وهو تفسير غير مقنع من الناحية اللغوية. ولا بدّ أن عبادة «ءل يسره»، أو «اله السراة»، كانت منتشرة في القدم في مناطق كثيرة من الجزيرة العربية. وربما كان الاله المصري القديم «أوسيريس» (واسمه بالمصرية القديمة وسير) هو هذا الاله بالذات (قابل وسير مع اسم المكان «آل يسير» بجوار تنومة، ومع سائر اسماء الأماكن المدرجة أعلاه). ولعلّ وسير هذا كان الـ نتر (اي الإله) الذي كانت تنسب اليه طء نتر (أي «أرض الله») عند المصريين القدماء.

«اسرائيل» . وكانت قد بدأت محاولات جديدة آنذاك للسيطرة الخارجية على غرب شبه الجزيرة العربية، أولاً من جهة مصر، وثانياً من جهة الدولة الآشورية ثم البابلية في العراق. وقد كان هذا، ولا شك، من العوامل التي أدت إلى قيام ودوام هذا الانقسام بين مملكتي «يهوذا» و«اسرائيل». (انظر الفصل ١).

وكان الباحثون التوراتيون، الذين يفكرون من خلال فلسطين، قد تحدثوا تقليدياً عن مملكتي «يهوذا» و«اسرائيل» المتنازعتين على اعتبار أنهما المملكتين «الجنوبية» و«الشمالية» هناك، وافترضوا بالأخيرة أنها تركزت حول بلدة نابلس في شمال فلسطين. وفي غرب شبه الجزيرة العربية، كانت مراكز قوة «اسرائيل» الأصلية بالفعل شمال «يهوذا»، كما سيظهر لاحقاً. لكن الحدود الجغرافية بين هاتين المملكتين لم تكن ثابتة أو واضحة. والواقع هو أن الانقسام بين «يهوذا» و«اسرائيل» لم يكن جغرافياً بقدر ما كان انقساماً في الولاء السياسي والديني بين أبناء الشعب الواحد والأرض الواحدة . ويبدو أن ملوك «يهوذا» و«اسرائيل» كانوا يسيطرون في أحوال كثيرة على مواقع مختلفة في المناطق ذاتها. وكثيراً ما كانت هذه المواقع قريبة جداً من بعضها البعض. وكانت هذه بالتأكيد حالة أراضي «يهوذا» المركزية في منطقة القنفذة وجوارها من عسير. وكانت هي الحالة أيضاً في شمال البلاد، أي في منطقتي الليث والطائف (أنظر أدناه) .

وكان أول من نصّب نفسه ملكاً على «اسرائيل»، بعد موت سليمان، هو «يربعام بن نابط» الذي وصف بأنه ءفرتي من هـ-صرده، التي أخذت تقليدياً على أنها تعني «أفرايمي من صردة» (الملوك الأول ١١ : ٢٦). ومن الأمور ذات المغزى أن داود، مؤسس الأسرة التي استمرت في حكم «يهوذا»، وصف أيضاً بأنه ابن «رجل إفراتي» (ءفرتي)

من «بيت لحم» (سفر صموئيل الأول، ١٧ : ١٢). والنسبة «فرتي هذه لا يمكنها أن تعني «أفرايمي»، كما هي مترجمة بالنسبة الى يربعام، وهذا مؤكد. و«أفرايمي» بالعبرية تكون «فريمي، من «فريم (مثنى «فر)، وهي اليوم الوَفْرَيْن (مثنى وفر)، في بني شهر (انظر الفصل ٩). والواقع أن «فرت (والنسبة إليها هي «فرتي) ما زالت موجودة كاسم لقرية فِرت (فرت) في وادي أضم، في منطقة الليث. وكما لوحظ سابقاً، فإن «بيت لحم» كانت قرية أخرى في وادي أضم نفسه، هي اليوم أم لحم (المترافقة مع «فرت أيضاً في ميخا ٥ : ٢، راعوث ١ : ٢، ٤ : ١١). و«صردة»، البلدة موطن يربعام في جوار فرت، هي اليوم الصدرة (صدره مع أداة التعريف كما في العبرية)، وهي أيضاً في منطقة الليث. ولا شك في أن الصراع بين يربعام وبيت داود يعود في أصوله إلى تنافس أو نزاع قديم بين أسرتين من زعماء قبائل فِرت وجوارها بوادي أضم، في منطقة الليث، وقد تطور هذا النزاع فيما بعد ليجري على مسرح سياسي أوسع.

وكان يربعام قد بدأ سيرته السياسية في خدمة سليمان، ثم انقلب عليه واضطر الى الهرب الى مصر، حيث طلب اللجوء عند الملك شيشانق الأول ويسمّى في التوراة شوشق وشيشق (انظر الفصل ١١). وبعد موت سليمان، عاد يربعام من مصر الى «يهوذا» ليتحدّى خلافة رحبعام لأبيه سليمان بن داود، وينصّب نفسه ملكاً منافساً على «اسرائيل» (انظر الملوك الأول ١١ : ٢٦ـ ١٢ : ٢٠). ويقول سفر الملوك الأول ان يربعام «بنى شكيم (شكم) في جبل أفرايم («فريم) وسكن بها» (الملوك الأول ١٢ : ٢٥). ومع الأخذ في الاعتبار أن «أفرايم» التوراتية، كما لوحظ سابقاً، هي الوفرين، في منطقة بني شهر في الجوار العام لمنطقة القنفذة، فإن «شكيم» التي بناها يربعام وجعلها عاصمة له (وهي غير «شكيم» سفر التكوين) يمكنها أن تكون سُقَامَة (سقم) الحالية في وادي سقامة، على المنحدرات الجنوبية الغربية من بلاد زهران، وسقامة غير

بعيدة الى الشمال من بني شهر. لكن الأرجح أنها كانت القاسم (**قسم**) الحالية، في منطقة القنفذة[3].

بعد ذلك مباشرة، عمل يربعام على «بناء» (وربما تعني «تحصين») بلدة «فنوئيل» (**فنوءل**، الملوك الأول ١٢ : ٢٥)، التي ربما هي اليوم النفلة (**نفل**) في منطقة الطائف، إلا إذا كانت النَّوْف (**ءل ـ نوف**)، وهو اليوم اسم جبل في بلاد زهران. ولمنع أتباعه من الذهاب للعبادة في «أورشليم»، جعل يربعام لهم مقامات جديدة في «بيت إيل» و«دان» (الملوك الأول ١٢ : ٢٩ وما يلي). و«بيت إيل» (انظر أدناه) هي اليوم البطيلة، في سراة زهران. ولا شك في أن «دان» (**دن**) هي اليوم قرية الدنادنة في تهامة زهران، حيث أن «دنادنة» بالعربية هي جمع النسبة الى اسم المكان الأصلي **دن** (انظر الفصل ١٤).

وبالرغم من أن عاصمته كانت «شكيم»، يبدو أن يربعام سكن أيضاً أحياناً في «ترصة» (**ترصه**، الملوك الأول ١٤ : ١٧)، بجوار مكان آخر أدنى منها يدعى «جِبَّثون» (الملوك الأول ١٦ : ١٧). ولا بد أن «جِبَّثون» (**جبتون**) هذه كانت موقعاً في وادي «النقبات» (**نقبت**) في بلاد غامد. وفي المرتفعات المجاورة لهذا الوادي من جهة الشمال، هناك قرية صغيرة تسمى اليوم الزير (**زر** بلا تصويت). ولعل هذه القرية كانت **ترصه** التوراتية. وجدير بالملاحظة أن المنطقة هناك غنية جداً بالخرائب والآثار.

وقد أقام ملوك «اسرائيل» الذين خلفوا يربعام عواصم لأنفسهم أولاً في «ترصة»، ثم في «يزرعيل» («إزدرايلون» في السبعونية اليونانية)، ثم

---

(٣) ان شيلوه التوراتية (**شله**، وتهجأ أيضاً **شلو** أو **شيلو**)، التي كانت مقاماً تزوره زوجة يربعام (الملوك الأول ١٤ : ٢ وما يلي)، هي اليوم إما آل أم شلوى (**شلو**) في رجال ألمع، أو (وهي الأرجح) أم شَلْوَة (**شلو**) في منطقة القنفذة، مع الأخذ في الاعتبار ان «أم» في الاسمين هي أداة التعريف في لهجة عسير الحالية.

في «السامرة» (الملوك الأول ١٥: ٣٣، ١٨: ٤٥، ٢٠: ٤٣). وكانت هذه الأخيرة، أي «السامرة»، مدينة قام ملوك اسرائيل أنفسهم ببنائها على هضبة قريبة من «يزرعيل» اشتروها من «شمر»، ومن هنا جاء الاسم الذي أعطوها، وهو بالعبرية **شمرون**. و«يزرعيل» (وهي معْرَبة **يزرع ءل**، «ليزرع الله» أو «زرع الله») هي بالتأكيد آل الزرعي (**ءل زرع**) الحالية، في أسفل وادي الغَيْل، الى الجنوب الشرقي من القنفذة. وهكذا، فإن «يزرعيل» هو، ولا شك الاسم القديم لوادي الغيل. وقد افترض علماء التوراة حتى الآن أنه مرج ابن عامر الذي يفصل بلاد فلسطين عن الجليل في الشام، وهو افتراض لا يرتكز على شيء. والأكثر احتمالاً هو أن «شمر» (**شمر**)، المالك الأصلي للهضبة التي بنيت فوقها «السامرة» (**شمرون**)، لم يكن شخصاً، بل قبيلة شمران (**شمرن**)، وقد استمر وجود اسمها في غرب شبه الجزيرة العربية الى يومنا هذا. والأرض الحالية لشمران تضم الأراضي الداخلية من منطقة القنفذة وما يليها شرقاً، وتمتد بلاد شمران هذه عبر الجرف والشق المائي الى وادي بيشة. وكانت «السامرة»، بلا شك، ما هو اليوم قرية شمران في منطقة القنفذة، على مسافة ما صعوداً من آل الزرعي، أو «يزرعيل». وللحقيقة، فإن شمران الحالية تقوم مميزة على هضبة وحدها، تماماً كما هي موصوفة في التوراة، وقد عاينتها بنفسي.

ولا ضرورة هنا إلى الغوص في كل أسماء الأمكنة التوراتية الواردة باعتبارها تخص ملوك «اسرائيل»، لاظهار كيف أن هؤلاء الملوك، ومنافسيهم ملوك «يهوذا»، فرضوا سلطتهم في مناطق كثيرة على بلدات وقرى متجاورة في عسير وجنوب الحجاز. بل يكفي تبيان كيف أن معظم المواقع التي قام رحبعام بن سليمان بتحصينها للدفاع عن مملكته «يهوذا» ما زالت مستمرة في الوجود بأسمائها التوراتية الأصلية في مناطق تمتد من جوار القنفذة باتجاه الشمال، حيث كانت توجد المراكز الرئيسية لملوك «اسرائيل» (انظر سفر أخبار الأيام الثاني ١١: ٦ ـ ٩). وهذه هي لائحة

بالمواقع المذكورة:

١ـ «بيت لحم»، حددت قبلاً بكونها أم لحم في وادي أضم، في منطقة الليث (انظر أعلاه).

٢ـ «عيطام» (**عيطم**)، ربما هي غُطْمَة، في منطقة الليث (وهناك ثلاث «عيطامات» أخرى ممكنة في عسير الجغرافية).

٣ـ «تَقوع» (**تقوع**، على وزن «تفعل» من **قوع**): وَقيعة (**وقعت** بلا تصويت) في وادي أضم. وربما كانت يقعة (**يعقت**) أو القعوة (**قعوت**) في رجال ألمع.

٤ـ «بيت صور» (**بيت صور**، «بيت» أو«معبد» **صور**): ربما آل زهير في منطقة بلّسمر، لكن المرجّح أن تكون الصّار (صر) أو الصّور (صر) في منطقة الليث، أو الصّور أو الصّورى (صر) في منطقة القنفذة.

٥ ـ «سوكو» (**سوكو**): المرجح أنها سيكة (**سك**) في منطقة الطائف. والاحتمالات الأخرى تشمل الساق (**سق**) والسوقة (سق) في وادي أضم.

٦ـ «عَدُّلاَّم» (**عدلم**): الدعالِة (دعلم بلا تصويت) في منطقة الطائف. وهناك معيدل (معدل بلا تصويت) في منطقة أبها.

٧ـ «جَتّ» (جت): غُطيط (**غطط**) في تهامة زهران وأخرى في وادي أضم، أو القطيط (**قطط**) في وادي أضم، أو القطيطة (**قطط**) في منطقة القنفذة.

٨ ـ «مَريشَه» (**مرشه**): المَشار (**مشر**) في منطقة بني شهر، أو المَشاري (**مشر**) في منطقة القنفذة، وهذه غير بعيدة عن شمران. وهناك احتمالات أخرى لكنها غير مرجحة جغرافياً.

٩ ـ «زيف» (**زيف**): الصيفا (**صيف**) في منطقة القنفذة،

ويحتمل أيضاً أن تكون صيافة (صيف) في منطقة النماص.

١٠ - «أدورايم» (ءدوريم، تصوت عادة كمثنى ءدور): الدارين (مثنى «دار» بالعربية)، وهي اسم لثلاث قرى في منطقة الطائف ولقرية في مرتفعات زهران.

١١- «لَخيش» (لكيش): بالتأكيد ليست تل الدوير الفلسطينية (أنظر الفصل ٥). وترابط المكان مع «جبعون» و «مجدّو» و«حبرون» و«عجلون»، التي هي اليوم آل جِبعان ومقدي والخِربان وعجلان في منطقة القنفذة وجوارها العام، يشير بشكل مميز إلى آل قَياس (ءل قيس) أو قَيَاسة (قيس) أو بني قيس (قيس) في الجوار ذاته.

١٢- «عزيقة» (عزقه): العزقة في منطقة القنفذة.

١٣- «صَرْعَة» (صرعه): بين احتمالات عديدة، الأرجح هي الزرعة في تهامة زهران.

١٤ - «أيَّلون» (ءيلون): إما أليان (ءلين) في منطقة الليث، أو أيلاء (ءيل) في منطقة القنفذة. واسم الأولى هو المطابق تماماً للاسم التوراتي.

١٥ - «حبرون» (حبرون): الخِربان (خربن) فِي منطقة المجاردة (انظر الفصلين ٩ و١١).

من الواضح أن مملكتي «اسرائيل» و«يهوذا» كانتا ترتبطان الى حد ما على الأقل بأرض واحدة، وأنهما ضمتا شعباً واحداً مقسوماً في ولائه بين ملوك بيت داود في آل شريم (أي «أورشليم»)، وزعماء آخرين من أسرٍ مختلفة تعاقبوا على الحكم في «شكيم» (القاسم؟) و«ترصه» (الزير؟) ثم في «السامرة» أي شمرون (وهي شمران)، فانكروا على بيت داود

مشروعية حكمهم، كلّ بدوره، واطلقوا على انفسهم لقب «ملوك اسرائيل». وجنباً الى جنب مع الانقسام السياسي، كان هناك انقسام ديني بين المذهب «اليهودي» الذي تمسّك به ملوك «يهوذا»، والبدعة «السامرية» التي نشأت بين اتباع ملوك «اسرائيل». وقد تطوّرت عبادة الربّ **يهوه** بين يهود «يهوذا» الى دين توحيدي مصقول ومنفتح لا يقتصر على شريعة موسى كما وردت في التوراة فحسب، بل يأخذ في الاعتبار ايضاً تعاليم الانبياء المتأخرين (الـ **نبيءيم**) الذين نشطوا في ظلّ مملكة «يهوذا». وقد شهد النفوذ الديني لهؤلاء الأنبياء مقاومة من قبل ملوك «اسرائيل» وأتباعهم، الذين يبدو أن مفهومهم لعبادة **يهوه** بقي قبلياً، ومن هنا جاء استعدادهم للقبول بألوهية آلهة القبائل والشعوب الأخرى التي عاشوا بينها. وهذا ما تؤكده الأسفار التاريخية من التوراة.

وليس موضوع البحث الذي نناقشه هنا مسألة كيفية تطور نزعة «اسرائيل» الدينية الى «سامرية» الأزمنة اللاحقة، ويكفي القول بأن السامريين، كطائفة، استمروا في تسمية أنفسهم **بني يسرءل**، أي «شعب اسرائيل»، أو **هـ - شمريم**. وهذا الاسم الأخير يؤخذ عادة على أنه يعني «الحرّاس» (بمعنى «اليقظين»)، ولكنه يعني عملياً «أهل شمر». والاشارة في الاسم هي الى أراضي شمران القبلية القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية التي ما زالت موجودة هناك باسمها. ويطلق اليهود على السامريين إسم **هـ - شمرونيم**، أي أهل **شمرون** وهي «السامرة» التي كانت ذات يوم عاصمة ملوك «اسرائيل» وقد استمرت في الوجود كقرية شمران في غرب شبه الجزيرة العربية كما سبق.

وعندما انتشرت عبادة **يهوه**، بطريقة أو بأخرى، من غرب شبه الجزيرة العربية الى فلسطين وغيرها من بلاد الشرق الأدنى، فعلت ذلك بصيغتيها اليهودية والسامرية، خصوصاً في فلسطين. وهناك أقام السامريون لأنفسهم «سامرة» جديدة فيما هو اليوم سبسطية، بالقرب من

مدينة نابلس الحديثة. وهناك عرَّف السامريون هضبتين محليتين بأنهما جبل «جرزيم» (جرزيم) وجبل «عيبال» (عيبل) التوراتيين، وقالوا بقدسيتهما. والنصوص التوراتية التي تتحدث عن هذين الجبلين تعطي الانطباع بأنهما كانا شديدي القرب واحدهما من الآخر.

ويأتي ذكر جبل «جرزيم» وجبل «عيبال» في يشوع ٨: ٣٣ بعد الحديث عن فتح الاسرائيليين لـ يريحو و هـ - عي («أريحا» التي هي «الرَّخْيَة» الحالية في وادي أضم، انظر الفصل ٧، و«عاي» التي هي اليوم عوياء، وهي عي بلا تصويت ،في منطقة الطائف، وليس الغيّ في رجال ألمع، أنظر الفصل ٧ و١٣). أما بيت ءل، أو «بيت إيل»، المترافقة مع هـ - عي في هذا السياق، فهي البطيلة في سراة زهران، الى الجنوب من عوياء، وليست البتيلة في رجال ألمع. والبطيلة هذه تسيطر على واحد من المعابر الرئيسية للجرف (أو الـ يردن، انظر الفصل ٧) في المنطقة. واستناداً الى سفر التثنية ١١ : ٣٠، فإن جبل «جرزيم» وجبل «عيبال» كانا يقعان «عبر الـ يردن وراء طريق غروب الشمس». ونزولاً من البطيلة على المنحدرات الغربية لبلاد زهران توجد القمتان التوأمان لجبل شدا وهما شدا الأعلى وشدا الأسفل. ولا بدّ أن شدا الأعلى هو «جرزيم» التوراتي، وما زال هذا الاسم موجوداً على سفحه في قرية صُقْران (صقرن، محرفة باستبدال الأحرف عن جرزيم، مع تعريب لاحقة الجمع العبرية في الصيغة الحالية للاسم). أما شدا الأسفل، فلا بدّ انه جبل «عيبال» التوراتي، وهو اسم غير موجود هناك عملياً، ولكنه ما زال حياً في الجوار الأوسع لتهامة زهران، كما في وادي عُلْيَب، وكذلك في قرى العبالة، والعبلاء، والعبلة، والقرية والربوة الرملية المسماة البِلْعَلاء (بلعل) حيث هنالك أيضاً قرية تسمى اللعباء (لعب). ولم يكن لربوة البلعلاء الرملية أن تكون جبل «عيبال» التوراتي لأنها تقع شرق الجرف والطريق وليس غربهما.

واستناداً الى التثنية ١١ : ٢٩ ، فإن جبل «جرزيم» كان الجبل الذي باركه الاسرائيليون، وجبل «عيبال» هو الجبل الذي لعنه الاسرائيليون. والواقع أن جبل شدا الأعلى هو جبل كثير الخصوبة «يزرع فيه الحنطة والشعير إضافة الى البنّ والموز والخوخ والرمان والتفاح والبرتقال، الى جانب نبات أشجار العرعر والزيتون والحناء وأنواع الرياحين» (والكلام لعلي بن صالح السلوكي الزهراني). أما شدا الأسفل فهو جبل قاحل «لا يوجد به شيء من نباتات السراة كجبل شدا الأعلى». وفي سفر القضاة ٩ : ٧ جاء ذكر جبل «جرزيم» مترافقاً مع «شكيم» (شكم). وهذه الأخيرة هي اليوم قرية سقامة (سقم) في وادي سقامة، الذي يجري عند السفح الشرقي لجبل شدا الأعلى. وعلى هذا الجبل نفسه (انظر الفصل ٧ ، الهامش ٥) هناك «مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديداً» (يشوع ٨: ٣١، قارن مع التثنية ٢٧ : ٢ ـ ٨). وهناك مذابح أخرى مماثلة لهذا يمكن العثور عليها في أجزاء أخرى من بلاد زهران، أحدها ما زال يحمل كتابة منقوشة لم تفك رموزها بعد (قارن مع يشوع ٨ : ٣٢). وقد نظر أهل عسير واليمن تقليدياً الى المذبح الموجود على جبل شدا الأعلى (أي جبل «جرزيم» التوراتي) كمقام له قدسية خاصة، وهو يسمّى «مصلّى ابراهيم». ويفيد السلوكي الزهراني أن هذا المصلّى الحجري «كان يفد اليه يمنيون»، وأن هؤلاء كانوا «لا يمرّون بالقرى بل يتوجّهون اليه ويبقون عند هذا المصلّى أيّاماً، ويعودون الى بلادهم». وقد توقّفت هذه الزيارات التقليدية لمصلّى شدا الأعلى في العصر الحاضر.

هذا بالنسبة الى التعرّف الى «جرزيم» و«عيبال» في تهامة زهران. ومهما كان شأن الهضبتين المقدستين لدى السامريين الفلسطينيين في نابلس، فانهما بالتأكيد ليستا جبل «جرزيم» وجبل «عيبال» المذكورين في التوراة.

١١ ـ مسار حملة شيشانق

إن للتوراة العبرية من الأهمية بالنسبة للانسان الغربي المعاصر ما جعل التاريخ القديم للشرق الأدنى بأسره يُدرس في ضوئها، وإلى حدّ كبير بهدف اثبات تاريخية مضمونها. وهكذا فإن سوء التأويل التقليدي للجغرافيا التوراتية قد نتج عنه سوء تأويل للجغرافيا التاريخية للشرق الأدنى القديم عموماً. وفي الفصل ٥ من هذا الكتاب بعض الأمثلة الفاضحة على ذلك. وفي هذا الفصل عرض كامل لسوء التأويل الذي تعرّضت له السجلات الطوبوغرافية المصرية المتعلقة بحملة شيشانق الأول ملك مصر (حوالي ٩٤٥ ـ ٩٢٤ قبل الميلاد) ضد مدن «يهوذا»[١]،

---

* Sheshonk بالانكليزية، بناءً على التهجئة المصرية القديمة ششنق، وعلى التهجئة المصوتة سوسينقو وشوشنقو في الكتابات المسمارية. وفي التوراة المترجمة إلى العربية ورد الاسم على أنه «شيشق». وفهرس أعلام «المنجد» يورده على أنه شيشانق (المترجم).

(١) حول هذه السجلات، انظر:

J. Simons, **Handbook for the study of Egyptian topographical lists relating to Western Asia** (Leiden, 1973), pp. 178 - 187.

وقارن مع:

K. A. Kitchen, **The third intermediate period in Egypt, 1100 - 650 B. C.** (Warminster, 1973), pp. 293 - 300, 432 - 447.

وفي الكتابين مراجعة لما كتب في الموضوع حتى اليوم. وفي هذا الفصل سأقوم بنقل تهجئة الأحرف الساكنة المصرية لأسماء الأمكنة المدرجة في جداول شيشانق اعتماداً، بالتقريب، على النظام نفسه الذي اتبع في نقل أسماء الأمكنة بالعبرية والعربية، لتسهيل الأمور أمام القارىء العادي. أما بالنسبة إلى شيشانق الأوّل، فهو من ملوك الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصر في القدم.

وهي حملة تورد لها التوراة العبرية ذكراً موجزاً في روايتين مختلفتين (الملوك الأول ١٤ : ٢٥-٢٦ ، وأخبار الأيام الأول ١٢ : ٢-٩) . وقد جرت دراسة أسماء الأماكن المدرجة في جداول حملة شيشانق حتى الآن على أساس الافتراض بأنها تشير إلى مواقع في فلسطين أخضعها شيشانق، أو مرّ بها، خلال حملته على بلاد «يهوذا». وقد لجأ الباحثون إلى أساليب ملتوية في معالجتهم لهذه الأسماء في تهجئتها المصرية الواضحة، لجعلها تتطابق مع المشهد الفلسطيني، افتراضاً منهم بأن المصريين القدماء لم تكن لهم القدرة على نقل هذه الأسماء الساميّة إلى لغتهم بدقة. والواقع هو أن لغة المصريين القدماء لم تكن بعيدة عن الساميّة، ولم يكن لدى هؤلاء المصريين أية صعوبة في ضبط أسماء الأماكن الساميّة بشكل واضح في كتابتهم. لكن هذه الأساليب الملتوية من قبل الباحثين لم تفِ بالغرض المطلوب، وبقي التطابق بين أسماء الأماكن المدرجة في جداول شيشانق وخريطة فلسطين قسرياً، مما أثار وما يزال يثير الجدل العقيم حول الموضوع. وفي هذا الفصل سنبين كيف أن هذه الأسماء، كما جاءت في التهجئة المصرية على علّاتها، تطابق تماماً خريطة غرب شبه الجزيرة العربية وتوضح مسار حملة شيشانق هناك الى حدّ مدهش. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن دراسة الجداول المصرية الطوبوغرافية الأخرى، وكذلك الجداول الطوبوغرافية الآشورية والبابلية، يمكنها أن تعطي النتائج نفسها (أنظر، مثلاً، التعليقات الواردة حول «كرشيمش» و«كركرة» في الفصل ١ الهامش ١٢ ، وكذلك حول فتوحات سرجون الثاني ورسائل العمارنة في الفصل ٥).

الروايتان التوراتيتان لحملة شيشانق (**شوشق أو شيشق** بالعبرية) ضد «يهوذا» لا تعطيان أية تفاصيل جغرافية. والرواية الأطول منهما (رواية سفر أخبار الأيام الثاني ١٢ : ٢ - ٩) تفيد ببساطة ان الملك المصري وصل بجيش كبير، «وأخذ المدن الحصينة التي ليهوذا وأتى إلى أورشليم»، من دون أن يأخذ عملياً هذه المدينة. ويظهر أن ملك

«يهوذا»، الذي كان رحبعام بن سليمان، تمكن من إقناع الغازي بالعدول عن أخذ «أورشليم» باعطائه «خزائن بيت الرب (أي المعبد) وخزائن بيت الملك». وهذا ما قد يفسر عدم ظهور «أورشليم» بين الأسماء القابلة للقراءة في جداول شيشانق. وربما كان الاسم قد ظهر أصلاً في الأجزاء الضائعة أو المشوّهة من هذه الجداول.

ويظهر أن شيشانق عبر البحر الأحمر، ونزل إلى اليابسة على ساحل الحجاز قرب بلدة الليث. ومن هناك تابع صاعداً ليخضع ستة أمكنة في منطقة الليث وبلاد زهران ومنطقة الطائف (الأرقام ١١ ـ ١٦ في جدول شيشانق الأكبر في معبد آمون في الكرنك). وأربعة من أسماء هذه الأمكنة ما زالت مقروءة بوضوح، وهي:

١٠ ـ **مططع**: مطيع (مطع بلا تصويت) في وادي أضم، أو المتعة (**متعت**) في وادي الجائزة الى الجنوب من وادي أضم. والأولى هي المرجّحة.

١٣ ـ **ربت**: الرِّباط (**ربط** بلا تصويت) في تهامة زهران، أو الرِّباط في وادي الشاقّة، إلى الجنوب من الأولى.

١٤ ـ **تعنكي**[٢]: «تعنك» (**تعنك**) التوراتية، وهي اليوم الكعنة (**كعنت**) في تهامة زهران[٣].

---

(٢) أن اللاحقة يء في هذا الاسم، كما في غيره من الأسماء التالية، تبدو وكأنها كانت تقوم أحياناً مقام هاء التأنيث في العبرية (والتاء المربوطة بالعربية، أنظر «الملاحظات اللغوية» في بداية الكتاب). وكما لوحظ سابقاً، فان عدداً من اسماء الأماكن التوراتية التي تحمل هذه اللاحقة ما زال موجوداً حتى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية في صيغة المؤنث المضافة فيها لاحقة التاء المربوطة. ولعل هذه اللاحقة كانت تلفظ أحياناً بالتاء وليس بالهاء في الأصل.

(٣) في سفر القضاة ١: ٢٧ و٥: ١٩ ـ ٢١، تأتي «تعنك» هذه مترافقة جغرافياً مع «بيت شان» (**بيت شءن**) و«دور» (**دور**) و«يبلعام» (**يبلعم**) و«مَجدُّو» (**مجدو**) و«نهر قيشون» (**نحل قيشون**). ومن هذه الأماكن الخمسة تبقى «يبلعام» وحدها غير محددة بقرية ما في =

١٥ ـ **شنميء**(٤): مَشْنِيَّة في سراة زهران.

١٦ ـ **شنريء**: شريان من قرى بني مالك، أو شريان من قرى ميسان، وكلاهما في منطقة الطائف.

ثم عاد شيشانق من سراة زهران ومرتفعات الطائف إلى تهامة زهران أو إلى وادي أضم، حيث استولى على مكان آخر هو التالي:

١٧ ـ **رحبيء**: وادي رَحْبَة، وهو تجمع قرى في تهامة زهران، أو الرُحْبَة في وادي أضم، والمرجّح جغرافياً أنها الأولى. ولعلّها أيضاً الرحبة في منطقة القنفذة.

بعد ذلك، تابع شيشانق سيره باتجاه الجنوب إلى وسط أراضي «يهوذا»، في منطقتي القنفذة والبرك، ويمكنه أن يكون قد اتبع في سيره إما الطريق الساحلية أو تلك التي تسير بمحاذاة الخط الأول للهضاب. وقد توقف شيشانق هنا وهنالك في هذه المرحلة من حملته ليقوم بغزو المناطق الجبلية صعوداً باتجاه السراة (انظر الخريطة). ومن بين المواقع السبعة عشر التي أغار عليها في هذه المناطق، هناك خمسة عشر اسماً ما زالت مقروءة، ويمكن تحديدها بدرجات مختلفة من اليقين وهي:

١٨ ـ **حفرميء (مُعْرَبَة حفر ميء)**: الحَفَر (حفر) محددة بالنسبة

= جنوب الحجاز. وهي يمكن أن تكون بِلعوم (بلعم بلا تصويت) التي هي اليوم واحة في منطقة القصيم، على مسافة ما إلى الشمال الشرقي من الطائف. والأماكن الأربعة الأخرى، وكلها في منطقة الطائف، هي اليوم قرى الشَّنْيَة (شن)، وأي من قرى عديدة تسمى الدار (در)، والمَغْدَة (مغد) وقيسان (قيسن). وتَعْنُق المذكورة في الكتابات الجغرافية العربية لا يمكنها أن تكون «تعنك» التي هي قيد البحث لأنها تشير إلى موقع في شمال الحجاز وليس في جنوبه، مما يجعلها بعيدة جداً إلى الشمال.

(٤) ليست هي «شونم» (شونم) المقترحة توراتياً حتى الآن، والتي يحتمل أن تكون اليوم سَنُومَة في رجال ألمع، أو نَشَام وربّما النَشيم (بقلب الأحرف) في منطقة جيزان، أو ذي نِشَام (أيضاً بقلب الأحرف) في منطقة بلّسمر، بغضّ النظر عن الاحتمالات الأخرى، وهي كثيرة

إلى المُوَيه (**مويه**)، في جوار القنفذة، لتمييزها عن مواقع أخرى كثيرة اسمها حَفَر أو الحفر في المنطقة نفسها وفي مناطق أخرى(٥). والحفر المذكورة هي حالياً من قُرى إمارة المُوية التابعة إدارياً لمنطقة مكّة المكرّمة.

١٩ ـ **يدرم**، تقرأ أيضاً ءدرم: المَرْدَاء (**مردء**) في منطقة المجاردة.

٢١ ـ **شود**: الظاهر أنها الدِيش في منطقة حلي. وقد تكون السودة في منطقة بارق، أو السودة في منطقة القنفذة، في جملة امكانات أُخرى.

٢٢ـ **محنم**: «محنايم» (**محنيم**) التوراتية، وهي اليوم قرية أم مَناحي (بصيغة الجمع، كما بالعبرية) في منطقة القنفذة(٦).

٢٣ ـ **قبعن**: آل جُبعان، وهي «جبعون»(**جبعون**) التوراتية في منطقة المجاردة.

٢٤ ـ **بت ح(و)رن**: الرَّوحان (**روحن** بلا تصويت)، وهي «بيت حورون» (**بيت حورون**) التوراتية، في منطقة القنفذة، إلا إذا كانت هذه الأخيرة خَيْران (**خيرن**) في وادي أضم.

٢٥ ـ **قدتم**: لا يمكن تحديدها بسهولة، وربما كانت الغِمَدَة (**غمدت**)، في سراة غامد، أو ذروة آل دغمة (**دغمت**)،

---

(٥) ليست هي «حفارايم» (حفريم، يشوع ١٩ : ١٩) المقترحة توراتياً والتي يجب أن تكون اليوم الحرفان (مثنى حرف، كما في العبرية حفريم هي مثنى حفر) في رجال ألمع.

(٦) الاسم العبري يعني الـ «مخيمين»، أو (مع فارق في التصويت) الـ «مخيمات». وقد يكون الاسم العربي الحالي لهذا المكان محاولة لترجمة الاسم اكثر منه تحريفاً، باعتبار أن الكلمة العربية مَناحي هي جمع منحى، التي تعني «مخيم».

في رجال ألمع.

٢٦ ـ **يير ن**: الرَّون في منطقة حلي[٧].

٢٧ـ **مكديء**: مقدي في منطقة القنفذة، وهي إحدى الأماكن الثلاثة المسماة في التوراة مَجدّو (**مجدو**)، والإثنتان الأخريان هما المغدة في منطقة الطائف (انظر أعلاه، الهامش ٣) وشعيب المقدة (أي «وادي» **مقد**) في وادي أضم.

٢٨ ـ **يدر**: وَذْرَة في منطقة بني شهر.

٢٩ ـ **يد همرك** (مُعْرَبَة هـ ـ مرك): ان يد في الاسم مشهودة بالعبرية على أنها تعني «الوادي» (**ود** بلا تصويت). وهـ ـ مرك، مع أداة التعريف العبرية، هي اليوم المَراكَة (**مرك** بلا تصويت، مع أداة التعريف العربية) في وادي العرضية الشمالية من منطقة القنفذة. ولعلّ مرك كان الاسم الأصلي لهذا الوادي، أو اسم لأحد روافده حيث تقع اليوم قرية المراكة.

٣١ـ **حنم** وتقرأ أيضاً حءيءنم: حَوْمان (**حومن** أو **حمن** بلا تصويت) في منطقة القنفذة، أو آل حَوْمان في منطقة بلّسمر، أو حَوْمان الظهرة في منطقة محايل.

٣٢ ـ **عرن**: عَرين (**عرن** بلا تصويت)، وهي «عِرَنْ» (**عرن**) التوراتية في منطقة القنفذة، إلا إذا كانت هذه الأخيرة هي

---

(٧) ليست «أيلون» (ءيلون) المقترحة توراتياً حتى الآن، والمحددة في الفصل ١٠. وقد قرئت يير ن حتى الآن على أنها «أيلون» لأنّ حرف اللام غير وارد في الكتابة المصرية القديمة، وقد يستعاض عنه بحرف الراء أو بحرف النون، كما سبق. والواقع أنه هناك رون في منطقة حلي، وهناك أليان (ءلين) في وادي الجائزة، في غرب شبه الجزيرة العربية، واسم رون هو الأقرب من التهجئة المصرية يير ن. وعلى كلّ حال، ليست هناك ء يلون في فلسطين.

آل غُرَّان (غرن بلا تصويت) في منطقة بني شهر.

٣٣ ـ برن وتقرأ أيضاً برم: البَرْمَة في منطقة القنفذة، إلا إذا كانت بُرَّان (برن بلا تصويت) في تهامة زهران.

٣٤ ـ ذت فتر وتقرأ أيضاً ذ دفتر[٨]: هي إما الفَتْرَة (ءل ـ فتر أي «إله» فتر) في رجال ألمع، أو الدَّفرة (مقروءة ءل ـ دفرت) في منطقة قنا والبحر، إلا إذا كانت الاشارة هنا إلى الدفرة الأخرى في جبل فَيْفا من منطقة جيزان (انظر أدناه).

ويجب أن يكون شيشانق قد عبر الجرف في هذه المرحلة بالذات من حملته وتقدم للهجوم على آل شريم في منطقة النماص، وهي «أورشليم» المقترحة في هذه الدراسة، من دون أن يدخل المدينة. وعندما وصل إلى ذت فتر أو ذ دفتر، كان شيشانق قد أصبح فعلاً في طريقه إلى الجنوب للقيام بعملية اكتساح سريعة في منطقة جيزان، أو ربما كان فعلاً قد وصل إلى هناك (انظر الرقم ٣٤). والأماكن الأربعة التي لا بد أنه أخضعها في منطقة جيزان كانت التالية:

٣٥ ـ يحم: وَحْم في ناحية المَسارِحَة.

٣٦ـ بت عرم: عُمَرْ (بقلب الأحرف)، والاسم الكامل هو «قرية عمر مقبول»، في ناحية المَضَايا. والواضح أن بت (أي «بيت» أو «مكان إقامة») في الإسم الأصلي قد عُرِّبت

(٨) الـ ذت («ذات» بالعربية) أو ذ («ذو» المرفوعة بالعربية) في هذا الاسم وفي الأسماء الأخرى تعنى «إلهة كذا» (المؤنث ذت) أو «إله كذا» (المذكر ذ). وفي الصيغة العربية للاسم تظهر هذه الأداة عادة بشكل «آل» أو «أل»، وهذه الأخيرة لا تقرأ في الحالة كأداة تعريف بل ككلمة مستقلة تعنى «إله». ومن الواضح أن «آل ِ» في اسماء الأماكن في غرب الجزيرة العربية هي استمرار للفظة السامية القديمة التي تعني «إله» أو «الله»، وليست آل بمعنى «أهل» كما يظنّ.

إلى «قرية» في الاسم الحالي.

٣٧ـ **كجري**: غَرْقَة (**غرق**، مع قلب الأحرف) في ناحية أبو عريش، ويظهر أنها موطن «العَرقيين» (**عرقي**، وهي النسبة الى **عرق**) المذكورين في سفر التكوين: ١٠: ١٧. وقد أخذت هذه الأخيرة حتى الآن على أنها عرقا في شمال لبنان، في أراضي طرابلس الداخلية.

٣٨ ـ **سيك**: الكوس في ناحية المَسارِحَة، أو كيسة في ناحية العارِضَة.

وفي طريق عودته من منطقة جيزان، توقف شيشانق في **بت تفو(ح)** (رقم ٣٩)، وهي «بيت تَفُّوح» أو **بيت تفوح** التوراتية (يشوع ١٥: ٥٣). والموقع هو اليوم قرية الفاتح (**فتح**) في منطقة قنا والبحر. ومن هناك تابع شيشانق عودته مباشرة إلى وادي أضم، في منطقة الليث، حيث أخضع الأماكن التالية:

٤٠ ـ **يبريء**: وَبير.

٤٥ ـ **بت ذبي**: ذو ظبي، وقد تكون أيضا ذوي ظبي في منطقة الطائف.

٥٥ ـ **فء كتت**: «جوار» القطيط (**قطط** بلا تصويت)[٩].

٥٦ ـ **يدميء**: الدومة، أو دويمة، والمرجّح أنها الثانية.

٥٨ ـ **(م) جدر**: مَقْذَر.

٦٧ ـ **ينمر**: نَمِرْة (**نمر**)، إلا إذا كانت نَمِرَةْ أخرى في تهامة

---

(٩) فء هنا، كما في أسماء أخرى في جداول شيشانق، هي الكلمة العربية فَيْء التي تعني «منطقة، جواراً»، قارن مع العبرية فه، «هنا، قريب، في هذا الجانب». ويبدو أنها كانت تعني أيضاً «وادي» (انظر رقم ١١٨ أدناه).

غامد، أو نَمِرْ في تهامة زهران، إلى الجنوب من وادي أضم.

٧٤ - (خ) **بري**: الخَبيرة.

٧٨ - **عذيت**: العَضْيَة (**عضيت**).

١١٢ و١١٩ - **يرحم**: الرَّحم، ويظهر أنها غزيت مرتين.

١٣٣ - **ير(يء)**: وَرْيَة، وهي «يورة» (**يوره**) التوراتية (انظر الفصل ٨).

وفي أثناء قيامه بهذه الفتوحات في وادي أضم، عبر شيشانق جرف السراة عند وادي بقران ليخضع **فتيشيء** (الرقم ٦٩)، وهي اليوم الشطفة في منطقة الطائف، **وير هرر** أو **ءر هرر** (رقم ٧٠)، وهي اليوم آل يرار في منطقة بني عمرو من سراة عسير.

وخارج وادي أضم، أخضع شيشانق في الوقت ذاته المواقع التالية في نواحٍ أخرى من منطقة الليث وتهامة زهران المحاذية لها إلى الجنوب:

٥٤- (ق) **دشت**: كَديسة (**كدست** بلا تصويت)، من قرى الشاقة اليمانية.

٥٧ - **ذمرم** (مُعْرَبة **ذ مرم**): آل مَرْيَم (**ءل مريم**، «**مَيْروم**» التوراتية، أو **مروم**، يشوع ١١ : ٥ و٧)، من قرى وادي يحر في تهامة زهران.

٥٩- **يريديء**: يريدَة، من قرى الشاقة اليمانية.

٧٢ - **يبرم**: البريمة، في جوار بلدة غُمَيْقة.

٨٩ - **هق(ق)** (مُعْرَبة **هـ - قق**): القُوقاء (**قق** بلا تصويت، مع أداة التعريف العربية)، في جوار بلدة غُمَيْقَة.

ويبدو أن شيشانق صعد إلى السراة في تلك الأثناء وأخذ آل يرار (ءر هـ ـ رر، رقم ٧٠)، وتدعى أيضاً الظفيرة، في منطقة بني عمرو (والـ «آل» في الاسم كتبت ءر لأن حرف اللام غير موجود في الأبجدية المصرية القديمة، ويستعاض عنه بالراء أو بالنون). وفي منطقة الطائف استولى شيشانق على المواقع التالية:

٦٠ ـ **فـء عمق**: وادي عَمْق.

٧٦ ـ **وركيت**: الوِراق (جمع ورق بالعربية، قارن مع **وركيت** كجمع مؤنث لـ **ورك**).

٨٠ ـ **ذفكيء** (مُعْرَبة **ذ فكيء**) تقرأ أيضا **ذفـك** (**ذ فك**): آل فقيه، إلا إذا كانت الفقيه في وادي أضم.

٨٦ ـ **تشدن(و)**: الشَدَنَة (**شدنت**)، إلا إذا كانت الدَشْنَة (**دشنت**، بقلب الأحرف) في وادي الجائزة من منطقة الليث.

٨٨ ـ **شنيء**: الشَنْيَة.

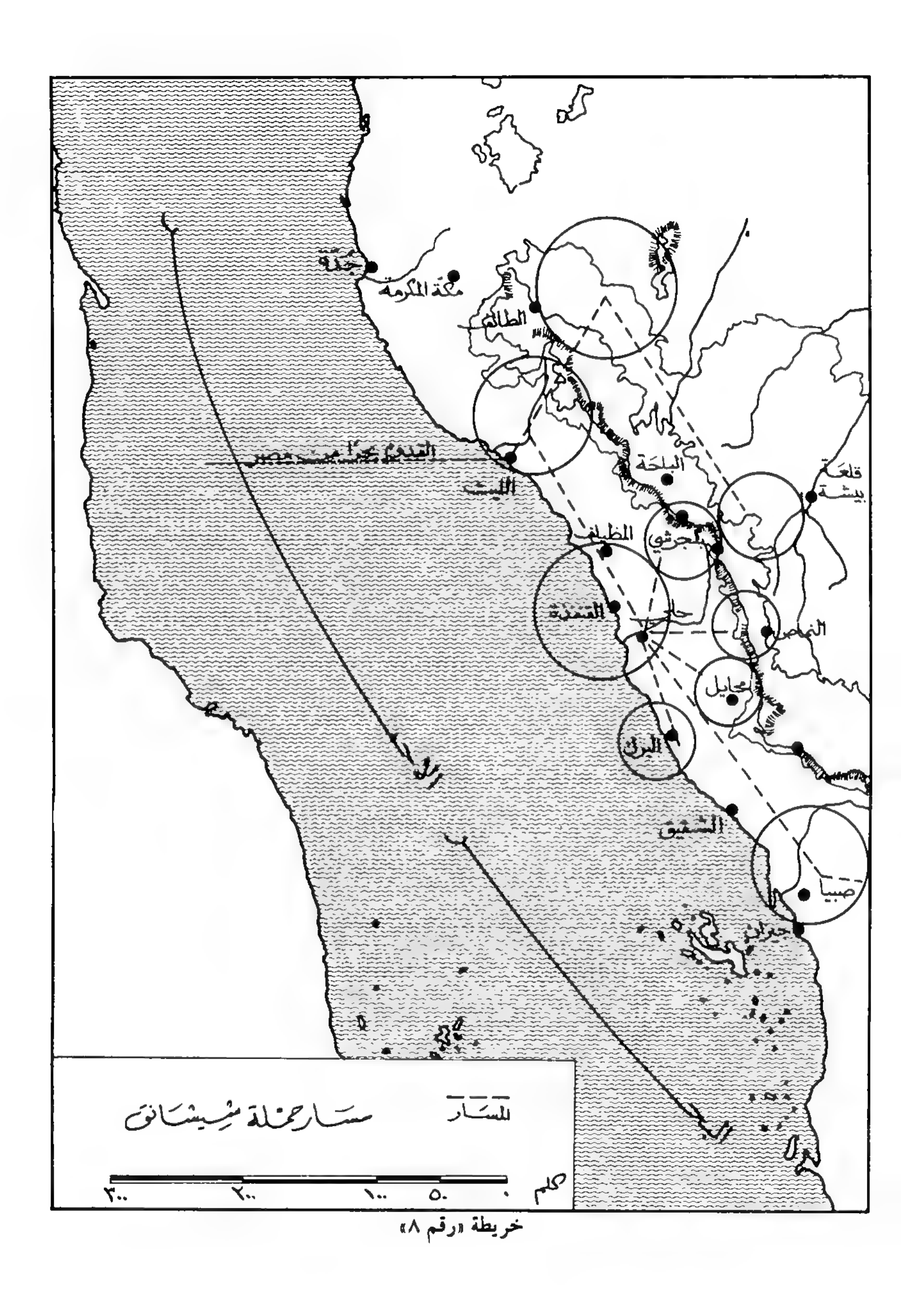
٩١ ـ **وهت وركيء**: الوَهَطْ، وهي معرّفة بالنسبة إلى قرية الرَّقّة المجاورة لتمييزها عن وَهَط أخرى في منطقة بلّسمر في عسير.

٩٣ ـ **يشحت**: وادي الشُحوط.

٩٥ ـ **حنميء**: آل حومان (حمن بلا تصويت).

٩٩ ـ **حني**: حَنانَة.

١٠٧ ـ **حقرم**: المِحْرَق، احدى قريتين تحملان الاسم نفسه في الجوار نفسه، وهو ناحية الشّفا.



جدة
مكة المكرمة
الطائف
القدوم بحراً من مصر
الليث
الباحة
قلعة بيشة
الجرشي
الظلف
حلي
النماص
محايل
البرك
صبيا
جيزان
المسار
مسار حملة مشيشانو
كلم ٠ ٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠

خريطة «رقم ٨»

١٠٨ و١١٠ ـ **عرديء**: عَرَدَة.

١١١ـ **نبت**: النَبـاة (**نبت بلا تصويت**)[١٠]، إلاّ إذا كـانت ذا النبث في وادي أضم.

١١٨ ـ **فـء(؟) بيء**: وادي بُواء.

١٥٠ ـ **يـردن**: الـدارَيْن (**درين بـلا تصـويت**، ولـيسـت «الأردن»، انظر الفصل ٧): أي من ثلاث قرى بـالاسم نفسه، إلا إذا كانت الدارَيْن في سراة زهران.

ويمكن تحديد أماكن أخرى غزاها شيشانق في شمال عسير وجنوب الحجاز. وعلى العموم، فانه يكفي القول أنه يظهر ان الغازي المصـري اندفع بغزواته شرقاً حتى حَرَّة البُقوم حيث أغار على **يبر** (رقم ١٢٢) التي هي اليوم واحة الـوَبْر بمنـطقة تُـرَبَة. والـواضح أيضـاً أنه اتجـه جنوبـاً من سراة زهران ليغير على **شرنريء** (رقم ١٠٤، المعْرَبة **شر نـريء**). والموقع هذا هو وادي شُرا (**شر بلا تصويت**)، من روافد وادي رنيـة، وقد عُرِّف في سجل شيشانق على انه **شر نريء**، أي «شُرا رنيـة». وقد وصل شيشانق في غزواته الداخلية إلى وادي بيشة، جنوب وادي رنية، حيث أخضع **يرقد** (رقم ٩٧) التي هي اليوم آل قِراد (**قرد بلا تصويت**)، وقـام بهجومين على **يـدمم** (الرقمـان ٩٨ و١٢٨) التي هي اليوم وادي أَدَمَة (**ءدم**)، وأخذ **ينن** (رقم ١٤٠) التي هي اليوم وَنَنْ.

وفي مقدمة جدوله الكبير في الكرنك يتحدث شيشانق عن اخضاعه

(١٠) هذه هي بالتأكيد «نبايوت» (نبيوت أو نبيت) التوراتية المدرجة في عداد «بني اسماعيل» في سفر التكوين ٢٥: ١٣ إلى جانب «قيدار» (قدر) والمعرفة بكونها «نبايوت قيدار» في أشعيا ٦٠: ٧٠. والنَباة من قرى بجيلة في بلاد بني مالك من منطقة الطائف، وكذلك هي أيضاً قرية القِدارَة (قدر بلا تصويت)، التي هي «قيدار» التوراتية، وهكذا، فإن بني «نبايوت» ليسوا نبطيّي البتراء كما عُرِّفوا حتى الآن. ويـظهر أن النبـاة هي أيضاً «نبـو» التوراتية. انظر الفصل ٤، الهامش ٤.

«جيوش» ميتاني، التي هي اليوم على الأرجح وادي مَثان في منطقة الطائف، حيث استولى على قرى كثيرة، كما رأينا قبلاً. ورُبّما كان هذا الموقع ايضاً جوار قرية المثاني في وادي الجائزة من منطقة الليث. وبالتأكيد، فإن ميتاني موضوع الكلام هنا لم تكن مملكة في بلاد الفرات بالشام، كما هو الافتراض السائد، ولو كانت كذلك لكان في الأمر مفارقة تاريخية صارخة[11]. وفي جدول شيشانق الأقصر، في معبد آمون في الهيبة، نجد ان نهرن (رقم ٤) هي بالتأكيد ليست «ما بين النهرين» كما افترض حتى الآن، بل هي قرية النهارين (نهرن بلا تصويت) الحالية الموجودة في موقع غير بعيد عن وادي مثان في منطقة الطائف. ولا شك في أن هذا المكان هو «النهرين» التوراتية (نهريم، سفر التكوين ٢٤ : ١٠، وسفر التثنية ٢٣ : ٥، والقضاة ٣ : ٨، والمزامير ٦٠ : ٢، وأخبار الأيام الأول ١٩ : ٦) التي كانت «السبعونية» أو الـ « سبتواجنت» التي اعتمدتها الدراسات التوراتية التقليدية أول من عرّفها بكونها Mesopotamia، أي «ما بين النهرين» (انظر الفصل ١). وكذلك، فان يشش(ور) في هذا الجدول نفسه (رقم ٩) ليست آشور، بل هي على الأرجح، وبين احتمالات مختلفة، قرية يَسير الحالية بمنطقة رابغ، في تهامة الحجاز.

ولا بد أن يكون قد أصبح من الواضح الآن أن ليس التاريخ التوراتي وحده هو الذي يحتاج الى مراجعة دقيقة، بل كذلك هو الأمر أيضاً بالنسبة لتاريخ الشرق الأدنى القديم بأسره، خصوصاً في ما يتعلّق

---

(١١) كانت دولة «الميتانيّ» مملكة مزدهرة في بلاد الفرات في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ثم زالت من الوجود خلال القرن التالي. وقد افترض الباحثون حتى الآن أن شيشانق كان يفاخر كاذباً عندما تحدّث عن إخضاعه لجيوش ميتاني، لأن مملكة «الميتاني» التاريخية هذه لم يكن لها وجود في زمانه (انظر Pritchard، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤). والواقع هو أن ميتاني التي اخضعها شيشانق ما زالت موجودة بالاسم في الحجاز، ولا ضرورة للبحث عنها في أي مكان آخر، أو لافتراض المفاخرة الكاذبة في كلام شيشانق عن تغلّبه عليها.

بجغرافية هذا التاريخ كما لوحظ قبلاً. وعلى أساس الجغرافيا الصحيحة فقط يمكن لحقائق التاريخ أن تبنى بشكل مرضٍ ومقنع استناداً إلى السجلات المتوفرة، فيزول عنها الالتباس والغموض وتصبح واضحة جليّة.

١٢ ـ مـلكي صادق وآلهة السراة

هل كان هناك حقاً، في أي مكان، ملك ـ كاهن معاصر لابراهيم يدعى «ملكي صادق» (**ملكي صدق**، أي «مَلِكي صادق»، أو «مَلِكي هوالصدق»)؟ هـذا ما يعتقـده اليهود والمسيحيـون بنـاء عـلى قـراءاتهم المغلوطـة للتوراة، سـواءً في نصّهـا العبـري المسُّـوري المحـرّك، أو في الترجمات القديمة والحديثة. والواقع أن التوراة العبرية، بنصّها الأصـلي غير المحرّك، لا تذكر ملكاً ـ كاهناً بهذا الاسم. صحيح أنه قد وردت في نصين توراتيين بنية من الأحرف الساكنة التي تقرأ **ملكي صدق** (التكوين ١٤ : ١٨ والمزامير ١١٠ : ٤)، لكن هذه البنية، في كلتا الحالتين، ليست اسماً لشخص. والواقع هو أن **ملكي صدق** في التكوين ١٤ : ١٨ ليست إسم علم بل تعبير اصطلاحي يفيد معنى «الـطعام». وهي في المـزامير ١١٠ : ٤ اشارة إلى «ملوك» مكان اسمه «صدق» (**ملكيم**، مـع اسقاط ميم الجمع في الاضافة الى **صدق**). وليست هناك بالتالي أية علاقة لغوية أو تاريخية بين **ملكي صدق** التكوين و**ملكي صدق** المزامير.

والنص الكامل في التكوين ١٤ :١٨ يقرأ، بـأحرفـه الساكنـة، كما يلي: **و ـ ملكي صدق ملك شلم هوصيء لحم و ـ يين و ـ هو كهن ل ـ ءل عليون**. وقد جـرى تصويت هـذا النص تقليديـاً لكي يؤدّي المعنى التالي: «وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لـ **ءل عليون** (أو «لله العليّ» في الترجمة العربية ومعظم الترجمات الأوروبية)».

لكن **ملكي** في هذا الإطار ليست لفظة **ملك**، بمعنى «المِلك»، مضافة إلى ضمير المتكلم، بل هي جمع **ملك** صيغة تقليص للفظة **ملوك** بمعنى «لقمة» أو «ملء الفم»، وهي اشتقاق من جذر فعلي وارد في العربية (دون العبرية) هو **ءلك** (ألك، أي «علك» أو «مضغ»). ومن مشتقات هذا الجذر بالعربية عبارة «ألوك صِدق»، أي «ما يؤكل» (وهو الطعام). وهكذا يصبح المعنى الصحيح لنص التكوين ١٤ : ١٨ كما يلي: «وملك **شلم** أخرج ألوك صدقٍ (أي طعاماً)، خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لـ ءل **عليون**».

وفي إطار القصة التي يرويها الاصحاح ١٤ من سفر التكوين، كان ملك «شاليم» يكرّم في هذه المناسبة «أبرام العبراني»، المعرّف لاحقاً بابراهيم (انظر الفصل ١٣)، الذي كان في طريق العودة إلى الوطن بعد مغامرة عسكرية ناجحة، محملاً بالغنائم. وبعد أن أخرج ملك «شاليم» ما لديه من «خبز وخمر» دعا أبرام ليأكل، واصطلاحاً، «أعطاه لقمة طعام» (**و ـ يتن لو معسر مكل**، التكوين ١٤ : ٢٠). وهذا يزيد من وضوح كون **ملكي صدق** في التكوين ١٤ : ١٨ هي مثل **مكل** («مأكل» بالعربية) في التكوين ١٤ : ٢٠، باشارتها إلى «طعام»، وليس الى شخص اسمه «ملكي صادق». وكان تعبير **معسر مكل** قد قرىء تقليدياً على أنه **معسر م ـ كل**، ليعني «عُشراً من كل شيء»،نظراً لأن **معسر** يمكنها أن تعني «عُشراً» أو «القسم العاشر»،وأن تعني كذلك «قسماً» أو «حصة»، وبالتالي «لقمة» . وأكثر من هذا، فان الفاعل في **و ـ يتن لو**، أي «وأعطاه»، أخذ تقليدياً على أنه ضمير مستتر يعود الى «أبرام» وليس الى ملك «شاليم» (وهذا ما جعل الكلمة تترجم في التوراة العربية «فأعطاه» بفاء العطف بدلاً من واو العطف)، بالرغم من أن الأخير كان الفاعل في الجملتين السابقتين. وهكذا، فان المقطع بكامله فهم لا على أنه يعني أن ملك «شاليم» دعا «أبرام» لأن يأكل، بل على أن أبرام أعطى ملك «شاليم» عُشراً من كل الغنائم التي عاد بها، وهو تبرير زائف مفترض

للعشارية، وهي عند المسحيين الضريبة الكنسية، نظراً لأن ملك «شاليم» كان أيضاً كاهناً «لله العلي» (هي الترجمة التقليدية لِـ **ءل عليون**). وهذا مثال بارز على مدى ابتعاد القراءة التقليدية للتوراة العبرية عن المرمى. وجلّ ما في الأمر هو أن ملك **شلم**، الذي كان ايضاً كاهناً لإله يدعىءل **عليون**، أخرج خبزاً وخمراً وصنع وليمة لِـ «أبرام العبراني» وهو في طريق عودته منتصراً من حملة عسكرية ناجحة.

وبالعودة إلى النص بالأحرف الساكنة للمزامير ١١٠ : ٤، يجد القارىء الجملة التالية: **ءته كهن لـ ـ عولم عل دبرتي ملكي صدق**، التي جرى تصويتها تقليدياً لتقرأ مترجمة: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق»، والكلام يفترض أنه موجه الى الملك داود. وفيما يلي الملاحظات حول الترجمة:

١ ـ ان **لـ ـ عولم** العبرية يمكنها بالتأكيد أن تعني «إلى الأبد»، ولكن يمكنها أيضاً أن تعني «إلى **عولم**»، التي يمكن أن تكون اسم إله أو مقام، أو لقب من ألقاب يهوه، إله اسرائيل (انظر أدناه)، بمعنى «الأبدي» أو «الأزلي». ومع الأخذ في الاعتبار ان ما من مخلوق بشري يمكنه أن يكون كاهناً (أو أي شيء آخر) «إلى الأبد»، فإن التفسير الثاني المحتمل للكلمة العبرية **لـ ـ عولم** يعطي معنى أفضل للنص في إطاره.

٢ ـ ان **دبرتي** العبرية لا يمكن أن تعني «رتبة» لأنها ليست كلمة بصيغة المفرد، ولا يمكنها أن تكون إلا مثنى **دبره** (**دبرتيم**، المختلفة عن الجمع المؤنث **دبروت**)، وقد أسقطت لاحقة التثنية (الميم) في البنية المضافة **دبرتي(م) ملكي(م) صدق**. و**دبره** العبرية هي اسم الفعل المؤنث من الفعل **دبر**، يقابله بالعربية «دَبَرَ»، ومنه «الدابر» أي «التابع». وبالتالي،

يجب أن تترجم **دبره** العبرية على أنها تعني «التابعية»، أي «منطقة امتداد السلطة»، أو على الأرجح «الرعية»، مما يجعل **دبرتي** (م) تعني «التابعتين» أو «الرعيتين».

٣ ـ ان **ملكي** (م) **صدق** العبرية، في هذا الاطار، عبارة عن بنية اضافة تعني «**ملوك صدق**». وهناك عدّة أماكن في غرب شبه الجزيرة العربية تحمل الى اليوم اسم **صدق** بتصويت أو بآخر. ومن الملحوظ في هذا الصدد غياب أي ذكر لـ **شلم** أو لِـ **ءل عليون** في نص المزمور.

في ضوء هذه الملاحظات، يجب تصحيح قراءة المزمور ١١٠: ٤ ليؤدي المعنى التالي: «أنت كاهن لـ **عولم** على تابِعَتَيْ (أو رعيّتي) ملوك **صدق**». وهنا، كما في التكوين ١٤: ١٨، لا تتعلق المسألة بشخص **ملك** ـ كاهن اسمه «ملكي صادق».

والمقصود فعلاً في سفر التكوين وفي المزمور١١٠ هو سلالتان مختلفان من الملوك القدماء في غرب شبه الجزيرة العربية. وقد كان الملوك من السلالة الأولى كهنة يقدّسون إلهاً اسمه **ءل عليون**. أما ملوك السلالة الثانية، فربّما كانوا يقدّسون إلهاً خاصّاً يدعى **صدق** (انظر أدناه). والواضح ان الاسرائيليين، في زمانهم، كانوا يعتبرون **ءل عليون** و **ءل عولم** من اسماء الإله الواحد الذي اعترف به بنو اسرائيل وأسموه بدورهم **يهوه**، ولذلك أدرجوا هذين الاسمين كصفاة لله بمعنى «الله العلّي» و«الله الأزلي» في كتبهم المقدّسة. وربّما اعتبروا **صدق** أو **صديق** ايضاً من اسماء الله أو من صفاته بمعنى «الحق» و«البرّ» (انظر اشعيا ٤٥: ٢١، مزامير ٧: ١، الخ. ، في الأصل العبري، وبدون التحريك المسُوري).

ويسود الرأي اليوم بأن **شلم**، التي كان ملوكها كهنة يقدّسون **ءل عليون** (أي الإله **عليون**)، كانت بلده كنعانية في فلسطين اسمها «شاليم»، وقد حدّدت هذه البلدة أحياناً بأنها «أورشليم» بالذات، أي

مدينة القدس. والصحيح أن **شلم** هي اليوم قرية آل سلامة (**سلم** بلا تصويت) في جوار النماص بسراة عسير. والدليل على ذلك وجود قرية أُخرى في الجوار ذاته تحمل الى اليوم اسم الإله **عليون**، وهي آل عليان (**ءل علين**) . وفي نفس الجوار أيضاً قرية ثانية تحمل الى اليوم اسم الإله **عولم**، وهي آل الأَعْلَم (**ءل ءعلم**). واسم هذا الإله تحمله اليوم أيضاً قرية في جوار تنومة، جنوب النماص، تدعى آل العَلَم (**ءل علم**). ويلاحظ من تركيب اسم آل سلامة (**ءل سلم**) أن **شلم** التوراتية لم تكن فقط اسم مكان، بل ايضاً اسم إله (**ءل شلم**، انظر أدناه). ولعلّ الإله **عليون**، وهو إله ملوك **شلم**، كان يطلق عليه أيضاً اسم **شلم**.

أما ملوك **صدق**، فربّما كان مركزهم الأساسي في القرية المعروفة اليوم باسم بيت الصديق (وبلا تصويت **بيت صدق**، أي «**معبد صدق**»، أو **بيت ءل صدق**، أي «**معبد الإله صدق**»). وفي ذلك ما يشير إلى أن **صدق** ربّما كان اسماً للمكان واسماً للإله الذي كان يقدّسه ملوك هذا المكان في الوقت ذاته. أما عبارة **دبرتي** (أي «تابعتي» أو «رعيتي») ملوك **صدق**، فربّما فيها إشارة إلى بلاد زهران من جهة، حيث توجد إلى اليوم قرية بيت الصديق وقرية أُخرى اسمها الصِّداق (ايضاً **صدق** بلا تصويت)، والى منطقة جيزان ومنطقة نجران، في أقصى جنوب عسير الجغرافية، من جهة أخرى. والدليل على ذلك وجود قرية اسمها صِدّيقة (صدق بلا تصويت) في منطقة جيزان، وأخرى اسمها صَدَقَة في منطقة نجران. ويجب التذكير هنا بأن الملك داود جاء اصلاً من وادي أضم، قرب بلاد زهران حيث توجد إلى اليوم قرية بيت الصديق، وأنه حكم مملكة «كل اسرائيل» من العاصمة التي أقامها في «جبل صهيون» (وهو اليوم «قعوة الصيان») في رجال ألمع، وهو مكان أقرب من صدّيقة جيزان وصدقة نجران منه إلى بيت الصديق والصداق في بلاد زهران. وربما كان هذا تفسير المثنّى في عبارة **دبرتي** في المزمور ١١٠. ويبدو أن هذا المزمور يشير إلى أن داود، بعد انتقاله الى عاصمته الجديدة في رجال ألمع، صار

كاهناً لله «الأزلي» (**عولم** كصفة لله، وليس كاسم إله معين) معترفاً به في الجنوب كما في الشمال، من قبل المناطق والشعوب التي كانت في السابق تشكل «تابعتي» أو «رعيتي» ملوك **صدق**.

وهكـذا يصبح المعنى المقصـود في الأصل العبـري من المزمـور أكثر وضوحاً: **ءته كهن لـ ـ عولم عل دبرتي ملكي صـدق**، أي «أنت كاهن (لله) الأزلي على تابعتي ملوك **صدق**». ولعلّ ملوك **صدق** هؤلاء كانوا قد وحدّوا بلاد السراة وجوارها تحت حكمهم في وقت ما قبل ظهور مملكـة «كل اسرائيل»، فبقي لهم ذكر في زمن بني اسرائيل، أي في زمن التوراة، ثم زال ذكرهم هذا من الوجود بعد انقراض بني اسرائيل بتواتر الأزمنة وتغيّر الأحوال.

وهذه ملاحظات إضافية بشأن **شلم** و **عليون** و**عولم** و **صدق** (كإسم مكان وكإسم إله أو معبد)، وغيرها من أسماء الآلهة القديمة المذكورة في التوراة، والتي ما زالت موجودة كـاسماء أمـاكن في غرب شبـه الجزيـرة العربية:

١ ـ إن الاله الاسرائيلي يهوه محدد بشكل مميز على انـه «شلوم» (**شلوم**، وزن «فعـول» من **شلم**) في اسم مذبـح يقال ان أحد قضاة اسرائيل، وهو المدعو جدعون، بناه في «عفرة» (**عفره**)، في مكان يقال انه كـان مُلكاً لأنـاس من «عزر» (**ءبي هـ ـ عـزري**، في الترجمـة العربيـة «الأبيعـزريـين»، القضاة ٦: ٢٤). ولا بدّ أن «عفـرة» المذكـورة هي اليوم العفراء (**عفر**) الحالية، في منطقة النماص. والقرية هذه غير بعيدة عن العضرة (**عضر**، قارن مع **عزر** العبرية) في منطقة بني عمرو، إلى الشمال من النماص، ولا شك في أنها «عزر» التوراتية. ومن الواضح أن الموقع الذي أقام فيه جدعون مـذبح «يَهـوِه شلوم» لم يكن غير آل سـلامة، في

جوار النماص، وهي **شلم** المذكورة بالاسم في التكوين ١٤.

٢ ـ ان المسيح الذي وردت النبوءة بولادته في إشعيا ٩:٦ يسمى **ءل جبور ءبي عد سر شلوم**، وهو ما يترجم عادة إلى: «إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام». والتعبير العبري **سر شلوم** هنا ربما عنى «أمير **شلوم**» أي «صاحب» أو «ربّ» مقام **شلم**، في قرية آل سلامة الحالية. وبالتأكيد، فان **ءبي عد** هو أيضاً اسم اله قديم اصبح فيما بعد لقباً من ألقاب **يهوه** إله اسرائيل، وبالتالي من ألقاب المسيح الموعود. وقد استمر اسم هذا الإله في الوجود كاسم لقرية أبو العيد (ءب عد بلا تصويت) في منطقة جيزان. وأكيد أيضاً ان **ءل جبور** هو اسم اله مماثل لِـ **شلم** و **ءبي عد** استمر في الوجود كاسم لثلاث قرى ببلاد عسير تدعى آل جبّار (ءل جبر)، احداها في منطقة تنومة، والثانية في سراة عبيدة، والثالثة في منطقة المجاردة. وأسماء هذه الآلهة الثلاثة أعطيت، في اشعيا، للمسيح الذي كان بنو اسرائيل المتأخرون ينتظرون قدومه ليجلس على عرش داود ويعيد اليهم عزّهم المفقود.

٣ ـ ان القراءة التقليدية للتكوين ١٤ : ٢٢ اعتبرت ـ ولزمن طويل ـ أن من المسلم به كون «أبرام العبراني» اعترف بالقسم بأن إلهه، وهو **يهوه**، هو ذاته **ءل عليون**، اله ملك «شاليم». والنص العبري لقَسَم أبرام، الذي يقول **هرمتي يدي ءل يهوه ءل عليون**، أخذ عادة على أنه يعني: «أقسمت (حرفياً: «رفعت يدي») لِـ **يَهوِه ءل عليون**»، (وفي الترجمة العربية ومعظم الترجمات الأوروبية: «إلى

الربّ الاله العلي»). والصحيح أن اللفظة العبرية **يهوه** هنا (كما في أماكن أخرى عديدة من التوراة) يجب أن تقرأ على أنها صيغة المضارع من فعل **هيه**، اي «كان». وبالتالي، فإن القسم يجب ان يقرأ ليترجم حرفياً: «اقسمت، و ءل **عليون** يكون إلهاً»، أي بالعربية «أقسمت، والله هو ءل **عليون**» (**ءل يهوه ءل عليون**)، بما في ذلك من اعتراف علنيّ بألوهية **ءل عليون** كشهادة على صحة القسم. وفي المزمور ٧: ١٦، جاء ذكر **عليون**، بما لا يقبل الشك، على أنه اسم **يهوه** (**شم يهوه عليون**: «اسم يهوه هو **عليون**»). وقد أُطلق على **يهوه** اسم **عليون** أيضاً في المزمور ٤٧: ٢. وأكثر من ذلك، فان **عليون**(وليس **يهوه**) هو الاسم الذي يطلق على إله اسرائيل في أكثر من عشرين مقطعاً من النص التوراتي بالأصل العبري.

٤ ـ أن **يهوه** معرّف بِـ **ءل عولم** في سفر التكوين ٢١: ٣٣، وبـ **ءلهي(م) عولم** (حرفياً: «اله عولم») في اشعيا ٤٠: ٢٨. وهو يسمى أيضا «**ملك عولم**» (**ملك عولم**) في إرميا ١٠: ١٠.

٥ ـ في المزمور ٧: ١٦، أخذ المقطع العبري **ءوده يهوه بـ ـ صدقو** على أنه يعني: «أحمد الرب حسب بِرِّه». لكن باء الجرّ في **بـ ـ صدقو** تعني تحديداً «في» أو «عند» **صدقو**، ولا يمكنها ان تعني بشكل من الأشكال «حسب» أو «لأجل» **صدقو**، التي كان يجب أن يكون حرف الجر العبري الخاص بها هو اللام (**لـ ـ صدقو**)، وليس الباء. والترجمة الصحيحة للنص العبري يجب أن تكون: «أحمد يَهوه في صِدِقه»، أي في مقامه الذي هو في مكان يسمى **صدق**، ربما كان قرية صِدِّيقة الحالية في منطقة

جيزان[1]. وبامكان الباحث أن يستعرض جميع الفقرات التوراتية التي وردت فيها كلمة **صدق** وأن يحدد، استناداً إلى إطار النص، أين تشير الكلمة الى مقام يسمى **صدق**، وأين تعني ببساطة «الصدق» أو «الحق» أو «البرّ».

والواضح من كلّ ما قيل في هذا الفصل حتى الآن أنه لم يكن هنالك في أي وقت ملك - كاهن اسمه «ملكي صادق» يقيم في «شاليم» أو «أورشليم»، وله «رتبة» كهنوتية يختصّ بها. بل ان في استطلاع مسألة «ملكي صادق» ما يفتح الطريق لحلّ لغز تاريخي هائل يتعلق بالأصول الوثنية المنسية للديانة اليهودية التوحيدية في غرب شبه الجزيرة العربية. وتجدر الاشارة هنا إلى أن الكلمة التي تدل على «الاله الواحد» في العبرية هي **ءليهم**، التي هي الجمع المذكر من **ءله** أو «إله». وهكذا يصحّ القول بأن ما أصبح معترفاً به من قبل بني اسرائيل، في زمن معيّن، وفي غرب شبه الجزيرة العربية، بأنه «إله واحد» كان في الأصل تجمعاً لآلهة محلية أو قبلية متعددة. وأن استعراضاً سريعاً لأسماء الأمكنة التي تبدأ بـ «آل» (**ءل**، قارن مع **ءل** العبرية، بمعنى «إلـه»)، في غرب شبه الجزيرة العربية، ناهيك بأسماء الأماكن التي لا تحصى والتي تبدأ بأداة التعريف العربية **أل** التي يمكن ان تفهم على أنها استمرار في الوجود للعبرية **ءل**، يمكنه أن يبين ان تجمع آلهة غرب شبه الجزيرة العربية في الأزمنة القديمة كان يبلغ مئات من الآلهة، وربما كانت بينها آلهة مسماة بأسماء مختلفة حسب المناطق. وكان من بين هذه الآلهة: آل سلامة (**شلم** أو **شلوم** التوراتي)، وآل عليان (**ءل عليون** التوراتي)، وآل العلم (**عولم** التوراتي)، و**صدق** التوراتي. وهذا الاله الأخير يرد اسمه في صيغتي **صدق** و **صديق** في النقوش العربية القديمة.

---

(١) المزمور ٧ منسوب إلى مكان (وليس إلى شخص) اسمه «كوش» (كوش)، هو على الأرجح الكوس أو كيسة الحالية، وكلاهما في منطقة جيزان.

وفي التوراة العبرية، عُرِّف كل من آل سلامة، وآل عليان، وآل العلم، وبوضوح، على أنه الاله **يهوه** إله اسرائيل (انظر أدناه)، وورد **صدق** على انه اسم مقام لِـ **يهوه**. وكذلك فقد عُرِّف بـ **يهوه** عدد من آلهة غرب شبه الجزيرة العربية الأخرى التي بقيت اسماؤها قيد الوجود في أرضها الأصلية كأسماء أمكنة. ومن هذه الآلهة **ءل شدي** (في التوراة العربية «الله القدير»)، و **ءلهي صبءوت** أو **يهوه صبءوت** (في التوراة العربية «إله الجنود» و «رب الجنود»)، و **ءل رءي** (في التوراة العربية «إيل رُئي»)، واسم الإله هذا مقترن في سفر التكوين ١٦ : ١٣-١٤ باسم بئر، ومعناه «إله الريّ»). أمّا الأمكنة التي ما زالت تحمل أسماء هذه الآلهة الى اليوم فهي قرى آل سادي (**ءل سدي**) في منطقة ظهران الجنوب، والصبيات (قابل مع **صبءوت**) في منطقة النماص، وآل رهوة (اي «إله الفوهة المائية، البئر») في رجال ألمع. وكما لوحظ سابقاً، فإن اسمي إلهين آخرين من غرب شبه الجزيرة العربية، هما آل جَبّار (**ءل جبور** التوراتية) وأبو العيد (**ءبي عد** التوراتية)، عُرِّفا في اشعيا على أنهما اسمان للمسيح الموعود. ويستنتج من ذلك أن اسمي هذين الإلهين كانا أيضاً من الأسماء المعتمدة للإله الواحد **يهوه** من قبل بني اسرائيل[٢].

واسم **يهوه** نفسه استمر في الوجود في غرب شبه الجزيرة العربية، ليس فقط كـ **يه** أو **يهو** في المنقوشات الثمودية واللحيانية التي عثر عليها في شمال الحجاز (وهي حقيقة يقرّها جميع الباحثين اليوم)، بل أيضاً في عدد من أسماء الأمكنة. وأحدها هو جبل تهوى (**تهو**) في عسير الساحلية. والأمكنة الأخرى هي قرى مثل الهاو (**ءل هو**) والهواء (**ءل هو**) وأبو هِياء (**هي**) وهِيَة (**هي**) في الحجاز، وآل هِيَة (**ءل هي**) في منطقة النماص (ربما كان الاسم لمقام رئيسي ليهوه، نظراً لقربه من آل عليان

---

(٢) النقوش العربية القديمة تثبت **شلم** (سلمن مع لاحقة التعريف) وعولم (علم)، وربما ء بي عد (بعدن أو بـ ـ عدن مع لاحقة التعريف) كأسماء آلهة قديمة في غرب شبه الجزيرة العربية، بالاضافة إلى اسم الإله صدق.

وآل العلم، انظر أعلاه)، وهِياي (هيي) في جوار ظهران في الجنوب (قابل مع اسم ذت ظهرن الوارد كاسم إله في النقوش العربية القديمة). والأرجح هو أن يهوه، مثله مثل ءل عليون، كان في الأصل إله المرتفعات الجبلية. وما زال الباحثون يختلفون حول معنى يهوه، ومعظمهم يعتبر الاسم صيغة المضارع من هيه، بمعنى «هو يكون». ويمكن تفسير الاسم بكل بساطة كاسم فعل على وزن «يفعل» من الجذر هوه وليس هيه، أي «كان»). والجذر هذا يفيد بالعبرية والعربية (هوى) معنى «السقوط»، وهو مشهود أيضاً بالعربية بمعنى «الصعود» و«الارتفاع» (ومنه «الهواء»). وبذلك يصبح يهوه، من مفهوم الاسم، إله «الرفعة، العلو، الشموخ»، وهو ما يفيده اسم «الله العليّ» ءل عليون. ومثل هذا الاسم جدير بأن يطلق على كبير الآلهة، ومن ثمّ على الإله الواحد.

ولا يمكن للانسان حقاً أن يقول متى تم الجمع بين يهوه وغيره من آلهة غرب شبه الجزيرة العربية، والاعتراف بهم كاله واحد هوءلهيم، أي الله. وكل ما يستطيع الانسان أن يقوله هو أن الجمع بين هذه الآلهة القديمة لم يكن شاملاً بل انتقائياً. في حين أن أسماء بعض هذه الآلهة، ومنها الأسماء المذكورة اعلاه، موثلت بـ يهوه، فان اسماء أخرى لم تفعل. ومن هذه اسما الالهين سكوت وكيون (عاموس ٥ : ٢٦، وقد اثبت الاسمان في الترجمات الأوروبية الحديثة للتوراة، أما في العربية فقد ترجمت لفظة سكوت الى «خيمة»، ولفظة كيون إلى «نجم»). وهناك اليوم قرية تدعى آل سكوت في سراة بني عمرو، شمال النماص، وهي تحمل بلا أدنى شك اسم الاله سكوت. ويذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب» موقعاً في ديار تميم اسمه «القوين»، والاسم هذا يكاد أن يكون مطابقاً لاسم الإله كيون. ولعلّ قرية آل كوعان، في سراة عبيدة، تحمل ايضاً اسم هذا الاله المرفوض من بني اسرائيل، مع إدخال حرف العين بين حرفي العلّة في التعريب، كما هو مشهود في أحوال عديدة. ومن

الآلهة القديمة التي رفضها بنو اسرائيل ما كان يُلقّب بـ **بعل** بدلاً من ءل. وربّما أن لفظة **بعل** منحوتة في **ءب عل**، أي «أبو الغلّة»، مما يعني أن الآلهة المعروفة بهذا اللّقب كانت آلهة خصوبة ومحاصيل زراعية. و«البعل» بالعربية هو «كلّ نخل أو زرع لا يُسقى»، وهو «ما سقته السماء»، أي ما يعتمد ليس على رَيّ المُزارع، بل على الريّ الطبيعي، وهو مجازاً الريّ الذي يوفره **بعل**، إله الخصوبة. ومن الهة **بعل** التي نبذها بنو اسرائيل، بعد تحوّلهم الى عبادة الإله الواحد، **بعل زبوب** (الملوك الثاني ١ : ٢). وهذا اليوم هو اسم قرية آل ذَبابة (**ءل ذبب**) في جوار خميس مشيط، ناهيك عن قريتي ذَبوب وذُبابة في منطقة جيزان. و«الأزبّ» بالعربية (قابل مع العبرية **زبوب**) هو «الخصيب، الكثير النبات»، وهو أيضاً من أسماء الشياطين. ولعلّ اسم **بعل زبوب** يعني «أبو الخصوبة صاحب الذَكَر العظيم». ومن الممكن إجراء مسح شامل لأسماء آلهة غرب شبه الجزيرة العربية الذين جرت مماثلتهم في القدم بـ **يهوه**، وأولئك الذين لم تجر لهم مثل هذه المماثلة، لكن مثل هذا المسح يبقى خارج نطاق هذه الدراسة.

وهناك في سفر التكوين ٢٢ : ١ ـ ١٤، إذا ما قرىء النصّ في اصله العبري، إشارة خفيّة إلى واقع الانتقال من عبادة «الآلهة» المتعدّدة (**هـ ـءلهيم** مع أداة التعريف) إلى عبادة الله الواحد (**ءلهيم** بدون أداة التعريف). ويبدو أن تعديلاً قد أُدخل على النصّ الأصلي، عن قصدٍ أو عن غير قصد، بحذف لاحقة الجمع عن الأفعال المنسوبة الى **هـ ـ ءلهيم**، أي الآلهة. وقد فات على من أدخل هذا التعديل حذف هاء التعريف العبرية عن **ءلهيم** حيث وردت في الأصل، فبقيت **هـ ـءلهيم** حيث كان المقصود هو الاشارة الى «الآلهة» وليس إلى «الله».

ومفاد القصة التي يرويها هذا النصّ، إذا ما أُخذ الفرق بين **هـ ـ ءلهيم** و **ءلهيم** بعين الاعتبار، أن **هـ ـ ءلهيم** (أي الآلهة، وليس الله)

أمرت ابراهيم بأن يأخذ ابنه اسحق الى أرض «مورة» (هـ ـ مريه، وهي اليوم «المروة» من قرى بني عبد شحب في رجال ألمع، انظر الفصل ١٣) ليقدّمه كمحرقة في «جبل الربّ يُرى» (هر يهوه يرءه، و يرءه هي اليوم يراء، وهي أيضاً من قرى بني عبد شحب في رجال ألمع). واتبع ابراهيم أوامر هـ ـ ءلهيم (أي الآلهة) بدقّة. ولكنه ما إن بدأ بتحضير المذبح حتى سأله ابنه اسحق: «هوذا النار والحطب ولكن اين الخروف للمحرقة؟» فأجابه ابراهيم بأن الله (ءلهيم، وليس هـ ـ ءلهيم) هو الذي سيؤمّن الخروف (٢٢ : ٨). وعندها تدخّل يهوه وقدّم كبشاً للمحرقة عوضاً عن اسحق، بعد أن تأكّد بأن ابراهيم يخاف «الله» (ءلهيم، وليس هـ ـ ءلهيم، ٢٢ : ١١ وما يلي). والغريب في الأمر أن ما من مترجم لهذه القصة التوراتية لاحظ الفرق بين هـ ـ ءلهيم و ءلهيم في النصّ الأصلي، فترجمت الكلمتان بالسويّة على أنهما تعنيان «الله». ولو كان ذلك هو المقصود لما سمّي الله ءلهيم و هـ ـ ءلهيم في النص ذاته. ويبقى هنا السؤال: هل روى سفر التكوين قصة إبراهيم واستعداده للتضحية باسحق أصلاً لتفسير انتقال الجدّ الأعلى لبني اسرائيل من عبادة الآلهة (هـ ـ ءلهيم) وتقدمة الضحايا البشرية لها، إلى عبادة الله الواحد (ءلهيم) والاستعاضة عن الضحايا البشرية بالقرابين؟

وهناك شيء واحدٌ موكّد، وهو أن في بعض اسفار التوراة اعتراف صريح بوجود آلهة غير يهوه، وإن لم تكن لهذه الآلهة قدرة يهوه وعلو شأنه. ومن أغرب ما جاء في سفر التكوين (٦ : ١ ـ ٤) عن هذه الآلهة هو الآتي (مع اعادة الترجمة من الأصل العبري):

«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون في الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الآلهة(بني هـ ـ ءلهيم) رأوا بنات الناس أنهن حسناوات. فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كلّ ما اختاروا. وقال يهوه: لن تدنو روحي من الانسان أبداً (لء يدون روحي بـ ـ

ءدم ل ـ علم)، فهـو سقيم (بـ ـ شجم هو، وحـرفيـاً «بسقم هـو»)، وأيامـه هي مئة وعشـرون سنة. وكـان النوافـل (هـ ـ نفليم، جمعٍ نفل، أي «نوفل» أو «بطل») في تلك الأيام. وبعد ذلـك أيضاً دخـل ابناء الآلهـة (هـ ـ ءلهيم) على بنـات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابـرة (هـ ـ جبوريم) الـذين منذ ذلك الوقت اهالي هشم (ءنوشي هشم).

هـذه ميثولـوجيا خـالصة، شبيهـة جدّاً بسـائر ميثـولوجيـات العالم القديم. والقصة فيها تشير إلى أن يهوه لم يقرب نساء البشر كما كان يفعل غيره من الآلهة، وبذلك كانت له منذ البدء صفة خاصة. أمّا سائر «ابناء الآلهة»، فلم يقربوا نساء البشر فحسب، بل صارت لهم ذريّة بشرية من «النـوافل» و«الجبـابرة»، وهؤلاء الأخيـرون أهالي مكـان اسمـه هشم. والمهم في الأمر، بالنسبة إلى هذا البحث، أن «النوافل» ربّما كانـوا ابناء قريتي النوافل والنوافلة من نـاحية الحُـرَّث، بمنطقـة جيزان. وربّمـا كان «الجبابرة»، وهم أيضاً من سلالة الآلهة على حد قول سفر التكوين، ابناء قرية آل هاشم (هشم بلا تصويت)، من قرى المكارمة بمنطقة نجران.

١٣ ـ العبرانيون وأحراش عسير

لم ترد كلمة «عبـري» (عبري والجمـع عبريم و عبـرييم، والمؤنث عبريت، وجاءت الترجمة العربية «عبراني») أكثر من سبع عشرة مـرة في التوراة العبرية، ومن ثلاث مرات في الكتب المسيحية (أعمال الرسل ٦ : ١، والرسالة الثانية الى أهل كـورنثوس ١١ : ٢٢، والـرسالـة إلى أهل فيلِبِّي ٣ : ٥). وفي النصوص المسيحية استخدمت الكلمة فقط لتفريق المسيحيين من أصول إثنية يهودية عن المسيحيين الآخرين، وخصوصاً عن «اليونانيين»، أو «الهيلينيين» (أعمال الرسـل ٦ : ١). أما في النصـوص التوراتية فقد جاء استعمال الكلمة غامضاً بعض الشيء. وعـلى ذلك، يبقى الانطباع من قراءة هذه النصوص بأن بني اسرائيل كانوا يعتبـرون أنفسهم شعباً عبرانياً. فمن هم هؤلاء العبرانيون، وكيف التوصّـل الى معرفة شيء عنهم؟

يظهر من قراءة الاصحاح ١٠ من سفر التكوين أن العبرانيين كانوا يعرفون في زمـانهم بـ «بني عابـر» (بني عبر). والتفسـير التوراتي هـو أن عابر (عبر)، جد الشعوب العبرانية، كان من سـلالة سـام بن نوح. وكان لسام هـذا خمسة أبناء، أحدهم آرام (ءرم) جـد الآراميين. ومن الأربعة الآخرين أرْفَكْشاد، وهو جدّ عابر الذي تحـدّر منه العبـرانيون. وكان لعابر إبنان، فـالج (فلج) ويقـطان (يقطن). ومن الثـاني تحدّرت قبـائـل اليمن، ومنهـا «شبـا» (شبء، أي سبـأ) و «حضـرمـوت»

(حضرموت). والواضح أن هذه القبائل كانت تعتبر عبرانية، أي من «بني عابر». أما إبن عابر الأوّل، وهو فالج، فمن سلالته «أبرام العبراني» (ءبرم هـ ـ عبري) الذي صار اسمه فيما بعد إبراهيم (ءبرهم). ولم يكن ابراهيم جدّ بني إسرائيل وحدهم. فمن سلالته، حسب سفر التكوين، الشعوب التي تحدّرت من ابنه اسماعيل، وتلك التي تحدّرت من زوجته الثالثة قطورة. أضف إلى ذلك أن ابنه اسحق كان له بدوره ولدان تؤمان هما عيسو ويعقوب. ويقول سفر التكوين إن عيسو تسمى فيما بعد أدوم (ءدم)، وهو جد «الأدوميين». ويعقوب تسمّى فيما بعد إسرائيل، ومن ابنائه الاثني عشر تحدّرت قبائل أو «سباط» بني اسرائيل.

الواضح، إذن، أن بني اسرائيل لم يكونوا وحدهم العبرانيين، بل ان من «بني عابر» أيضاً شعوباً أخرى، منها الشعوب اليقطانية (واسم يقطن هو اليوم اسم بلدة القطن في حضرموت)، ومنها ايضاً الشعوب الاسماعيلية والقطورية والأدومية التي تحدّرت من ابراهيم، وهو الجدّ الذي انتسب إليه أيضاً بنو اسرائيل. فمن هم العبرانيون هؤلاء، وكيف لنا أن نعرف شيئاً عنهم؟ ليست لدينا في الأمر إلاّ وسيلة واحدة، وهي التحليل اللغوي للاسم عبر، الذي منه اسم الـ عبريم، أي «العبرانيين». والرأي السائد هو أن عبر، بالعبرية، يقابله بالعربية الجذر الفعلي «عَبَرَ»، بمعنى «قطع»، أي «انتقل من جهة إلى أُخرى». ولعلّ هذا صحيح. لكن هناك إمكانية اخرى، وهي أن عبر يقابلها بالعربية الجذر الاسمي «غبر» بالغين، وليس بالعين (انظر أدناه)، علماً بأن حرف الغين لا وجود له في الأبجدية العبرية. وقد اتضح من خلال دراسة اسماء الأماكن في الفصول السابقة أن الغين كانت تلفظ في الكلام العبري ولا تكتب، فتكون أحياناً لفظاً لحرف الجيم، وأحياناً لفظاً لحرف العين في الكتابة.

وقد جرت محاولات عديدة لتعريف الـ عبريم التوراتيين بأنهم هم ذاتهم الـ خا ـ في ـ رو (خفر بلا تصويت) المذكورون في النصوص

المسمارية، والـ **عفرم** (جمع **عفر**) المذكورون في النصوص الأوجاريتية، والـ **خابيرو** (**خبر** بلا تصويت) المذكورون في رسائل العمارنة (حول هذه الرسائل انظر الفصل ٥)، والـ **عفر** المذكورون في النصوص المصرية. ومن العلماء من رأى بأن هذه الأسماء، وكذلك اسم **عبريم** بالعبرية، كانت تطلق في القدم ليس على شعب معين، أو على جماعة إثنيّة معيّنة، بل على طبقة اجتماعية منبوذة من قطّاع الطرق والمرتزقة والباعة المتجولين الذين يعيشون خارج إطار القانون ولا يخضعون لأية سلطة. وربّما كان هذا صحيحاً بالنسبة الى الـ **خا - في - رو** و الـ**عفرم** والـ **خابيرو** والـ **عفر**. لكن هؤلاء ليسوا العبرانيين التوراتيين إطلاقاً. ولو كان الأمر كذلك لكان الاسم **عبريم** كتب بالمسمارية **ءا - بي - رو** وليس **خا - في - رو**، وبالأوجاريتية **عبرم** وليس **عفرم**، وبالمصرية **عبر** وليس **عفر**، وفي رسائل العمارنة **آبيرو** وليس **خابيرو**. فالعين في اللغات السامية لا تتحوّل إطلاقاً إلى خاء، والباء لا تتحوّل إطلاقاً إلى فاء، وهذا أمر معروف ولا جدل فيه. فالآشوريون والبابليون والأوجاريتيون كانوا يتكلمون لغات سامية، ولا يعقل أنهم وجدوا صعوبة في لفظ العين في **عبريم** فجعلوها خاء، أو في لفظ الباء فجعلوها فاء. وقد اتضح من الفصل ١١ أن المصريين القدماء لم يجدوا أية صعوبة في ضبط أسماء الأماكن التوراتية بالتهجئة الصحيحة.

من الأفضل، إذن، أن نضرب صفحاً عمّا قاله العلماء حتى اليوم في أمر العبرانيين، فنعود إلى التوراة لنتتبع قصة «أبرام العبراني» كما يرويها سفر التكوين. وفي هذا السفر يحمل أبرام هذا الاسم حتى الاصحاح ١٧، ثم يتحوّل اسمه الى ابراهيم بدءاً من الاصحاح ١٨. وهو موصوف بـ «العبراني» فقط في الاصحاح ١٤. وبغض النظر عما إذا كان أبرام وابراهيم بالفعل شخصاً واحداً، فان سفر التكوين يعاملهما على هذا الأساس، ويعتبر أن هذا الشخص الذي تغيّر اسمه من أبرام إلى إبراهيم في وقت ما هو الجد المشترك لبني اسرائيل ولشعوب «عبرانية»

أخرى. ويفيد سفر التكوين (١٢ : ٦، ١٤ : ١٣) أن أبرام، جد هذه الشعوب «العبرانية»، كان ساكناً في وقت ما «عند بلّوطات مَمْرا» (**بـ ـ ءلني ممرء**، وهي تعني حرفياً «في» **ءلني ممرء**، وليس «عند» **ءلني ممرء**، والترجمة الصحيحة لِـ **ءلني ممرء** هي «حرش» **ممرء** أو «غابة» **ممرء**، وليس «بلّوطات» **ممرء**، والواضح أن **ممرء** اسم مكان)[1]. وفي وقت آخر يقال عنه انه كان ساكناً «في حرش مورة» (**بـ ـ ءلوني موره**، ١٢ : ٦). وفي التكوين ١٨ : ١، عندما يتحوّل اسم أبرام إلى ابراهيم، تقول التوراة بأن ابراهيم كان مقيماً في «حرش ممرا» (**ءلوني ممرء**). جدّ «العبرانيين» من سلالة «فالج بن عابر»، إذن، ومنهم بنو اسرائيل، كان مسكنه في الاحراش أو الغابات، على ما تفيده التوراة.

ولفظة عبر نفسها (ومنها عبري) قد تدل على هذا الأمر إذا هي قرئت بالغين وليس بالعين، كما سبق. ذلك أن «الغَبَر» بالعربية هو جمع «الغَبَرَة»، وهي «الأرض الكثيرة الشجر والنبت». ومما يزيد في الترجيح بأن اسم عبر التوراتي قد يكون غبر بالغين، ومنه اسم العبرانيين بمعنى «أهل الغبر» أو «أهل الاحراش»، هو أن سفر الخروج يتحدّث في ستة مقاطع عن «إله العبرانيين» (٣ : ١٨، ٥ : ٣، ٧ : ١٦، ٩ : ١ و١٣، ١٠ : ٣)، باعتباره أن هذا الاله هو يهوه إله اسرائيل بالذات. وهناك اليوم في مرتفعات عسير قرية تسمّى آل الغبران (**ءل غبرن**، قارن مع **ءلهي هـ ـ عبريم**). واسم المكان، وهو في منطقة ظهران الجنوب، هو ذاته اسم «إله العبرانيين»، مع لفظ العين العبرية بالغين. ويبدو أن هذا الاله كان إله «الغبر» أو أهل «الغبر»، أي الغابات والأحراش. وعلى الباحث أن يلاحق سيرة «أبرام العبراني»، كما جاءت في التكوين ١١ :

---

(١) ءلن في العبرية هي الشجرة الكبيرة، وجمعها ءلنيم أي «الشجر الكبير، الغابة، الحرش». وقد حذفت ميم الجمع في **ءلني ممرء** بداعي الاضافة. وربّما ترجمت ءلنيم تقليدياً الى «بلّوطات» افتراضاً بأن «ممرا» هي في جوار الخليل في فلسطين. وهناك بلّوطة قديمة عند المقام المنسوب لابراهيم هناك.

٣١ ـ ١٣ : ١٨ ، لكي يتحقّق من المكان في غرب شبه الجزيرة العربية الذي أتى منه «العبرانيون» (أي «أهل الاحراش») في الأصل. وقد جاء في هذه السيرة أن أبرام وقومه جاؤوا أصلاً من ءور كسديم[٢]. ولا بدّ أن هذا المكان هو اليوم وَرْيَـة (قابـل مع ءور) في وادي أضم، المعـرّفة بالنسبة إلى المقصـود (بقلب الأحرف من كسديم) في الجوار نفسـه (أي «ورية المقصود»). ومن هناك، انتقل أبرام وقومه الى «حاران» (**حـرن**) التي يظهر أنها خيران (**خرن**) الحالية في وادي أضم. وعندها انفصل أبـرام عـن قومه وتابع سيره باتجاه الجنوب إلى جوار شكيم (**شكم**) التي هي اليوم الكشمة (**كشم**) في رجال ألمع، حيث استقر في حرش «مورة» التي يظهر أنها المروة الحالية، من قرى البناء في هذه المنطقة (وهي غير «مورية» التوراتية التي هي اليوم المروة من قرى بني عبد شحب في المنطقة ذاتها، انظر الفصل ١٢). وبعـد ذلك انتقـل أبرام الى «الجبـل» (**هر**) شـرقي «بيت إيل» (**بيت ءل**) التي هي البتيلة الحالية في رجال ألمع (انظر الفصل ٤). ونصب خيمته في مكان كانت فيه «بيت إيل» إلى الغرب و«عـاي» (**هـ ـ عي**، التي هي الغيّ الحالية، في المنطقة نفسها، انظر الفصـل ٧) إلى الشرق[٣]. وكان انتقاله التالي باتجاه «النقب» (**هـ ـ نجب**) التي هي

---

(٢) ان الترجمة المعتادة لـ ءور كسديم على أنها «أُور الكلدانيين»، المأخوذة عـلى أنها في بلاد العراق، تأتي من السبعونية اليونانية (السبتواجنت)، وهي تمثل بالتالي سوء تأويل جغرافي يعود إلى العصر الهيليني. انظر الفصل ١.

(٣) هناك عملياً «بيت إيل» تسمى بيت أولى (**بيـت ءول**) في فلسطين، في منطقة الخليل. وعلى مسافة معقولة الى الشرق، عبر البحر الميت، هناك «عاي» تسمى خربـة عي (**عي**) في منطقة الكرك. لكن الفاصل بين هذين الموقعين ليس جبلاً بل أغوار البحـر الميت التي تنحدر الى ما يقرب من ٤٠٠ متر تحت سطح البحر. وربما كان هـذا هو السبب في أن الباحثين التوراتيين لم يعرّفوا هذين الموقعين بأنهما «بيت إيل» و«عاي» التوراتيتان. وهذا صحيح. أمّا قول هؤلاء الباحثين بأن «بيت إيل» هي اليوم قرية «بيتين» الفلسطينيـة، وأن «عاي» هي قرية التل المجاورة لها (انظر الفصل ٧، الهامش ٧)، فهو قول لا يستقيم في حال من الأحوال. وفي قصة أبرام، كما وردت في سفر التكوين، ربما كان هناك بعض الاختلاط بين البتيلة والغي في رجال ألمع من ناحية، ومثيلتهما في بلاد زهـران ومنطقـة =

اليوم قريةالنقب في رجال ألمع. ومن هناك ذهب أبرام الى **مصريمه**، التي هي ليست مصر، كما في التعريف التقليدي، بل قرية المِصرمة (وتلفظ محليّاً المصرامة) الحالية بين أبها وخميس مشيط، حيث يقال إنه واجه مشاكل مع «فرعون» (**فرعه**) الذي يظهر أنه كان الحاكم المحلّي، أو ربّما الإله المحلي(٤). ومن هناك عاد أبرام إلى النقب (**هـ - نجب**) في رجال ألمع، وكان قد حصل في المصرمة على ثراء عظيم، ربّما عن طريق التجارة بالمواشي. ثم انتقل من النقب إلى الموقع الذي خيم فيه قبلاً بين «بيت إيل»، أي البتيلة، و«عاي»، أي الغيّ. ومن هناك ذهب أخيراً ليستقر في حرش «مَمْرا»، قرب «حبرون»، التي هي اليوم النَمِرَة (بقلب الميم الأولى الى نون) في منطقة القنفذة، القريبة من الخِربان (**خربن**، بقلب الأحرف من **حبرن**) في منطقة المجاردة المجاورة. وبالقرب من النَمِرَة، وفي منطقة القنفذة بالذات، توجد هناك إلى اليوم مجموعة من أربع قرى تسمى «قرية آل سِيلان»، و«قرية الشِّياب»، و«قرية عاصية»، و«قرية عامر»، ولا شك أن هذه القرى الأربع هي «قِرْيَة أربع» (**قريت ءربع**) التوراتية حيث كانت سارة (أي ساراي) زوجة إبراهيم (أي أبرام) تقيم عند وفاتها (التكوين ٢٣ : ٢). وفي الجوار ذاته أيضاً توجد قرية مَقْفَلَة التي

= الطائف من ناحية أخرى، وهما البطيلة وعوياء، (انظر نهاية الفصل ١٠، حيث نوقشت مسألة موقعي جرزيم وعيبال). والواقع هو أن البطيلة وعوياء هما أقرب من وادي أضم (حيث «ورية المقصود» وخيران) من البتيلة والغيّ في رجال ألمع. لكن مسار أبرام، كما يصفه سفر التكوين، يستقيم جغرافياً بالنسبة الى رجال ألمع أكثر منه بالنسبة الى بلاد زهران ومنطقة الطائف.

(٤) هناك ما لا يقل عن ٢٨ قرية في غرب شبه الجزيرة العربية ما زالت تحمل اسم **فرعه**. وان كون هذا الاسم كان اسم إله هو أمر واضح من اسم قرية آل فِراعة (ء ل فرعه) في منطقة بلّسمر. وهناك قريتان تسميان الفرعة بالقرب من أبها، حيث توجد قرية المِصرمة. و«بيت» فرعه، الذي أصيب بـ «ضربات عظيمة بسبب ساراي، امرأة أبرام» (سفر التكوين ١٢ : ١٧) كان بلا شك معبد هذا الإله في المصرمة، حيث أخذت ساراي لتقيم، بعد أن أخذت على أنها أخت أبرام وليست زوجته. راجع القصّة هذه في الأصل. ومن ناحية أخرى، ربّما كان فرعه لقباً لحكّام المصرمة في زمن أبرام.

تحمل حتى يومنا هذا اسم «مكفيلة» (في الأصل العبري **مكفله**) حيث اشترى إبراهيم حقلاً ومغارة ليدفن فيها زوجته سارة (التكوين ٢٣ : ٩ وما يلي). وقد زرت جميع هذه المواقع بنفسي وتحققت من وجودها في جوار واحد. هذا عن الدقة الجغرافية لقصة سفر التكوين إذا ما درست في ضوء خريطة غرب شبه الجزيرة العربية. ولولا وجود مقفلة و«القرى الأربع» (بالعبرية **قريت ءربع**) بالقرب من النمرة والخربان في الجوار ذاته لما أمكن الجزم بأن النمرة والخربان الموجودتين هناك هما **ممرء** و **حبرون** المقرونتان في سفر التكوين بسيرة أبرام «العبراني». ويلاحظ أن اسم أبرام (**ءبرم**) استمر في الوجود كاسم لموقعين في المنطقتين اللتين قضى فيهما الجزء الأكبر من حياته (على ما يظهر من سفر التكوين) وهما: قرية شعب البَرام (بمعنى «وادي» **برم**) في رجال ألمع، وبَرْمَة (**برم**) في منطقة القنفذة.

ومن الواضح أن سيرة حياة أبرام تركزت حول رجال ألمع والجوار العام لمنطقة القنفذة، وهي مناطق ما زالت فيها غابات كثيفة من أشجار العرعر والسرو في الارتفاعات الأعلى، وأشجار البطم والسنط (أكاسيا) وأشجار حرشية أخرى متناثرة في الارتفاعات الأدنى، تنتشر بينها المراعي والأراضي الزراعية[٥]. أمّا المصرمة التي قضى فيها أبرام فترة قصيرة من حياته، فيبدو أنها كانت في زمانها سوقاً تجارياً هاماً شبيهاً بأسواق أبها وخميس مشيط المجاورتين لها في الأزمنة الحديثة. وأراضي السراة هناك هي من أهم المناطق الزراعية في بلاد عسير، بالاضافة إلى موقعها على ملتقى طرق القوافل التجارية في المنطقة منذ أقدم العصور. ويقول سفر

---

(٥) «حرش» ابراهيم المسمى «ممرا» يتمثل اليوم بتجمعات لأشجار السنط (الأكاسيا) والطرفاء في جوار نَمِرَة والخِربان، في منطقتي القنفذة والمجاردة، وقد عاينتها بنفسي. والمسألة لم تكن أبداً مسألة «بلوطات» (كما في الترجمات القديمة للتوراة، ومنها الترجمة العربية) ولا مسألة «بطمات» (كما في بعض الترجمات الحديثة)، إذ ليست هناك غابات من شجر البلوط أو البطم في ذلك الجوار.

التكوين أن أبرام ذهب إلى **مصريمه** (أي المصرمة) في وقت كان فيه «جوع في الأرض»[٦].

هل كان كل بني اسرائيل أصلاً «عبرانيين»؟ نصوص التوراة لا تعطي جواباً قاطعاً على هذا السؤال، لكن فيها ما يشير بشكل خفي إلى أن بني اسرائيل لم يكونوا جميعاً بالضرورة من أصل «عبراني»، بل أن العنصر «العبراني» كان هو العنصر المسيطر عليهم في بداية أمرهم. وقد يستخلص هذا الواقع من قصة يوسف في سفر التكوين. ومن المعروف أن يوسف، حسب التوراة، كان واحداً من «ابناء» اسرائيل الاثني عشر الذين انتسبت اليهم «اسباط» (أي قبائل) بني إسرائيل. ويوسف، من بين «أبناء» اسرائيل هؤلاء، هو وحده الموصوف شخصياً في سفر التكوين على أنه عبراني: **ءيش عبري** أي «رجل عبراني»، أو **عبد عبري** أي «عبد عبراني»، أو **نعر عبري** أي «غلام عبراني» (التكوين ٣٩ : ١٤ و١٧، ٤١ : ١٢). ولم يوصف أي من «إخوته» شخصياً بهذا الوصف، مع أنهم وصفوا جمعاً بأنهم «عبرانيون» (كما في ٤٣ : ٣٢). ويقول سفر التكوين أن يوسف بيع كعبد في «مصر» (**مصريم**)، التي هي اليوم إما المصرمة، في جوار أبها، أو مَصر (**مفرد مصريم**) في وادي بيشة. وقبل ذلك كان يوسف يعيش مع أبيه في «حبرون»، التي جرى تعريفها قبلاً بأنها الخِربان في منطقة المجاردة، في حين أن «إخوته» كانوا يرعون القطعان قرب «شكيم»، أي الكشمة في رجال ألمع (التكوين ٣٧: ١٣- ١٤). ويستخلص من ذلك أن يوسف الموصوف وحده شخصياً بِـ «العبراني» من بين «اخوته»، كان يقيم في المكان ذاته الذي كان يقيم فيه قبلاً أبرام الموصوف أيضاً بِـ «العبراني». والتوراة لا تحدّد «حبرون» كمحل الإقامة لأي من «إخوته» في أي وقت من الأوقات. وعندما أُرسل يوسف ليتفقّد

---

(٦) حتى وقت قريب كانت وديان الجانب البحري من عسير تتعرض دورياً لغزوات الجراد، وهو ما قد يفسر «المجاعات» التوراتية هناك (انظر الفصل ٣).

إخوته في «شكيم» وأخفق في العثـور عليهم هناك، تبعهم إلى «دوثـان» (المهجأة **دتينه** و **دتن**، التكوين ٣٧ : ١٧)، التي هي اليوم الدَثَنَة من قرى جبل فيفا في داخل منطقة جيزان[٧]. وهناك ألقى «إخوة» يوسف القبض عليه وباعوه إلى قافلة من التجار المارّين هناك في طريقهم إلى **مصريم**. وعند سفح جبل فيفا يمر الشعب الجبلي الضيق الذي يصل منطقة جيزان بأراضي عسير الداخلية. وهذا يفسر لماذا كانت قوافل التجار تمر بالقرب من الدثنة في طريقها إلى المصرمة، أو إلى مصر، وكلاهما في حوض وادي بيشة. وتقول القصّة إن هؤلاء التجار أخذوا يوسف معهم إلى **مصريم** ليبيعوه كعبد هناك. وبعد ذلك، تبعه «إخوته» (وكذلك «أبوه») إلى **مصريم** (أي المصرمة أو مصر) هرباً من الجوع في موطنهم الأصلي، كما فعل جدّهم أبرام قبلاً.

وطغيان العنصر «العبراني» بين الاسرائيليين يشير إليه الدور البـارز المعطى ليوسف بين «اخوته» بعد أن هاجر جميعهم الى أرض المصرمة أو مصر (ربمـا كانت مصر، نـظراً لأن من الأصح تـرجمـة **ءرص مصـريم** العبـرية الى «أرض أهـل مصر»، حيث تكون كلمـة **مصري**، وجمعهـا **مصريم**، النسبة الى مصر). وعند اقامتهم هناك، أصبح كـل «الأخوة» من «ابناء» اسرائيل، وذريتهم من بعدهـم، يعرفون بكونهم «عبرانيـين» (التكوين ٤٣ : ٣٢، والخروج ١ : ١٥ ومـا يلي و١٩، ٢ : ٦ و٧ و١١ و١٣، ٢١ : ٢)، وكذلك عرف الههم **يهوه** بأنه «اله العبرانيـين» (انظر أعلاه). وبعد ظهور بني اسرائيل كشعب تاريخي ذي شأن، لم يعد تعبير «عبراني» يستخدم إلا نادراً للاشارة اليهم. وتحديـداً، لم يستخدم هـذا التعبير في الأسفار التاريخية للتوراة الاّ لتمييز بني اسرائيل إثنياً عن شعوب أخرى عاشوا بينها أو وجدوا بينها (صمـوئيل الأول ٤ : ٦ و٩، ١٣ : ٣

---

(٧) قد تكون التهجئة المنوعة للاسم ناجمة عن الخلط بين الدثنة هذه وما هو اليوم قرية الدثينة في وادي أضم ،حيث كانت أرض قبيلة يوسف في وقت لاحق (انظر الفصل ٦ والملحق).

و١٩، ١٤ : ١١، يونان ١ : ٩).

واللغة التي عرفت بكونها اللغة «العبرية»، أو «العبرانية»، لم تكن - بالتأكيد - لغة بني اسرائيل و«العبرانيين» وحدهم. وفي أيامها كانت هذه اللغة واسعة الانتشار لا في غرب شبه الجزيرة العربية فحسب، بل أيضاً في أماكن أخرى، ومنها فلسطين وما يليها شمالاً من غرب الشام. وقد كانت اللغة العبرية، كما لوحظ سابقاً، تعرف بـ **سفت كنعن**، أي بـ «لغة كنعان»، ومنها لغة التوراة وغيرها من اللهجات الكنعانية القديمة، ومنها الأوجاريتية والفينيقية. ويبقى الواقع الذي لا شك فيه، وهو أن بني اسرائيل الذين اعتبروا انفسهم «عبرانيّين» إثنياً بشكل خاص، كانوا هم الذين خلّدوا **سفت كنعن**، أي لغة كنعان، كما كانت محكية في غرب شبه الجزيرة العربية في زمانهم. ولذلك يصح تسمية لغة التوراة باللغة العبرية.

١٤ ـ ماذا عن الفلستيّين*

كتب أحد كبار الباحثين التوراتيين يقول: «الفلستيون، بين شعوب العهد القديم، هم من الأكثر وضوحاً والأكثر إثارة للحيرة في آن معاً»(١). واثارتهم للحيرة لا تبدو مبعث دهشة، إذ ان الباحثين دأبوا على البحث عن موطنهم التوراتي في المكان الخطأ. ولأنه أشير إلى الفلستيين في بعض الفقرات التوراتية على أنهم «كريتيون» (كـرتي، نسبة الى كـرت)، فقد ساد الاعتقاد بأنهم كانوا في الأصل «شعب بحر» من أصل عرقي غامض توطّن اصلاً في جزيرة كريت في البحر الأبيض المتـوسط، ثم انتقل من هناك واستقرّ في ساحل فلسطين. وكيفية تسمية فلسطين باسمها هذا بعد أن استوطنها فلستيو غرب شبه الجزيـرة العربيـة هي مسألـة بحثت قبلاً (انظر الفصل ١). والأمر المؤكد هو ان الفلستيين الـذين تتحدث عنهم التوراة العبرية لم يكونوا فلستيّو فلسطين، ولا هم أتوا على كلّ حال من جزيرة كريت. ولا بد أن كرت التوراتية (صموئيـل الأول ٣٠: ١٤، صفنيـا ٢: ٤ ـ ٥، حـزقيـال ٢٥: ١٥ ـ ١٦) كـانت وادي كَـريث (كرث)، وهو رافد لوادي تَيَّةْ في مرتفعـات رجال ألمـع. وهناك واحـة

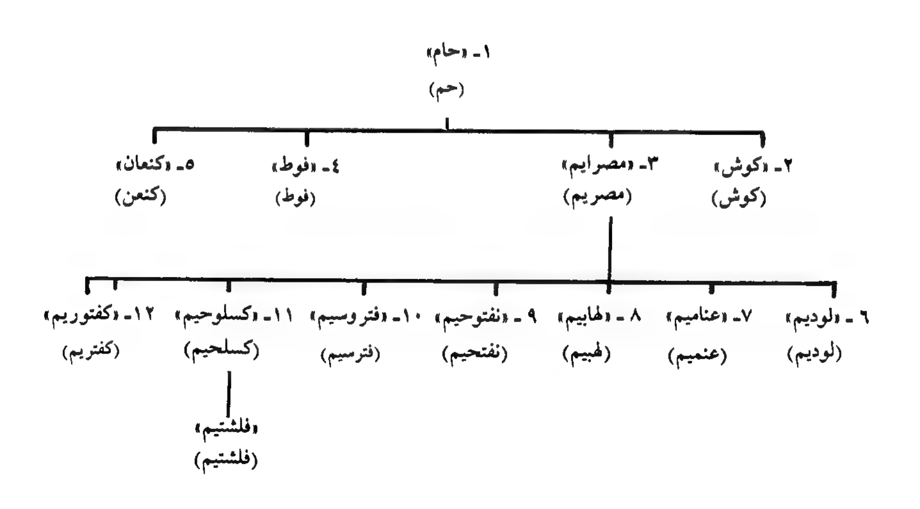
---

* هذه هي الترجمة الصحيحة لكلمة Philistines، التي ترد عادة في الترجمـة العربيـة للتوراة العبرية «الفلسطينيون» مما يوحي النسبة الى أرض فلسطين خطأً ـ المترجم. والواقع هو أن اسم أرض فلسطين هو تحريف لاسم شعب الفلستيين وليس العكس.

(١) K. A. Kitchen, «The Philistines», in D. J. Wiseman, ed., **Peoples of Old Testament times** (Oxford, 1973), p. 53.

تسمى الكَراث (كرث) في وادي بيشة، حيث هناك أيضاً قرية تسمى الفَلْسَة (قارن مع العبرية فلشت، التي يكون جمع النسبة إليها فلشتيم، أي «فلستيين»). وهناك كراث أخرى قرب غُمَيْقَة في منطقة الليث، وثالثة في وادي أضم من منطقة الليث، حيث توجد أيضاً قرية اسمها الفَصيلة (ربما الاسم تحوير عن فلشت بقلب الأحرف، وقد تحولت فيه الشين في اللفظ المحلي الى الصاد وليس الى السين المعتادة).

ولعلّ أفضل طريقة لمعالجة مسألة الفلستيين التوراتيين هو الدخول في الموضوع مباشرة، ومحاولة تحديد الهويّة التاريخية لهؤلاء الفلستيين دون الالتفات الى ما قاله علماء التوراة في شأنهم حتى الآن. والمعروف أن «لائحة الأمم» الشهيرة في الاصحاح ١٠ من سفر التكوين[٢] تصنف الفلستيين (فلشتيم) بين نسل حام، ابن نوح، كما هو مبين في اللائحة التالية المأخوذة عن سفر التكوين ١٠ : ٦، ١٣-١٤ :



(٢) وهي ليست «لائحة أمم» بقدر ما هي جدول بقبائل غرب شبه الجزيرة العربية ومجتمعاته، كما سنرى بعد قليل. وسفر التكوين عبارة عن ديوان جمعت فيه الاساطير المتعلّقة بأصول =

ومع الأخذ في الاعتبار ان الفلستيين التوراتيين كانوا جيراناً لبني اسرائيل، وأن بني اسرائيل، كما أوضح قبلاً، كانوا فعلاً من أهل غرب شبه الجزيرة العربية، فان الأسماء الواردة في هذه اللائحة يمكن أن تعرّف من خلال جغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية، كما يلي:

١ - «حام» (**حم**): ربما كانت الحمّ في منطقة القنفذة، أو الحمّ، في منطقة قنا والبحر.

٢ - «كوش» (**كوش**): الكوثة في جوار خميس مشيط (انظر الفصل ٤)[٣].

٣ - «مصرايم» (**مصريم**): ربما كانت هنا مضروم (**مضروم**) في سراة غامد. والمرجّح أنها إما المصرمة في جوار أبها، أو مصر في وادي بيشة (انظر الفصل ١٠)، أو آل مَصْري (**ءل مصري**، نسبة الى **مصر**) في منطقة الطائف. ويحتمل ايضاً أنها اشارة الى مستوطنين مصريين حلّوا في هذه الأماكن فعرفت باسمهم، علماً بأن **مصريم** العبرية (وهي مثنّى **مصر**، أو «أرض») هي الترجمة الحرفية لِـ **طاوي**، وهي الاسم المثنى لبلاد مصر في اللغة المصرية القديمة، بمعنى «المصرين»، أي «الأرضين». و **طاوي** (وهو الاسم المصري القديم لمصر) موجود أيضاً إلى اليوم كاسم مكان في غرب شبه الجزيرة العربية، وهو القرية المسماة خطم طاوي في رجال ألمع.

= القبائل والحواضر القديمة في شبه الجزيرة العربية بما فيها الأساطير المتعلقة بأصل بني اسرائيل (انظر الفصل السابق). والفكرة السائدة بأن سفر التكوين عبارة عن محاولات لتوضيح أصول عالم أوسع يشمل جميع بلاد الشرق القديم هي فكرة غير صحيحة وحريّة بالاهمال.

(٣) يمكن للاسم كوش أن يتمثل أيضاً بـ «كيسة» (**كيس**) وكوس (**كوس**) في منطقة جيزان، وبـ «كِواث» (**كوث بلا تصويت**) قرب غُمَيْقَةْ، في منطقة الليث.

٤ ـ «فوط» (**فوط**): الفاتِيَة (**فت**) في منطقة القنفذة، أو الفوايط (صيغة جمع عربية من **فوط**) في رجال ألمع. وربما قلب الاسم أيضاً إلى الطائف (**طءف**)، وهو اسم أربعة أماكن في الحجاز وعسير.

٥ ـ «كنعان» (**كنعن**): آل كُنعان (**كنعن** بلا تصويت، أي «اله كنعان») في وادي بيشة. والشعوب الكنعانية، كما ورد تعدادها في سفر التكوين ١٠ : ١٥ ـ ١٦، تحمل كلها أسماء منسوبة الى أسماء أمكنة في أجزاء مختلفة من عسير، وهي لن تعرّف هنا. ومدن الكنعانيين، التي أدرجت في سفر التكوين ١٩ لتثبيت حدود الأراضي الكنعانية، ما زالت باقية أيضاً بأسمائها التوراتية هناك، حيث توجد أيضاً قبيلة تحمل اسم القِنعان (**قنعن** بلا تصويت). والقول الغامض، في التكوين ١٠ : ١٨، بأنه «بعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني» قد يفسر السبب في امكانية العثور على بعض اسماء المدن الكنعانية التوراتية في الشام كما في غرب شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ١). وعندما قال هيرودوتس، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، أن الفينيقيين (شعب ساحل الشام الذي كان يتكلم لغة تكاد بأحرفها الساكنة أن تماثل العبرية التوراتية تماماً) «قطنوا في القديم على البحر الأحمر، وبعبورهم من ذلك المكان، استقرّوا على ساحل البحر في سورية، حيث ما زالوا يقيمون» (انظر الفصل ١)، كان يوافق من حيث لم يدر على القول الوارد في سفر التكوين ١٠ : ١٨ بأن الكنعانيين «تفرقوا» في الأرض. ومهما كان أصل «فينيقيا»، وهو الاسم الإغريقي القديم لساحل الشام، فإنه استمر في الوجود في موطنه الكنعاني الأصلي في

غرب شبه الجزيرة العربية. وهو اليوم لقرية اسمها الفَنيقا في وادي بيشة، حيث توجد أيضاً قرية آل كُنعان. وكان قد ورد بحث مسألة كنعان التوراتية قبلاً في الفصلين ١ و٤.

٦ - «لوديم» (**لوديم**): هناك لوذان في رجال ألمع، ولَوْذان في منطقة القصيم بنجد، ولِدان أو لِدّان في منطقة الطائف. وهناك أيضاً اللِدّ في منطقة الطائف، واللِدَة أو اللدَّة (أيضاً **لد**) في منطقة الليث، وجمع النسبة الى كل منهما بالعبرية يمكن أن يكون **لديم**، وبالتصويت **لوديم**.

٧ - «عناميم» (**عنميم**، جمع النسبة الى **عنم**): الغنامين (صيغة جمع النسبة بالعربية من **غنم**)، وهو اسم لقريتين في منطقة الطائف، حيث توجد هنالك أيضاً قريتان تسميان الغُنَّم، وواحدة تسمى الغَنَمَةْ. وهناك قريتان أخريان تسميان غَنَمَةْ في رجال ألمع أيضاً.

٨ - «لهابيم» (**لهبيم**): بالعربية اللهبيون (**لهبين** بلا تصويت)، أو بنو لهب، قبيلة قديمة من الأزد في اليمن، وقد قيل أنهم «أعيف العرب». وهناك أيضاً قرية تسمى اللوهابي (**لهبي** بلا تصويت) في منطقة نجران، وأخرى تسمى أبي لهب (**ءبي لهب**، بمعنى «أب» أو «اله» **لهب**) في منطقة جيزان. وبنو لُهَبَة (**لهب**) من قبائل البقوم، شرق الطائف. ويقال إن في منطقة الطائف موقع اسمه للهبان (**لهبن**)، ولم أتحقّق من ذلك.

٩ - «نفتوحيم» (**نفحتيم**، مثنى أو جمع **نفتح**، من المصدر **فتح**): المفاتيح (الجمع العربي لـ **مفتح** المشتقة من **فتح**) في منطقة الطائف. وهناك أيضاً قرية تسمى مفتاح (بالمفرد)

في جوار الشاقّة في منطقة الليث. وكإسم قبلي من غرب شبه الجزيرة العربية، يظهر الاسم «نفتوحيم» مستمراً في الوجود بشكل مختلف كإسم لقبيلة الفطاحين (**فطحن** بلا تصويت) في منطقة الطائف.

١٠ ـ «فتروسيم» (**فترسيم**، جمع للنسبة الى **فترس**): الشرفات (**شرفت** بلا تصويت)، والاسم الكامل هو حاجب بني الشرفات (اسم قبلي) في جوار البرك. وهناك أيضاً قبيلة الفرسات (**فرست** بلا تصويت) في شمال الحجاز.

١١ ـ «كسلوحيم» (**كسلحيم**، الجمع من النسبة الى **كسلح**): باتّباع التحريف الذي أصبحت به **جلعد** التوراتية الجعد (**ءل ـ جعد**، انظر الفصل ١)، وذلك باستخراج اللام الداخلية لتصبح أداة التعريف العربية، فإن **كسلح** يمكن أن تكون اليوم الحُسَكة (**ءل ـ حسك**) في شمال شبه الجزيرة العربية، أو القصح (**ءل قصح**) في وادي أضم. وهناك قبيلة في منطقة الطائف تسمى اليوم الحُسْكان (**ءل ـ حسكن**، بقلب لاحقة جمع المذكر العبرية الى لاحقة جمع عربية).

١٢ ـ «كفتوريم» (**كفتريم**، جمع **كفتر** أو **كفتري**): هي في الظاهر الفَقَرات (الجمع بالعربية لفقرة، أي **فقرت**، وهي تحوير بنقل الأحرف عن **كفتر**) في وادي بيشة أو الرَّفَقَات (**رفقت**) في منطقة جيزان. واسما المكانين لهما بنية الأسماء القبلية.

١٣ ـ **فلشتيم** (أو «الفلستيين») (الذين قيل انهم من نسل «كسلوحيم»، وبالتالي يحتمل أن يكون أصلهم يعود الى وادي أضم، ومنه انتشروا إلى أقاليم أخرى): بالعبرية

> **فلشتيم** هي جمع **فلشت** أو جمع النسبة اليها **فلشتي**): الفَلْسَة في وادي بيشة، وشلفى (ربما شلفة، أي **شلفت** في الأصل) قرب أبها، وفصلة في منطقة القنفذة، وأربع قرى تسمى الفصيلة، ومنها اثنتان في مرتفعات زهران، وواحدة في وادي أضم في منطقة الليث، وواحدة في بني شهر، جنوب شرق القنفذة.

من الواضح، إذن، ان الفلستيين التوراتيين كانوا من شعوب غرب شبه الجزيرة العربية الذين جاوروا بني اسرائيل في القدم، ليس فقط على امتداد ساحل البحر الأحمر بل ربما أيضاً في مرتفعات السراة وفي حوض وادي بيشة في الداخل. وكونهم كانوا يتكلمون اللغة نفسها التي تكلمها العبرانيون والاسرائيليون هو أمر يتضح من الأسماء الشخصية لرؤسائهم أو «ملوكهم»، كما جاء في بعض النصوص التوراتية، كأسماء «أبيمالك» (**ءبي ملك**، من **ملك** بمعنى «الملكية الامتلاك»، أو «المَلِك»)، و«أُحُزَّات» (**ءحزت**، وربما كانت جمع **ءحزه**، وبالعربية «الأخذة» بمعنى «الملكية أو الامتلاك»)، وفيكول (**فيكل**، التكوين ٢٦ : ٢٦، قارن مع الاسم العربي القديم «أفكل»، ويفيد معنى الارتعاد خوفاً أو برداً)[٤]. وكان الفلستيون، بلا شك، يختلفون عن الاسرائيليين في الدين، وكذلك في العادات. وتشير التوراة العبرية اليهم بطريقة خاصة على أنهم «الغلف»، أي «غير المختونين» (القضاة ١٤ : ٣، ١٥ : ١٨، صموئيل الأول ١٤ : ٦، ١٧ : ٢٦ و٣٦، ٣١ : ٤، صموئيل الثاني ١ : ٢٠، أخبار الأيام الأول ١٠ : ٤). وعبد الفلستيون آلهة مختلفة للأرض، ولكن الههم الخاص كان «داجون» (**دجون**، من **دجن**، أي «حنطة») الذي كان له مقام في «غزة» (القضاة ١٦ : ٢١-٢٣) و«أشدود» (صموئيل

---

(٤) «فيكول» اعتبرت حتى الآن اسماً «غير سامي»، وبالتالي فان ك. آ. كيتشن يعلق قائلاً: «أخيراً، وعلى المستوى اللغوي، فان اختلاط (الأسماء) السامية (أبيمالك وأحزّات) وغير السامية (فيكول)... يظهر تشرب الغرباء (كذا) للبيئة السامية».

الأول ٥ : ١ وما يلي). و«غزة» و«أشدود» كانتا اثنتين من المدن الرئيسية الخمس للفلستيين في عسير الساحلية، وأسماء مقامات «داجون» ما زالت موجودة في جوارها، كما يظهر في التعريفات التالية للمدن الخمس:

١ - «غزة» (عـزه): العَزَّة في وادي أضم (منطقة الليث). وفي الجوار نفسه توجد قرية دغما (**دغـم**، المحولـة عن **دغن**، أي **دجن**، مع لاحقة أداة التعريف الآرامية)، ناهيك عن دغونة (**دغن** بلا تصـويت) الواقعـة عبر الشق المـائي من وادي أضم، في منطقة الطائف. وهناك دغونة أخـرى في منـطقة عفيف بنجـد. وفي وادي أضم أيضاً قـريـة الدقم (**دقم**، قارن مع دجن) وأربع قرى أخرى اسمها الدقم في مناطق مختلفة من الحجاز. وهناك «غزّات» (جمع «غـزة») أخريات في عسير الساحلية، هي العَزَّة في منطقة المجاردة، وآل عَزَّة (**ءل عزه**، «إله عزة»، وهو «داجون» بلا شك) في منطقة بلّسمر، وعَزّ (**عز**، من دون أداة التعريف ولاحقة التأنيث) قرب البرك. ويلاحظ أن اسم «عزّة» في جميع هذه الأحوال يلفظ بالعين، تماما كما هو وارد في التوراة، وليس بالغين كما هو الحال بالنسبة الى غزة الفلسطينية، مع العلم بأن الغين باللفظ العربي قد تقابل العين في الكتابة العبرية التي لا وجود لحرف الغين فيها.

٢ - أشدود (**ءشدود**): السـدود في رجال ألمـع، حيث توجـد أيضاً قرية تسمّى ذروة آل دَغْمة («قمـة» الإله **دغم**، أي «داجون»). وهناك «أشدودات» (جمع «أشدود») أخريات في غرب شبه الجزيرة العربية، ومنها قريتا السِداد في منطقة جيزان، والشَديد في منطقة مكة المكرمة. وهناك أيضاً قرية اسمها السِّداد في منطقة الطائف، وهي غير بعيدة عن قرية دغونة هناك.

٣ ـ «أشقلون» (**ءشقلون**): هي إما شقلة (**شقل**، بدون لاحقة التعريف الساميّة القديمة) في جوار القنفذة، أوثقالة (**ثقل**، أيضاً بدون لاحقة التعريف) في الجوار نفسه، وربما الاثنتين. وعسقلان (**عسقلن**) الفلسطينية يمكنها أن تكون الاسم نفسه، باستثناء أنها تبدأ بالصوت الاحتكاكي البلعومي (وهو العين)، بدلاً من الوقفة الحنجرية (وهي الهمزة) في **ءشقلون**. وقد تنقلب الهمزة الى عين (والعكس بالعكس) بين اللغات واللهجات الساميّة في اللفظ.

٤ ـ «جَتّ» (**جت**): الغاط (**غط** بلا تصويت) في منطقة جيزان (انظر الفصل ١٠). وبين أكثر من «جتّ» في غرب شبه الجزيرة العربية، هنالك الغَطي (أيضاً **غط** بلا تصويت) في بلاد زهران، حيث توجد أيضاً قرية تسمى آل دُغمان (**ءل دغمن**، «الإله داجون»، حيث تحمل **دغم** هنا لاحقة التعريف القديمة).

٥ ـ «عقرون» (**عقرون**): عِرقَيْن (بقلب الأحرف) في وادي عِتْوَد الفاصل بين رجال ألمع ومنطقة جيزان، إلا إذا كانت الجرعان (أيضاً بنقل الأحرف من **عقرون**) في رجال ألمع.

ومهما كانت الأماكن الأخرى التي وجد فيها الفلستيون التوراتيون في غرب شبه الجزيرة العربية، فقد كانت لهم مدنهم الخمس الرئيسية، بلا شك، في الجانب البحري من عسير وجنوب الحجاز. ويظهر أن مركزهم الأساسي كان في الأراضي المحاذية لساحل تهامة، من جوار الليث في الشمال إلى جوار جيزان في الجنوب، وذلك حتى زمن ملوك اسرائيل الأوائل الذين قضوا عليهم أو على وجودهم المستقل في تلك المناطق[٥].

---

(٥) ربما كان في ذلك ما يفسّر هجرة الفلستيين إلى الشام حيث أعطوا اسمهم لأرض فلسطين. ويبدو أن بعض الفلستيين الذين بقوا في موطنهم الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية =

وقد كانت أراضيهم هناك متداخلة مع أراضي بني اسرائيل والشعوب المحلية الأخرى. وليس في التوراة العبرية ما يفيد بأنهم كانوا في الأصل مستوطنين غرباء في البلاد، وصلوا إليها كـ «أهل بحر» من الخارج. وهذا الرأي ما هو إلاّ من تصوّر الباحثين التوراتيين، وليس هناك ما يسنده إطلاقاً. ولتبيان مدى قرب التعايش جنباً إلى جنب بين الفلستيين وبني اسرائيل في المناطق نفسها من الحجاز وعسير، ندرج فيما يلي تحليلاً طوبوغرافياً لقصة شمشون، التي جرت أحداثها كلها تقريباً في بلاد زهران، في جنوب الحجاز. والقصة مروية في سفر القضاءة ١٣ ـ ١٧ :

ولد شمشون في هضاب تهامة زهران، في قرية الـزرعة (قـارن مع صرعه بالعبرية). وكان والداه من عشيرة «دان» (دن) التي كانت تحمل اسم ما هو اليوم قرية الدنادنة (الجمع بالعبرية لـ دني، التي هي النسبة الى دن) في الجوار نفسه. وابتـدأ «روح الرب» (أو «روح يهـوه») يحركـه في المحنى (محن) قـرب الدنـادنة (محنـه دن التوراتيـة، التي ترجمتهـا التوراة العـربيـة «محلّة دان») ، بين زرعة والإشتاء (ءل ـ ءشت، وهي عكس للكلمـة الأصلية ءشتءل أو ءشت ءل، «أشتـأول» ، التي تعني «امرأة الله»، أو «زوجة الله»). وبحث شمشون لنفسه عن زوجة بين الفلستيين في «تِمْنَة» (تمنته، وربما كانت التهجئة مختلطة)، ويظهر أنها المَثْنَة (مثنت) الحالية، وهي من قرى الشّاقة اليمنية بمنطقة الليث، إلى الشمال من تهامة زهران. وكان هجومه الأول على الفلستيين موجها ضد شقلة أو الثقالة في منـطقة القنفـذة («أشقلون»، انظر أعـلاه). ثم ذهب شمـالاً ليقيم في غطمة (وهي بالعبرية عيطم) في وادي أضم.

وانتقاماً لما عمله شمشون في شقلة أو ثقالة، غزا الفلستيون «لحي»

= تحوّل إلى اليهوديـة، ومنهم الفَلَشَة (فلشت)، وهم اليـوم يهود الحبشـة الذين يعتبرون أنفسهم من نسل الملك سليمان وملكة سبأ.

(لحي) في أرض «يهودا»، التي هي اليوم لَخْيَة (لخي) في وادي أضم. وتوجد بالقرب من هناك، وحتى اليوم، قريتا ذا الرامة (رم، وبالمؤنث رمت) وذا الحميرة (حمر). وقيل إن شمشون ضرب ألفاً من مهاجميه الفلستيين «بلحي حمار» (بـ ـ لحي حمور)، التي يمكنها أن تعني سواء «بفك حمار» أم «في لخية حميرة» (أي في لخية الواقعة بالقرب من ذي الحميرة). وكانت الرواية تهدف طبعاً إلى تفسير أصول اسمي المكانين. والموقع الذي جرت المعركه فيه، استناداً إلى الرواية، سمي فيما بعد «رَمَتِ لحي» (رمت لحي، التي تعني سواء «تلة الفك» أو «رامة لخية»). والإشارة هي طبعاً إلى قرية ذا الرامة في ذلك الجوار. والنبع الذي انتعش شمشون بمائه وشرب منه هناك سمي «عين هَقُوري» (عين هـ ـ قورء)، في مكان هو اليوم قرية القَرى (قرء، مع لاحقة التعريف الآرامية كما هي واردة في الاسم التوراتي)، في وادي أضم.

والمرأة الفلستية دليلة، التي اتخذها شمشون عشيقة له، والتي أغوته وأوصلته إلى نهايته المأسوية، جاءت من «وادي سورق» (نحل شورق)، التي هي اليوم على الأرجح شُروج في وادي أضم، إلا إذا كانت الشارقة أو الشَرْك في منطقة القنفذة. وانتهى أمر شمشون، كما هو معروف في «غزة» (عزه) التي هي العَزَّة في وادي أضم (انظر أعلاه)، ودفن بين الزرعة (صرعة) والإشتاء (ءشتءل) في تهامة زهران.

يمكننا أن ننتقل من النظر في جغرافية قصة شمشون الى ملاحقة أحاجيه الشهيرة. وهذه لم تكن أكثر من ألغاز متوارثة وضعت اصلاً لتفسير بعض أسماء الأمكنة، وللمحافظة على الذاكرة الشعبية للصلات القبلية بين سكّان بعض الحواضر المتفرقة. وقد نسبت هذه الألغاز في سفر القضاة الى شمشون، ونسجت حولها قصص تتعلّق بسيرته.

وكما رأينا قبلاً، فان قصة شمشون و«فكّ الحمار» وضعت لتفسير اسمي مكانين في وادي أضم هما حالياً لخية (لحي) وذا الحميرة (حمور).

ومن القصص الأُخرى التي يرويها سفر القضاة عن شمشون (١٤ : ٥ ـ ٩) هو أنه قتل اسداً ذات يومٍ وشقّه، ثم عاد اليه بعد أيّام فوجد فيه دبراً من النحل وعسلاً. ولذلك قيل عنه انه «من جوف الأسد اشتار العسل» (**م ـ جويت هـ ـ ءريه رده هـ ـ دبش**). وفي هذه القصّة والقول الملحق بها محاولة لتفسير اصول ثلاثة اسماء لثلاثة أماكن هي **جويه** (أي «جوف»)، **وءريه** (أي «أسد») **ودبش** (أي «عسل»). وهذه الأمكنة الثلاثة هي اليوم الجَوَّة (وربما الجِواء أو الجَوّ، وجميعها **جويه**) في وادي أضم، وورية (**ءريه**) في الجوار نفسه، والدبش (**دبش**) من قرى حلي في منطقة القنفذة. وبغضّ النظر عن القصة، فهناك في القول الملحق بها لغز يشير الى علاقة تاريخية بين قريتي الجَوّة في وادي أضم والدبش في منطقة القنفذة. ذلك أن الجملة العبرية **م ـ جويت هـ ـ ءريه رده هـ ـ دبش** تعني حرفياً «من جوف الأسد اشتار الأسد»، وقد تترجم أيضاً على أنها تعني «من جَوّة ورية اشتار الدبش». ويفهم من ذلك أن قرية الدبش في منطقة القنفذة كانت في وقت ما مستعمرة لاناس هاجروا اليها من الجَوَّة المنسوبة إلى ورية في وادي أضم. وفي ربط هذا القول بقصّة شمشون واستخراجه «العسل من جوف الأسد» تلميح خفيّ بأن استعمار اهالي الجوَّة لقرية الدبش حدث في زمانه وتحت رعايته.

ويضيف سفر القضاة بأن شمشون صنع وليمة لأصحابه بعد أن استخرج العسل من جوف الأسد، وطرح عليهم احجية تشير الى صنعته العجيبة. والأحجية في الترجمة العربية هي: «من الآكل (**م ـ هـ ـ ءكل**) خرج أكلٌ (**مءكل**)، ومن الجافي (**م ـ عز**) خرجت حلاوة (**متوق**)» (القضاة ١٤ : ١٤). وهذه الأحجية، ولا شك، تعالج مجموعة أخرى مؤلفة من مجتمعين اصليين ومستعمراتها، والمعنى الخفي في الأحجية هو: «من **هـ ـ ءكل** (اسم المكان الأصلي) خرج **مءكل**(اسم المستعمرة)، ومن **عزّ** (اسم المكان الاصلي) خرجت **متوق** (اسم المستعمرة)». وللأحجية هذه حلّ لم يتوصّل اليه اصحاب شمشون، ولا يفصح عنه

سفر القضاة، وهو أنه «من الكولة (في منطقة القنفذة) خرجت مكيلة (في منطقة قنا والبحر)، ومن العزّ (في جوار البرك) خرجت المثقة (في منطقة القنفذة)». وفي ذلك ما يشير إلى حدثين تاريخيين منسيّين، وهما استعمار اهالي الكولة في وقت ما لمكيلة، واستعمار اهالي العزّ للمثقة. وفي الأحجية هذه ايضاً، كما في القول السابق، تلميح خفي بأن هذا الاستعمار ربّما حدث في أيام شمشون وتحت رعايته.

وتقول القصة انه عندما فشل اصحاب شمشون في حلّ هذه الأحجية، طلبوا من زوجته الفلستية (وهي غير عشيقته دليلة) أن تتملّقه حتى يظهر لها الحلّ، فتأتيهم به. فلما تمّ لها ذلك، لم تعط حلّ الأحجية لاصحاب شمشون، بل اعطته «لبني شعبها»، وهم الفلستيون. فلما فاجأ هؤلاء شمشون بالحلّ، اغتاظ منهم وأجابهم باللغز التالي: «لو لم تحرثوا على عجلتي (بـ ـ عجلتي، وبدون ضمير المضاف اليه **عجله**) لما عرفتم أحجيتي (**حيدتي**، وبدون الضمير **حيده**)». وفي هذا اللغز تلاعب بكلمة **عجله** التي تعني بالعربية «العجلة»، وهي ايضاً اسم مكان في عسير هو اليوم العَجْلات (**عجلت** بلا تصويت) من قرى تهامة بني شهر، وكذلك بكلمة **حيده** التي تعني «الأحجية»، وهي أيضاً اسم مكان آخر هو اليوم الحَيْد من تهامة بني شهر (وليس حَيْدَة في سراة بني شهر). والعَجْلات وحَيْد قريتان متجاورتان في المنطقة نفسها، كما هو واضح. وما يقوله اللغز هو: «لو لم تحرثوا في العجلات (بـ ـ **عجلت**) لما عرفتم الحيد (**حيده**)». والظاهر أن هذا الكلام هو مثل قديم، ومعناه أن اهل الجوار هم أعلم الناس بما هو فيه.

لن نستطيع، طبعاً، أن نعيد النظر هنا في جميع الاشارات التوراتية الى الفلستيين لأن ذلك يذهب الى أبعد من مرمى هذا الكتاب. لكن لا بدّ من إشارة موجزة الى ما يقوله سفر صموئيل الأول ٦ : ١٨ عن امتداد الأراضي التي كان يوجد فيها الفلستيون. والنصّ بالعبرية هو كما يلي:

كل عري فلشتيم . . . **م ـ عير مبصر و ـ عد كفر هـ ـ فرزي** . والترجمة العربية للنص هي التالية: «جميع مدن الفلسطينيين. . من المدينة المحصنة (**م ـ عير مبصر**) الى قرية الصحراء (**و ـ عد كفر هـ ـ فرزي**). ولا يمكن للمرء تصور ترجمة أقل دقة من هذه. وذلك ينطبق أيضاً على سائر الترجمات المقبولة للنصّ. وعملياً، **م ـ عير مبصر** تعني ببساطة «من مدينة **مبصر**»، وهي اليوم قرية مِضبر (بقلب الأحرف من **مبصر**) في ناحية الحُرَّث في أقصى الجنوب من منطقة جيزان. أما **عد كفر هـ ـ فرزي** فلا يمكنها أن تعني إلا «الى قرية **هـ ـ فرزي**»، وهذه القرية هي اليوم قرية الفِرضة في وادي أضم (**فرزي** العبرية هي عملياً صيغة النسبة إلى **فرز** أو **فرزه**، وتعني «أهل الفِرضة»). وهكذا، واستناداً إلى التحديد الجغرافي لأراضي الفلستيين، فان هذه الأراضي كانت تمتد في كامل المسافة بين حدود اليمن في الجنوب وحتى وادي أضم في الشمال. وهذا يعني أنه لم تكن هنالك حدود جغرافية بين أراضي الاسرائيليين وأراضي الفلستيين في غرب شبه الجزيرة العربية في الوقت الذي تواجد فيه الفلستيون إلى جانب بني اسرائيل هناك. وجلّ ما في الأمر أن الفلستيين انتهى أمرهم كشعب له شأنه في تلك الأرض قبل انتهاء شأن بني اسرائيل بخمس مئة سنة تقريباً.

١٥ ـ الأرض الموعودة

الوعد الذي قطعه «الرب» يهوه لأبرام العبراني، على ما تقوله التوراة العبرية (التكوين ١٥ : ١٨)، جاء بالترجمة العربية كما يلي: «لنَسْلِك أعطي هذه الأرض من نهر مِصر (نهر مصريم) إلى النهر الكبير (هـ ـ نهر هـ ـ جدول)، نهر فُرات (نهر فرت)». فهل يعقل أن يكون بنو اسرائيل قد تصوّروا في زمانهم، وهم الشعب الصغير الذي قضى معظم تاريخه في ظلّ الامبراطوريات المصرية والعراقية العظيمة، بأن أرضهم الموعودة تمتد فعلاً من النيل المصري إلى الفرات العراقي لتشمل معظم بلاد الشرق الأدنى، بما فيها الشام بأسره؟ أو هل أن للوعد الوارد في سفر التكوين تفسيراً جغرافياً آخر؟

هناك إجماع بين علماء التوراة بأن سفر التكوين لم يوضع إلاّ في وقت متأخّر، وذلك بعد مدّة طويلة من قيام مملكة «كلّ اسرائيل». وقد رأينا في الفصول السابقة كيف أن أرض هذه المملكة كانت تشمل مرتفعات السراة من عسير الجغرافية (وهي «اسرائيل») وما يليها غرباً من جبال تهامة ووهادها (وهي «يهوذا»). ويبدو أن واضعي سفر التكوين حاولوا تفسير هذا الأمر التاريخي الواقع باعطائه شرعية دينية. فقالوا بأن الأرض التي تمكن بنو اسرائيل من السيطرة عليها وإقامة دولتهم التاريخية فيها كانت بالفعل أرضاً موعودة لجدّهم ابراهيم من «الرب» يهوه. وكانت هذه الأرض، كما سبق، تمتد من منطقة جيزان عند حدود اليمن، الى

وادي أضم ومرتفعات الطائف المحاذية لهذا الوادي في جنوب الحجاز. وهكذا، فإن **نهر مصريم** في وعد **يهوه** لأبرام العبراني لم يكن نيل مصر، بل وادي لِيَة (أو أحد روافد وادي لِيَة) الذي ينبع من الجبال اليمنية، ومجرى هذا الوادي في ناحية سامطة، بجنوب منطقة جيزان. ويبدو أن هذا الوادي عُرف في الأزمنة التوراتية باسم **نهر مصريم** أو **نحل مصريم** نسبة الى قرية من حوض هذا الوادي تعرف اليوم بالمصرم (انظر الفصل ٤، هامش ٢). أما «النهر الكبير»، **نهر فرت**، فهو بدون أدنى شك وادي أضم حيث هناك الى اليوم قرية «الفرت» وقريتا «الفرات السفلى» و«شعبة الفرات». إذن، لم يكن هناك لا نيل مصري ولا فرات عراقي في وعد «الرب» **يهوه** لأبرام كما تصوّره التوراة في الأصل.

ويعدّد سفر التكوين (١٥: ١٩ ـ ٢١) أسماء عشرة شعوب أو قبائل من السكّان الأصليين للأرض الموعودة هذه، ومنهم خمسة من الأقوام «الكنعانية» (انظر الفصل ١٤). وأسماء هذه الأقوام كلها ما زالت موجودة كأسماء قبائل أو أمكنة في أجزاء مختلفة من عسير والحجاز، ومعظمها في «يهوذا»، أي الى الجانب الغربي من السراة. وفيما يلي تعريف للأسماء المذكورة:

١ ـ «القينيون» (قيني، نسبة الى قين): قبيلة القَوَايِنَة (المفرد قَوْني) الحالية بوادي بِسْل، جنوب الطائف. وهناك ايضاً أسماء أمكنة لا تفترق عن الاسم التوراتي وهي: القاني في منطقة جيزان، والقَنّ في منطقة بلَّسمر، وقنا أو القنا (وهي أربع قرى بالاسم نفسه، احداها في منطقة قنا والبحر، والثانية في مرتفعات ظهران الجنوب، والثالثة في منطقة القنفذة قرب حلي، والرابعة في وادي أضم)، وقَنَنْ في منطقة المجاردة، وقَنْوَة في رجال ألمع، والقَنَّة (وهي خمس قرى بالاسم نفسه، احداها في منطقة محايل، والثانية قرب

خميس مشيط، والثالثة في منطقة جيزان، والرابعة والخامسة في وادي أضم)، وآل قَنِية في سراة عبيدة، والقَنْيَة في وادي أضم.

٢ ـ «القنزيون» (**قنزي**، نسبة الى **قنز**): القنازيز (صيغة جمع بالعربية من **قنز**) في منطقة جيزان. وما زالت هناك قبيلة عربية تسمى اليوم القُنيصات (المفرد قنيصي، قابل مع **قنزي**)، وهو الاسم التوراتي بالذات في صيغة جمع المؤنث.

٣ ـ «القدمونيون» (**قدمني**، نسبة الى **قدمن**): الدَجّان (**دجن**، تحوير عن **قدمن**) في منطقة الطائف. والأخرى الأقل رجحاناً، وإن كانت ممكنة، هي قَدَمَة (**قدم**) في منطقة الليث، والقوادِمَة (الجمع العربي من **قدم**) في تهامة غامد. وهناك ايضاً اسم القِدمان (**قدمن**)، وهو اسم قبلي مشهود في شمال الحجاز.

٤ ـ «الحثيون(**حتي**، نسبة الى **حت**،أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠): الحَاثَة في منطقة الليث، والحاط في منطقة بلّسمر، والحتوة في رجال ألمع، ووادي حِتيّ في تهامة زهران، وآل حَتاحيت (**ءل حتحت**، «اله قوم **حت**») في وادي أضم. والى هذا، فقد وردت «حتاحيت» في التراث العربي كاسم لقبيلة عربية.

٥ ـ «الفرزيون» (**فرزي**، نسبة الى **فرز**): آل فَرزان (**ءل فرزن**، **فرز** مع لاحقة التعريف القديمة) في بني شهر، وفُرْضَة أو الفرضة (قارن مع **فرز**) وهو اسم لأربع قرى، احداها في منطقة جيزان، واثنتان في وادي أضم، وواحدة في منطقة المجاردة. ولعلّ هناك علاقة بين الاسم **فرزي** وأسماء القبائل العربية الحالية التالية: الصفارين (المفرد **صفري**، قابل مع

فرزي) في جنوب عسير، والظوافرة (المفرد ظافري، وبلا تصويت ظفري) في جنوب الحجاز، والفَرَسات (المفرد فَرْسي) في شمال الحجاز.

٦ ـ «الرفائيون» (رفءيم، مثنى أو جمع رفء، أو النسبة اليها رفءي): الرَفَة في منطقة جيزان، ورَفْيَة في رجال ألمع. ويذكر التراث العربي يرفا أو يَرْفى (يرفء، الاسم على وزن «يفعل» من رفء)، وهي قبيلة من «الأزد القحطانية».

٧ ـ «الأموريون» (ءمري، نسبة الى ءمر، أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠): الأَمَرَة في تهامة زهران، ووَمْرَة في وادي أضم، ويحتمل أيضاً أنها مَرُو (مع واو النهاية كأداة تعريف آرامية لاحقة)، وهو اسم لثلاث قرى: اثنتان في وادي أضم والثالثة في منطقة قنا والبحر. وكاسم قبيلة، يمكن لـ ءمري أن تكون ما زالت موجودة في اسم قبيلة بني مُرَّة، أو قبيلة المَرُو في جنوب الحجاز.

٨ ـ «الكنعانيون» (كنعني، نسبة الى كنعن): آل كُنعان (ءل كنعن) في وادي بيشة،وأيضاً اسمالقبيلة القِنعان(قنعن) في عسير(انظر الفصل ١٤). ولتفاصيل أوفى انظر الفصلين ١ و ٤.

٩ ـ «الجرجاشيون» (جرجشي، نسبة الى جرجش، مبالغة أو تصغير لـ جرش، أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠): الجُرَيْش (تصغير جرش) وقريش (تصغير قرش) في منطقة القنفذة، وأيضاً قريش، قريتان في منطقة الطائف، و«قرية قريش» في منطقة القنفذة، و«دار بني قريش» في وادي

أضم، و«قريش الحَسَنْ» في مرتفعات زهران، وآل قريش في مرتفعات عبيدة. ويبدو أن «قريش»، كاسم قبيلة، هو هذا الاسم بالذات.

١٠ ـ «اليبوسيون» (**يبوسي**، نسبة الى **يبوس**، أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠): يَبَاسَة (**يبس**) في وادي أضم، ويَبْس (**يبس**) على المنحدرات البحرية لبلاد غامد. ويَبْس (**يبس**) ويابِس (**يبس**) ما زالتا موجودتين كاسمين لقبيلتين في غرب شبه الجزيرة العربية حتى اليوم.

الواضح من هذه اللائحة أن الأقوام التوراتية العشرة المذكورة فيها كانت من القبائل القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية.

والأرض التي وعد بها «الرب» **يهوه** موسى، حسب ما يقول سفر العدد، لم تكن أصغر من تلك التي وعد بها أبرام، كما ظُنَّ حتى الآن، بل أكثر اتساعاً. وهذه شملت «أرض كنعان بتخومها» (٣٤: ٢) لتضم أراضي عسير وجنوب الحجاز الداخلية وكذلك أراضيها الساحلية، من ساحل البحر الأحمر وحتى أطراف الصحراء في وسط شبه الجزيرة العربية. وفي محاولاتهم المستمرّة لوضع تأويل جغرافي لحدود هذه الأرض «الموعودة» لموسى من خلال الصورة الفلسطينية، يواجه الباحثون التوراتيون صعوبات كبيرة ناجمة عن أن الأرض موضوع البحث غير موجودة هناك. وفي قراءتهم للنص العبري للـ «وعد»، كما جرى تأويله تقليدياً، وبالتالي تصويته، أخذ الباحثون التوراتيون كلمة **يم** العبرية دوماً على أنها تعني «بحر»، في حين أن **يم** هذه نفسها ترد أيضاً بالعبرية بمعنى «غرب». وكذلك أخذ هؤلاء الباحثون تعبير **يم هـ ـ ملح** على أنه يعني «بحر الملح»، أو «البحر

---

(١) حول ما قاله الباحثون المحدثُون عن هذه الأقوام التوراتية التي كانت ـ بوضوح ـ قبائل من غرب شبه الجزيرة العربية، انظر مداخل عدة في:

D. J. Wiseman, ed., **Peoples of Old Testament times,**

الذي أشير إليه سابقاً في الفصل ١٤.

المالح»، اشارة الى البحر الميت في فلسطين. وفي حين أن **ملح** بالعبرية وبالعربية تعني «ملح»، فانها تعني أيضاً «رمل» في بعض اللهجات العربية المحلية في المناطق الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة. وبالتالي، ففي حين ان **هـ ـ يم هـ ـ جدول** التوراتية تعني حتماً «البحر الكبير» (وبالنسبة لغرب شبه الجزيرة العربية فانه يعني البحر الأحمر وليس البحر المتوسط)، فان **يم هـ ـ ملح** في اطار «الوعد» موضوع البحث لا تعني «بحر الملح»، بل «غرب الرمال». والاشارة هنا، كما سنرى، هي إلى بلاد يام (**يم**)، التي هي حرفياً «بلاد الغرب». وبلاد يام هذه تقع بالفعل على حدود رمال الربع الخالي من شبه الجزيرة العربية من جهة الغرب، أي **يم هـ ـ ملح**. وكذلك، فان **يم كنرت** تعني «غرب قُرَيْنات» (اسم مكان، انظر أدناه)، وليس «بحر كِنّارة» المعتقد أنه الاسم التوراتي لبحيرة طبرية الفلسطينية (وليس هناك أي اساس إطلاقاً لهذا الاعتقاد). وبالتالي فان عبارة **كتف يم كنرت** لا تعني «جانب (أو كتف) بحر كِنَّارة»، (كما في الترجمة العربية)، بل «القَطْف غرب قرينات»، حيث أن «القطف» عملياً اسم مكان في غرب شبه الجزيرة العربية يقع «غرب» قُرَيْنات (انظر أدناه).

وفي تأويلهم لأرض موسى «الموعودة»، لم يلتبس الباحثون التوراتيون حول معنى **يم** العبرية فحسب، بل التبسوا ايضاً بشأن عبارة **هـ ـ يردن**، التي افترضوا أنها ليست إلا اسم نهر «الأردن» الفلسطيني (انظر الفصل ٧). وازداد هؤلاء تشويشاً باسم المكان المسمى **قدش برنع** (أو «قادش برنيع»)، المعرَّف زيفاً منذ العام ١٨٤٧ بكونه واحة عين قُدَيْس، في جنوب فلسطين (انظر الفصل ٤). وهذا التعريف لم يستند الى أساس غير حقيقة أن «قديس»، بالعربية هي تصغير «قدس»، التي هي المثيل العربي للعبرية **قدش**. والصحيح أن **قدش برنع**، إذا قُرئت **قدش بـ ـ رنع** (اعتباراً بأن الباء هنا قد تكون تقليصاً لـ ءب بالعربية «أب»، أي «إله»)، تعنى ببساطة «المكان المقدس»، أو «الحرَم» أو «المقام» لـ«الإله»

رنع. والنقوش اللحيانية والديدانية تسمّي هذا الإِلّه **رعن**. وقد استمر اسم هذا الإِلّه في الوجود في شبه الجزيرة العربية في أسماء أماكن، منها أبو عُرَيْنة (**ءب عرن**)، وهناك قريتان بهذا الاسم بنجد، ومنها أيضاً آل عرينه (**ءل عرن**) في جوار أحد رُفَيدة جنوب خميس مشيط. ولا بد أن «قادش برنيع» قيد البحث كانت مقاماً قديماً (أي «قدساً») للإِلّه **رنع** (وبقلب الأحرف **رعن** أو **عرن**) في ما هو اليوم قرية آل عرينة هذه، كما سنرى بعد قليل.

وفيما يلي حدود الأرض التي «وعد» بها بنو اسرائيل وموسى، كما جاءت في سفر العدد ٣٤، وكما جرى ضبطها بموجب وقائع جغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية:

١ ـ الحد الغربي هو «البحر الكبير» (٣٤ : ٦)، أي البحر الأحمر (انظر أعلاه).

٢ ـ الحد الجنوبي يبدأ من برّية زين (بالعبرية **صن**، وبالترجمة العربية «صين»)، وهي قرية من وطن الموفجة بمنطقة نجران، وقد وصفت توراتياً بأنها «على جانب» وادي إيدِمَة (**عل يدي ءدوم**). وموقع وادي نجران، حيث قرية زين، هو جنوب وادي إيدِمَة (**ءدم**). وأكثر تحديداً، يقول سفر العدد ان الحدّ الجنوبي للأرض «الموعودة» يبدأ «من القَوْزيّة غرب الرمال إلى الشرق» (**م ـ قصه يم هـ ـ ملح قدمه**). والقوزية (بلا تصويت **قزه**، قابل مع **قصه**) هي واحة في بلاد يام، حيث ينتهي وادي نجران، وهي تقع تماماً على الحدود الغربية لرمال الربع الخالي. ومن هناك تمتد الحدود الجنوبية للأرض «الموعودة» باتجاه الغرب «من جنوب عقبة عقربيم (**معله عقربيم**)». والأصل العبري لا يتحدّث عن «عقبة (**معله**) عقربيم»، بل عن موقعين في سراة عبيدة، إلى الشمال من وادي نجران، هما اليوم قريتا المعلاة

(**معله**) والجرابيع (صيغة الجمع العربية من «جربوع»، أو **جربع** بلا تصويت، التي هي في الاسم تحوير عن **عقرب** التوراتية، التي يكون جمعها **عقربيم**)[٢] . وفي جهة أبعد غرباً، تمر الحدود عبر زين (**صن**، وفي التوراة العربية «صين») أخرى (حالياً «الزين» بالتعريف) في جوار ظهران الجنوب، التي هي بالفعل «جنوب» آل عرينة (أو «قادش برنيع»، انظر أعلاه)، تماماً كما يصفها نصّ «الوعد». ثم تتابع الحدود مسارها عبر ما تصفه التوراة العبرية بأنه **حصر ءدر** («حصر أدّار») التي ربما كانت تشير إلى حاضرة (**حصر**) لقبيلة تسمى **ءدر**. وهناك الى اليوم قبيلة تسمّى آذار (**ءذر**، تماماً كما في التوراة) في سراة عبيدة وجوار ظهران الجنوب. وبعد ذلك تمر الحدود عبر آل عصمان (**ءل عصمن**، قارن مع العبرية **عزمن** أو **عزمون**، «عصمون») في جوار ظهران الجنوب، لتصل إلى وادي «المصرم»، أي وادي لِيَة في جنوب منطقة جيزان (**نحل مصريم**، التي تعني «نخيل المصرم» أو «مجاري مياه المصرم»، وليس «وادي مصر»، كما في الترجمات التقليدية، انظر أعلاه). ومن تلك النقطة، تتبع الحدود مسار وادي لية، ثم وادي تعشر (ووادي لية من روافد وادي تعشر) حتى البحر (٣٤ : ٣ ـ ٥).

٣ ـ الحد الشمالي يبدأ عند ساحل البحر الأحمر ويتابع صعوداً ماراً بـ «جبل هور» (**هر هـ ـ هر**)، والموقع هو اليوم قرية الهَرَّة، على حرف سراة زهران عند حدود بلاد بني مالك في منطقة الطائف (انظر الفصل ٧، الهامش ٥). ومن هناك

---

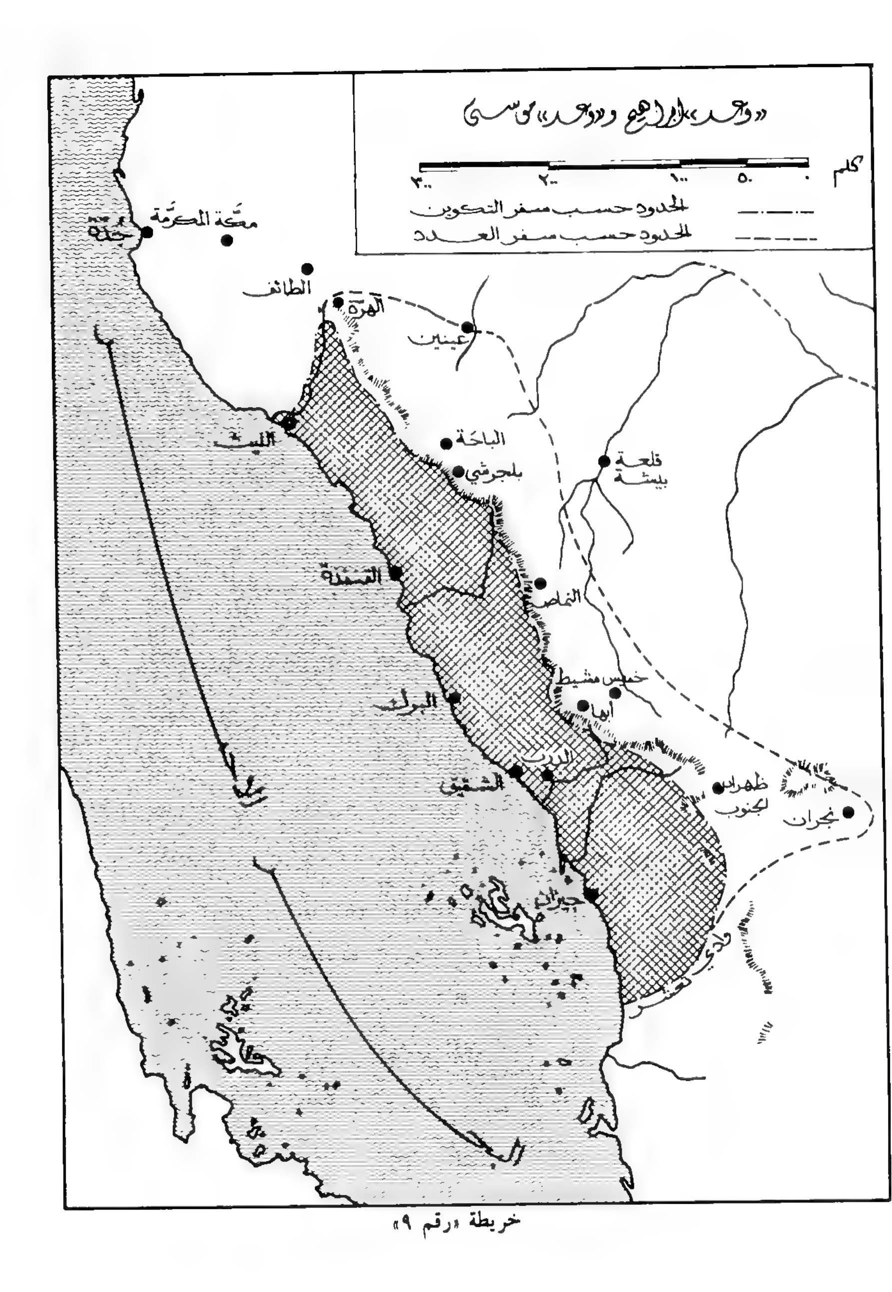
(٢) الالتباس في تعريب الاسم هو بين عقرب (الدويبة المعروفة بهذا الاسم سواء بالعبرية أم بالعربية) وجربوع العربية (وهو من القوارض الصحراوية).

تنطلق الحدود شمالاً داخل منطقة الطائف مروراً بالحماطة في بلاد بني مالك (حمط بلا تصويت، قارن مع حمت التوراتية، وفي الترجمة العربية «حماة»)، والسِّداد في ضواحي الطائف الجنوبية (سدد بلا تصويت، قارن مع صدد التوراتية، وفي الترجمة العربية «صَدَد»)، وربّما ظفر في وادي ميسان (زفرن، وبالترجمة العربية «زفرون»)، مع لاحقة التعريف السامية القديمة)، ثم تنعطف الى الداخل لتنتهي عند «واحة» أو «حاضرة» عَيْنين (حصر عينن التوراتية، وفي الترجمة العربية «حصر عينان»)، في حَرَّة البُقَوم (سفر العدد ٣٤: ٧ ـ ٩). وبشأن حرّة البقوم، انظر الفصل ١١.

٤ ـ الحد الشرقي يبدأ من عينين في حرَّة البقوم (انظر أعلاه) ويتجه جنوباً، على ما يظهر، إلى حضاير الثَّفَن (قارن مع شفم التوراتية، وفي الترجمة العربية «شفام») في وادي تثليت. ومن هناك تستمر الحدود جنوباً «من شفام الى ربلة شرقي عين»: هذه هي الترجمة المعتمدة للنص الأصلي الذي يقول بالعبرية م ـ شفم هربله م ـ قدم لـ ـ عين. وليس هناك على الاطلاق ما يبرّر قراءة هربله هنا على أنها هـ ـ ربله، باعتبار الهاء الأولى فيها أداة تعريف. والهاء الأخيرة في هربله هي لاحقة ظرفية تفيد معنى الاتجاه، مما يجعل اسم المكان هربل، وليس هربله أو هـ ـ ربله. وهربل، كاسم مكان، هي نحت من هرب ءل. ويبدو أن هربل أو هرب ءل هذه هي اليوم قرية آل هوبر (ءل هبر)، في منطقة خميس مشيط. والنص في اصله العبري لا يقول أن هربل تقع شرقي عين (كما في الترجمة العربية المعتمدة وغيرها من الترجمات)، بل يقول بكل وضوح بأن

حدود الأرض الموعودة هي التي تمر «الى الشرق في العين» (م ـ قدم لـ ـ عين) في امتدادها «من شفم إلى هربل» (م ـ شفم هـربله). ويستنتج من ذلـك أن عين المـذكورة هنـا ليست العـين المجاورة لآل هـوبر (أي هـربل) في منـطقة خميس مشيط، بل قرية أخرى إلى الشمال منها، من قرى واحة خيبر في وادي بيشة. ومن آل هوبر تنطلق الحـدود «شرقاً» (قدمه)، الى «قَـطْف، غرب قـرنيـات» (كتف يم كنـرت، انـظر أعـلاه). وقـرينـات هي واحـة من وادي الدواسر، وتقع قطف جنوب غرب قرينات هذه، في بـلاد يام. ومن هناك تعبر الحدود «الجرف» (هـ ـ يردن، انـظر الفصل ٧)، الذي هو ولا شك ما أسماه فيلبي «السنم الغرانيتي الكبير» لجبل أبو همدان في منطقة نجـران، لتنتهي «غرب الـرمال» (يم هـ ـ ملح)، أي في بـلاد يام «غـرب» رمال الرُّبع الخالي (٣٤: ١٠ ـ ١٢). والواقع الجغرافي هو أن هذه الحدود الشرقية للأرض «الموعـودة» لموسى هي الحـدّ الفاصل بين المناطق الزراعية المـأهولـة من داخل الحجـاز وعسير، وما يليها من البراري والقفار إلى الشرق.

وهكذا تتطابق صورة أرض موسى «المـوعودة» بجميـع تفاصيلهـا، وبكلّ بساطـة وسهولـة، مع الخـريطة، من جـوار الطائف شمـالاً حتى حدود اليمن جنوباً، ومن حافة الرمال شرقاً الى البحر في الغرب. وطالما حاول الباحثـون التوراتيـون مطابقـة هذه الأرض مـع خريـطة فلسطين وجوارها في الشام فلم يفلحوا.


«وعد» ابراهيم و«وعد» موسى
كلم
٠ ٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠
الحدود حسب سفر التكوين
الحدود حسب سفر العدد
مكة المكرمة
جدة
الطائف
الهدة
عينين
الليث
الباحة
بلجرشي
قلعة بيشة
القنفذة
النماص
خميس مشيط
أبها
البرك
الدرب
الشقيق
ظهران الجنوب
نجران
جيزان

خريطة «رقم ٩»

١٦ ـ زيـــارة لعدن

قرية الجنينة هي «منتهى العمران والنخيل» في وادي بيشة. هكـذا يصفها فؤاد حمزة في كتابه «في بلاد عسير» (ص ٥٥). وقد لا تعتبر هذه القرية «جنة» بمقاييس عصرنا الحاضر، لكنها جنّة بالنسبة الى ما يليها من البراري القاحلة. وقد زارها الرحّالة البريطاني فيلبي في مطلع الثلاثينات من هذا القرن فوجد فيها سحراً خاصاً. فكانت في نظره «الصورة المثالية للواحة»، خصوصاً عندما تتألق برونقها في ضـوء القمر. ووصفهـا بأنها تشمل «قوساً لطيفاً من بساتين النخيل»، و«مساحات من القمح والشعير الآيل للنضج» عند نهايتها الشرقية، و«نبت كثيف» من أشجار الطرفاء، و«نمواً سخياً» للشجيرات حول خرائب مهجورة، وقرية صغيرة حديثة في جوار هذه الخرائب (**Arabian highlands**, pp. 29-31). ولأنها آخر قرى بيشة، فان الجنينة، على قلة أهميتها، تظهر في معظم خرائط شبه الجزيرة العربية (٢٠° ٢٠′ شمال × ٤٢° ٥٥′ شرق). وقد زار فيلبي المكان ووصفه من دون أن يعرف أنه «جنة عدن». وكيف كان له أن يعرف ذلك والتقاليد ترمي بكل ثقلها وراء جعل موقع هذه «الجنة» في مكان ما من جنوب العراق؟

حتى الآن، لا بد أن القارىء أصبح مدركاً أن أسفار التوراة العبرية دونّت وجمعت أصلاً على أيدي كتبة من بني اسرائيل كـانوا يعيشـون في

بلاد «إسرائيل» و«يهوذا»، أي في بلاد السراة وما يليها غرباً من جبال تهامة ووهادها (انظر الفصل ٨). وفي سفر التكوين ٢ : ٨ ـ ١٤، وصف أحد هؤلاء الكتبة صورة «جنة عدن» كما يلي:

«وغرس الرب الإله (وفي الأصل «الله **يهوه**») جنة (**جن**) في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة (**حييم**) في وسط الجنة، وشجرة معرفة (**دعه**) الخير والشر. وكان نهر (**نهر**، «جدول، نهر») يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس (**رءشيم**، جمع **رءش**، «رأس، جدول ماء رئيسي»). اسم الواحد فيشون (**فيشون**)، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة (**حويله**) حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد، هناك المُقْلُ وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون (**جيحون**) وهو المحيط بجميع أرض كوش (**كوش**). واسم النهر الثالث حِدَّاقل (**حدقل**، المترجمة تقليدياً «دجلة» في اللغات الأوروبية) وهو الجاري شرقي آشور (**ءشور**، المترجمة تقليدياً «آشور» سواء في العربية أم في سائر الترجمات). والنهر الرابع الفرات (**فرت**، المترجم تقليدياً «الفرات» في جميع اللغات).

وفي مكان لاحق من القصة، وخلال الحديث عن آدم، الرجل الأول، وعن عائلته، يعطي المؤلف مجموعتين أخريين من المعلومات حول موقع عدن وجنتها. فعندما طرد آدم وزوجته حواء من الجنة، أقام «الرب» يهوه الكروبيم (**كربيم**، مثنى أو جمع **كرب**، وترجمتها الحرفية «كاهن»، في حين أن البعض يترجمها «ملاك») «شرقي جنة عدن» لحراسة طريق شجرة الحياة (٣ : ٢٤). وعندما قتل قايين، أول أبناء آدم وحواء، أخاه هابيل، عوقب بأن أبعد عن «الرب» (**يهوه**) وذهب ليسكن «في أرض نود (**نود**) شرقي عدن» (٤ : ١٦).

ويمكن تلخيص المعلومات التي يقدمها هذا كله عن الموقع الجغرافي لِـ «عدن» وجنتها كما يلي:

أولاً، كان موقع «عدن» إلى الشرق من أرض «اسرائيل» و«يهوذا» حيث كان يعيش الكاتب التوراتي الراوي للقصة، أي شرق السراة.

ثانياً، كانت «عدن» وجنتها تقعان ضمن شبكة لصرف المياه تضم أربعة روافد رئيسية معروفة ومحددة بالاسم.

ثالثاً، ان «جنة» **(جن)** «عدن» **(عدن)** تقع تحت «عدن»، باعتبارها تسقى بجدول (أو نهر) «يخرج من» **(يصء)** عدن. وهذا يعني أن «الجنة» لم تكن «عدن» بالذات، بل مكان الى الأسفل من «عدن».

رابعاً، ان الجنة كانت مترافقة بشجرتين لهما مغزى معين، إحداهما هي شجرة «الحياة» **(حييم)** والأخرى هي شجرة «المعرفة» **(دعه)**.

خامساً، أن «كيروبيين» أو أكثر **(كربيم**، المصوتة تقليدياً كجمع بالرغم من أنه يمكن قراءة أحرفها الساكنة أيضاً على أنها مثنى **كرب)** وقفا، أو وقفوا، شرق «جنة عدن» لحراسة طريق شجرة الحياة.

سادساً، شرق الجوار العام لِـ «عدن» هناك أرض تسمى «نود».

ويمكن للباحث ان يستنتج مما ورد أعلاه أن «جنة عدن» كانت تقع في منطقة حسنة الريّ الى الشرق من سراة عسير، وتليها الى الشرق أرض أقلّ خصباً اسمها «نود». وكون المنطقة المشار اليها ليست إلا وادي بيشة يتّضح تماماً من تعريف اسماء «الأنهر الأربعة» لعدن:

١ - نهر «فيشون» **(فيشون)** المحيط بجميع أرض «الحويلة» **(حويله)** حيث هناك ذهب. وهذا هو اليوم وادي تَبالَة، أقصى روافد بيشه غرباً. وهذا الوادي يأخذ اسمه الحالي عن واحدة من الواحات الواقعة على امتداد مساره.

واسمه التوراتي ما زال حياً كاسم لقرية الشوفان (شفن تحوير عن فيشون العبرية)، في مرتفعات النماص، حيث ينبع عدد من روافد هذا الوادي. و«الحويلة» (حويله)، التي قيل أن «فيشون» يحيط بها، هي اليوم قرية حَوَالة (حوله) في سراة غامد، إلى الشمال من النماص. والمسار الرئيسي لوادي بيشة يحيط عملياً بالطرف الشرقي من بلاد غامد بعد التقاء آخر روافده قرب قرية الـرَّوْشَن. ويبدو أن وادي تبالة كان يعتبر في الأزمنة التوراتية المسرى الرئيسي لوادي بيشة، ولذلك يصفه صاحب سفر التكوين بأنه هو «النهر» الذي يحيط بأرض حوالة. وصحيح أن هذه كانت أرض «ذهب» في القدم. وربما كانت هذه أرض «الذهب المتحجر. . . . لا بشكل غبار، بل كتل»، التي تكلم عنها إسترابون في وصفه لشبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ٣). وهناك رافد صغير لوادي بيشة يعرف إلى اليوم بوادي الذهب. والحجر شبه الكريم الموجود هناك (هـ ـ شهم) هو العقيق الأحمر (العقيق اليماني). والمُقْل (بدلح) عبارة عن صمغ (أو مضاغ)، تفرزه شجرة اسمها العلمي باللاتينية **Com-miphora mukul**، وهي من نبات غرب شبه الجزيرة العربية، وتسمى اليوم في اللغات الأوروبية «بلسم مكة». وبالرغم من تشابه الأسماء، فإن المؤكد هو أن «فيشون» التوراتي ليس رافد المسار الرئيسي لوادي بيشة المعروف اليوم باسم وادي شَفَّان (شفن)، على التشابه بين الاسمين.

٢ ـ نهر «جيحون» (جيحون) الذي يتدفق محيطاً بأرض «كوش» (كوش). وهذا هو المسرى الرئيسي لوادي بيشه كما يسمى اليوم، الذي ما زال أحد روافده الرئيسية يعرف بوادي

جوحان (**جحن**). وهذا الوادي يقع بين خميس مشيط وأبها. وهناك أيضاً قرية في حوض بيشة تحمل اسم آل جَحون (**ءل جحن**)، وهي اليوم من قرى بني واهب. والاسم الحالي لوادي بيشة يأتي من قرية بيشة، قرب ملتقى الروافد الرئيسية لشبكة الوادي. و«كوش» المحاطة أرضها بـ «جيحون» هي اليوم قرية الكوثة (**كوث**، انظر الفصل ٤)، في جوار خميس مشيط، التي تجاور عملياً وادي جوحان.

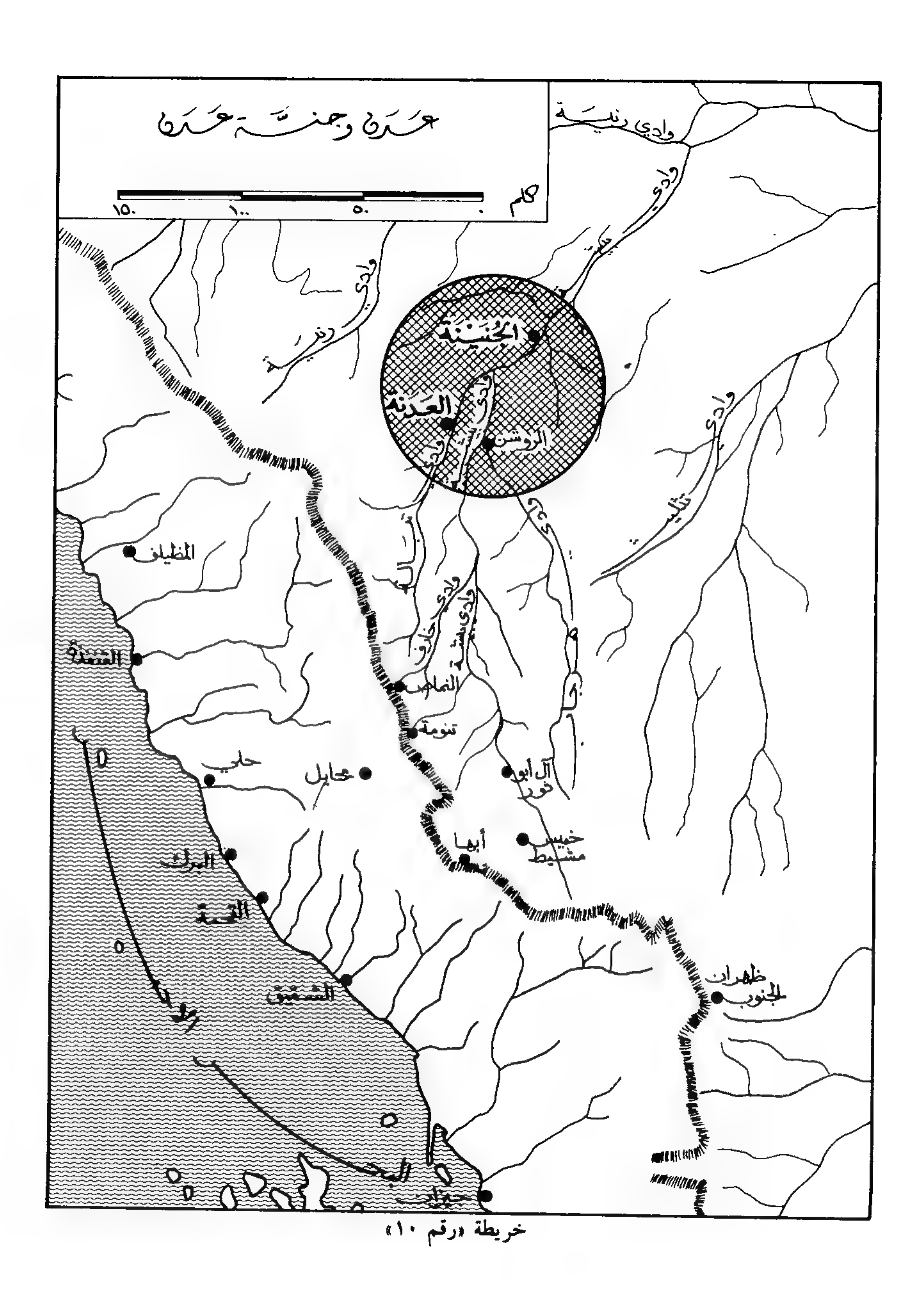
٣ ـ نهر حِدَّاقل (**حدقل**) الذي أخذ تقليدياً على أنه نهر دجلة في العراق. ولو كان اسم هذا «النهر» **هـ ـ دقل** (وربما كان تعريبه «الدجلة»)، أو **دجله**، مسبقة بأداة التعريف) لكان يفهم أن يكون هو نهر دجلة بالعراق. وفي الواقع، فان اسم النهر، كما ورد في سفر التكوين، هو **حدقل** بالحاء، وليس **هدقل** بالهاء، ليقرأ **هـ ـ دقل**، على أساس أن الهاء هي أداة التعريف العبرية لِـ **دقل**، أي دِجلة. وفي هذه القراءة الأخيرة للاسم عبث بأبسط القواعد الصوتية (أي الفونيتية) للغات السامية، ناهيك عن خطأ في الجغرافيا يقاس بمئات الكيلومترات، كما سيظهر. والواقع أن اسم **حدقل** ما زال مستمراً في الوجود كاسم لقرية آل جحدل (**ءل جحدل**) في مرتفعات سراة عبيدة، جنوب شرق خميس مشيط، حيث توجد رؤوس مياه وادي تِنْدَحَة. ويتصل وادي تندحة بالمسار الرئيسي لوادي بيشة بعد خميس مشيط باتجاه الشمال. ولا بد أن وادي تندحة كان، في الأزمنة التوراتية، يسمى **حدقل** باسم القرية التي ينبع من جوارها. وتماماً كما أن **حدقل** ليس الدجلة، بل وادي تندحة الحالي في أعالي وادي بيشة، كذلك فان **ءشور** التي

يمرّ الى الشرق منها ليست بلاد «آشور». بل إن ءشور التي يجري وادي تندحة بمحاذاتها من جهة الشرق هي اليوم قرية بني ثَوْر (ثور)، وتسمى أيضاً آل أبو ثور. وهكذا، فليس هنالك أي خطأ في وصف التوراة العبرية لمجرى هذا الوادي.

٤ - نهر «الفرات» (فرت)، الذي أخذ تقليدياً على أنه الفرات العراقي، ربّما كان ما هو اليوم وادي خارِف، الذي ينبع من مرتفعات السراة بجوار تنومة، شمال أبها. وهذا الوادي هو من أهم روافد المسار الرئيسي لوادي بيشة. ولا بد أن اسمه التوراتي، فرت، أتى من اسم قرية من قرى تنومة تسمى اليوم الطفراء (طفر، ولعلّها أساساً تحوير لـ فرت). وفي نصوص توراتية أخرى، كما لوحظ قبلاً، كانت فرت هي وادي أضم (انظر الفصل ١، الهامش ١٢)، وليست هذه هي الحالة هنا. ومن ناحية أخرى، ربّما كان «نهر فرت» رافد آخر من روافد بيشة يحمل اسم «الطارفة» (طرف). و«الطارفة» هو اسم يطلق محليّاً على مراكز الامارات بمنطقة بيشة دون غيرها.

واستناداً الى قصة سفر التكوين، فان «نهر عدن» انقسم ليصير أربعة «رؤوس» (رءشيم) بجوار «عدن» وجنتها. وما زالت لفظة رءشيم التوراتية مستمرة في الوجود كاسم لقرية الرَّوشن (روشن) الواقعة بالقرب من النقطة التي يلتقي فيها وادي تبالة («فيشون») بالمسار الرئيسي لوادي بيشة[1]. وعلى مسافة قصيرة فوق قرية الرَّوشن، على مسار وادي

(١) وادي هرجاب، أحد الروافد الرئيسية الثلاثة لوادي بيشة، يلتقي مع المسار الرئيسي للوادي عند النقطة نفسها تقريباً. ويبدو أن كاتب سفر التكوين اعتبره امتداداً لوادي تندحة الذي يلتقي مع المسار الرئيسي لوادي بيشة من الجهة الشرقية، مثله مثل وادي هرجاب.


عدن وجنة عدن
كلم
١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
الجنينة
العدنة
الروشن
وادي تثليث
المظيلف
الشقيق
حلي
محايل
تنومة
النماص
آل أبو نور
أبها
خميس مشيط
ظهران الجنوب
جيزان
البرك
القحمة

خريطة «رقم ١٠»

تبالة، هناك قرية أُخرى تسمى العَدَنة (**عدن**) تحمل الى يومنا هذا اسم «عدن» (**عدن**) التوراتية. وتقع قرية الجنينة (تصغير «جنة»)، قارن مع العبرية **جن**، «حديقة») بعد الرّوشن من العدنة. وهكذا، فان مياه وادي تبالة المارة بالعدنة تلتقي مع سائر روافد بيشة وتجري عبر الرَّوشن لتسقي واحة الجنينة. وهذا تماماً ما يقوله سفر التكوين: «وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس». وقد يبدو الأمر مذهلاً للوهلة الأولى، ولكنه الواقع بلا أدنى شك. فالجنينة هي «جنّة عدن» التوراتية بالذات، وموقعها الجغرافي هو تماماً الموقع الذي يصفه سفر التكوين بكلّ دقة، وهي ما زالت تحتفظ بشكل معرّب من اسمها التوراتي الى اليوم.

وليس هناك اليوم مكان اسمه **نود** الى الشرق من وادي بيشة، حيث كانت «جنة عدن». والمكان الوحيد بهذا الاسم في شبه الجزيرة العربية هو قرية خربة اسمها النودَة في شمال اليمن، وهي مذكورة في «صفة جزيرة العرب» للهمداني. أمّا إذا نظرنا إلى أصل لفظة **نود**، فالواضح أنها اسم فعل من الجذر العبري **نود** بمعنى «تاه، تنقّل من مكان الى آخر دون جدوى». «أرض نود»، اذن، هي «أرض التيه»، أي «القفار». والواقع هو أن الجنينة، وهي «جنة عدن» التوراتية، هي «منتهى العمران» في منطقة بيشة، وما يليها إلى الشرق هو القفار، أي «أرض نود»، حيث تاه قايين هارباً من وجه الربّ يهوه بعد أن قتل أخاه هابيل، كما يقول سفر التكوين.

يبقى لنا أن ننظر في قضية «الكروبيم». ومن وطن الصفا بمنطقة نجران قرية القَرْبان (**قربن**، مع أداة التعريف العربية، قارن مع العبرية **هـ - كربيم**، «الكهنة»). وربّما كانت الاشارة في سفر التكوين إلى هذا الموقع حيث جاء الحديث عن «الكروبيم» الذين أوكل اليهم «حراسة طريق شجرة الحياة». لكن الأرجح أن «الكروبيم» كانوا بالفعل كهنة

«جنة عدن». ومن المعروف أن بعض الأديان القديمة في شبه الجزيرة العربية كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقديس حدائق معيّنة. وكان كبار الكهنة يقيمون في هذه الحدائق (أو «الجنّات») ويرتزقون في محاصيلها الزراعية، فيأكلون من عنبها ونخيلها (سورة الإسراء ٨٩ ـ ٩١، وسورة الفرقان ٧ ـ ٨).

وقد بقي تقديس الحدائق رائجاً في بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية حتى ظهور الاسلام. ولعلّ آخر هذه الحدائق كانت حديقة مسيلمة الكذّاب، وهو مسلمة بن حبيب كاهن اليمامة الذي تمّ القضاء عليه في حروب الردّة في عهد ابي بكر. وكانت حديقة مسيلمة هذا تسمّى «حديقة الرحمن»، وقد أسماها المسلمون من بعده «حديقة الموت». ولمّا تقدّم المسلمون لمحاربة مسيلمة، تنادى اصحابه: «الحديقة! الحديقة!» ودخلوا اليها بمعيته وتحصّنوا فيها. قال الطبري: «واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها، فقتل (مسيلمة) في المعركة، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل».

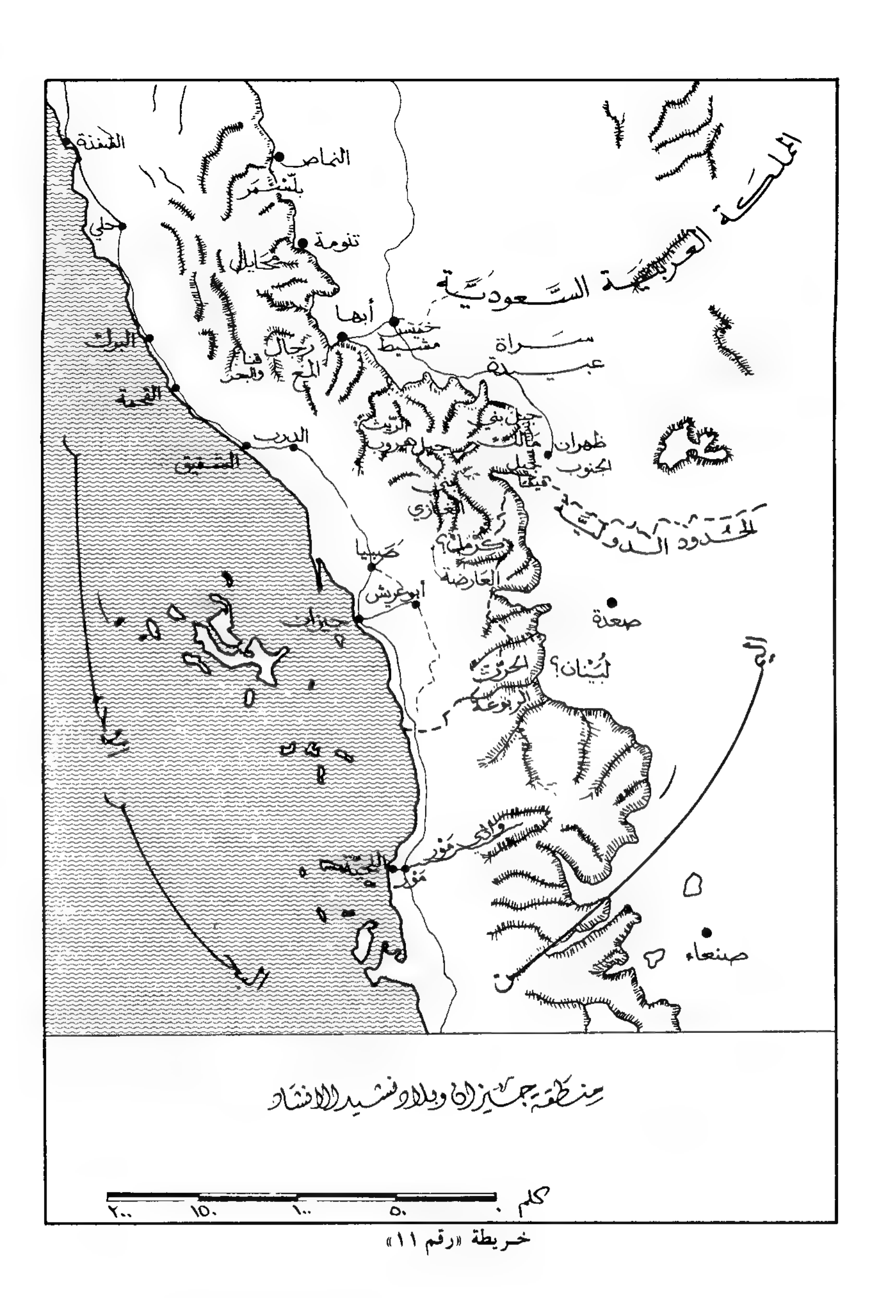
ولعلّ «جنة عدن» التوراتية كانت حديقة الإلّه يهوه في وادي بيشة قبل ظهور الدين اليهودي الذي اعترف بـ يهوه كإلّه أسمى، ثم اطلق اسمه على الله الواحد، حسب الشهادة اليهودية الوارد نصّها في سفر التثنية: «اسمع يا اسرائيل، الربّ (يهوه) إلّهنا ربّ (يهوه) واحد». وفي الوصايا العشر (سفر الخروج ٢٠ : ٢ ـ ٣): «أنا الربّ (يهوه) إلّهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن له آلهة أُخرى أمامي». والظاهر أن اليهود لم ينسوا أن إلّههم يهوه كانت له حديقة خاصة به في البداية، مثله مثل غيره من الآلهة. والدليل على ذلك قصة «جنة يهوه» التي كانت له في أرض عدن، والتي أوكل حراستها إلى كهنة من «الكروبيم»، كما تقول التوراة.

وفي كلام سفر التكوين عن شجرة «الحياة» وشجرة «المعرفة» في

«جنّة عدن» ما يشير إلى عبادة إلّه للحياة وإلّه للمعرفة في المنطقة ذاتها التي كانت «جنّة» الإلّه يهوه موجودة فيها قبل ظهور اليهودية. وقد كان تقديس الأشجار أمراً شائعاً بين الأديان القديمة في مختلف أنحاء العالم، ولا سيّما في بلاد الشرق الأدنى. وفي سراة بني عمرو، غرب وادي بيشة، ما زالت هناك قرية تحمل اسم الإلّه المحلّي القديم للمعرفة (بالعبرية هـ ـ دعه، وبالآرامية دعيء)، وهي قرية آل دَعْيا (ءل دعيء، بالآرامية). وهناك قرى كثيرة في جوار وادي بيشة ما زالت تحمل اسم الإلّه القديم للحياة (بالعبرية حييم، ومفردها حي و حيه). ومن هذه القرى آل حِي وآل ابن حِي في السراة، وآل حياة في منطقة ظهران الجنوب، وحِيِّين (قارن مع العبرية حييم بصيغة الجمع) في منطقة جيزان. وهكذا، فان سفر التكوين لا يحفظ لنا صورة دقيقة عن موقع «جنّة عدن» التوراتية في وادي بيشة فحسب، بل يحفظ لنا أيضاً شيئاً من الذاكرة الاسطورية للعبادات السابقة لليهودية في تلك المنطقة وجوارها العام.

١٧ ـ نشيد من جبال جيزان

من الأشياء التي حيّرت العقول بأمر التوراة العبرية هو احتفاظها بديوان صغير من الشعر الغرامي يسمّى بالعبرية شير هـ ـ شيريم ء شر لـ ـ شلمه (واسمه بالترجمة العربية «نشيد الأنشاد الذي لسليمان»). وقد اعتبر تقليدياً أن هذا الديوان الذي يكاد أن يكون إباحياً في بعض مقاطعه هو من وضع الملك سليمان. ولعلماء التوراة فيه آراء مختلفة، ومنها أنه مجموعة من أغاني الحبّ الشعبية التي كانت رائجة في قرى فلسطين وجبل لبنان في زمن التوراة. واللاهوت المسيحي يفسّر مضمون هذا الديوان على أنه نبوءة بقدوم المسيح وحبّه للكنيسة. والواقع هو أن «نشيد الأنشاد» ليس قصيدة حبّ واحدة، ولا هو مسرحية غنائية (وهذا ما اعتبره بعض علماء التوراة الذين أعادوا ترجمته ووزّعوا فيه الأدوار بين الملك سليمان، وعشيقته «اللبنانية» شولميت راعية الكروم، وبنات أورشليم، وما إلى ذلك)، بل هو بالفعل مجموعة من أغانٍ شعبية مختلفة. وهذا هو الرأي السائد بشأنها. لكن الواضح من اسماء الأماكن الواردة في هذه الأغاني أنها لم تكن أغاني «فلسطينية» أو «لبنانية»، بل إن مصدرها كان تلك السلسلة الرائعة من الذرى الجبلية التي تمتد على شكل هلال لتفصل بين منخفضات منطقة جيزان، وبلاد السراة الى الجنوب من أبها وما يليها الى الداخل. ويبدو أن هذه الأغاني جمعت في عهد المتأخرين من ملوك «يهوذا» (انظر أدناه) ونسبت الى الملك سليمان، كما نسبت اليه



القنفذة
النماص
بلسمر
حلي
تنومة
محايل
المملكة العربية السعودية
أبها
خميس مشيط
البرك
رجال المع
قنا والبحر
سراة عبيدة
القحمة
الريث
ظهران الجنوب
الدرب
الشقيق
الحدود الدولية
صبيا
أبو عريش
جيزان
العارضة
صعدة
لبنان؟
الحرث
وادي مور
صنعاء
منطقة جيزان وبلاد نشيد الإنشاد
كلم ٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠

خريطة «رقم ١١»

مجموعة «الأمثال» وحِكَم «الجامعة». وحفظت هذه الأسفار الثلاثة مع سائر الأسفار المعروفة بِـ «الكتب» (وبالعبرية الـ كتوبيم) بحيث اصبحت تشكّل جزءاً من التوراة.

وما من زائر لجبال منطقة جيزان إلاّ وتغنّى بجمالها ورونقها. ومن هذه الجبال ما هو صخريّ قاحل، ومنها ما هو كثيف الأحراش، ومنها ما هو مدرّج للزراعة. وعندما زار الرحّالة فيلبي هذه الجبال المنيفة ذهل لروعة مناظرها. وإلى هذا، «اهتزت أحاسيسه المتيقظة بأصوات مزامير الرعاة تطلق أنغاماً رقيقة من جانب الجبل» (**Arabian highlands**, p. 488). وهذا ما جعله يتمنى لو كان يملك «وسيلة ما لتسجيل الأغاني الشعبية الملحنة» للسكان المحليين (ص ٥٠٣)، وهو ما لم يقله فيلبي عن أي جزء آخر من بلاد عسير. ولم تكن هناك في أيام التوراة أية وسيلة لتسجيل ألحان الأغاني الشعبية المحلية التي ينشدها الرعاة. ولكن الظاهر أن مختارات من أشعار هذه الأغاني حفظت فعلاً في ديوان «نشيد الأنشاد».

وليس هدف هذا الفصل الأخير من الكتاب مناقشة طبيعة «نشيد الأنشاد»، بل مجرد تبيان كيف أن ما جاء فيه لا يمكن أن يكون مصدره إلا جبال جيزان وجوارها العام . ان الأغاني الشعبية، في أي بلد كان، غالباً ما يؤلفها مغنون متجولون بين اماكن مختلفة، تواقون إلى إظهار معرفتهم بهذه الأماكن. وأكثر من هذا، فانهم، بايرادهم أسماء أماكن من مناطق مختلفة في أغانيهم، يجعلون لهذه الأغاني مغزى مباشراً لدى المستمعين في مناطق عدة. ويمكن للمغني الشعبي حتى أن يغير أسماء الأماكن في أغنية معينة حسب المنطقة أو الأخرى التي يغني فيها الأغنية ليلقى استحساناً لدى المستمعين المحلّيين. وفيما يلي أسماء الأماكن الوارد ذكرها في «نشيد الأنشاد»، وكلها تنتمي إلى نواحٍ من منطقة جيزان إلا حيث أشير إلى غير ذلك:

١ ـ «أنا سوداء وجميلة، يا بنات أورشليم، كخيام قيدار (ءهلي

قدر)، كشقق سليمان (**يريعوت شلمه**») (١ : ٥). والواقع هو أن هذا المقطع لا يأتي إطلاقاً على ذكر «شقق سليمان»، بل يتحدّث عن «مضارب» الكداري (**كدر بلا تصويت**) و«خيم» السَّلَمَة. والكداري والسَّلَمَة هما اليوم قريتان من أعمال أبي عريش بمنطقة جيزان. و **ءهليم** بالعبرية تعني «الخيم» أو «المضارب»، و**يريعوت** تعني «ستائر الخيم»، وقد استعملت الكلمتان في المقطع بالمعنى ذاته منعاً لاعادة الكلمة ذاتها. وبهذا، فان النص يقول: «أنا سوداء وجميلة، يا بنات أورشليم، كمضارب الكداري، كخيم السَّلَمَة».

٢ - «طاقة فاغية حبيبي لي في كروم عين جدي (**عين جدي**، بمعنى «نبع» **جدي**) » (١ : ١٤). الاشارة هنا هي، ولا شك، الى قرية الجِدِّيين (جمع النسبة الى جدي بكسر الجيم وتشديد الدال)، من أعمال صبيا. ويصف العقيلي هذه القرية بأنها «خصيبة التربة موفورة المياه بها عدة بساتين تزوّد صبيا بالخضار» (ص ١٢٠). والواضح أن «كروم» **عين جدي** هي بساتين الجدّيين هذه.

٣ - «أنا نرجس (**حبصلت**) شارون (**هـ - شرون**) سوسنة الأودية» (٢ : ١). ونرجس «شارون» هنا يأتي معرّفاً بأنه من سوسن «الأودية». والواقع أن «شارون» المذكورة هي بالفعل من أودية منطقة جيزان بناحية العبادل، واسمها الى اليوم وادي شرَّانة (شرن).

٤ - «يا حمامتي في محاجيء الصخر (**بـ - حجوي هـ - سلع**) في ستر المعاقل (**بـ - ستر هـ - مدرجه**)...» (٢ : ١٤). ان **حجوي هـ - سلع** العبرية يمكنها أن تعني «شقوق الصخرة». لكن المرجّح أنها تشير هنا الى قرية في مرتفعات

رجال ألمع تسمى اليـوم جرف سَلَعْ. وفي الاسم العـربي الحـالي تأتي «جـرف» ترجمـة لـ **حجو** العبـرية، التي بقيت مستمرة الوجود في لهجة جيزان على شكل **حقو** (وتصوّت **حَقُو**) وتستخدم اليوم للاشـارة الى «ما أنبسط من أسفـل الجبـل». **ومدرجـه** العبريـة، الواردة في جملتـين فقط من النص التوراتي (الثانية في اشعيا ٣٨: ٢٠)، والمترجمة الى «معاقل» بالعربية، ترد هنا بوضوح كاسم مكان هو اليـوم المَدْرَجَة، من أعمال جبل هَروب. وبالنسبة لمن يوجـد في منطقة جيزان، تكون مـرتفعات رجـال ألمع «خلف» (بـ - سـتر، أي «مستورة بـ») جبـل هَـروب. وهكـذا، فـإن الجملة تقرأ: «يا حمامتي في جرف سلع، خلف المدرجة».

٥ - «ارجعْ يا حبيبي، وأشبِهِ الظبي أو غفر الأيائل على الجبال المشعَّبة (**هري بتر**)» (٢: ١٧). وحتى لو كانت **بتر** هنـا تعني «مشعبـة» أو «وعرة»، فإنها لا يمكن أن تكون وصفـاً لــ **هري** (م) التي تعني «الجبال» أو «الهضاب» (جمع **هر**)، نظراً لأن **بتر** هنا واردة بصيغة المفرد. ولا يمكن للاشارة هنا أن تكون إلا الى «قمم» أو «مرتفعـات» جبل بني مـالك، حيث توجد قرية تسمى البَـتَرْ (**بتر**) حتى اليـوم. ولذلـك يجب إعادة ترجمة **هري بتر** في هذا المقـطع لتقرأ بـالعربيـة «جبال البَتَر» أو «مرتفعات البَتَر».

٦ - «شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعـاد (**هر جلعـد**) (٤: ١). و«جبل جلعاد» هنا لا بد أن يكـون جبل فيفـا بمنطقة جيزان، حيث هناك قرية الجعدة (**ءل - جعد**، بقلب الأحـرف)، إلّا إذا كانت الهضبـة التي عليها اليـوم قريـة الجعد (**ءل - جعد**) في رجال ألمع.

٧ ـ «أسنانك كقطيع الجزائز (كـ ـ عدر هـ ـ قصوبوت) الصادرة من الغسل» (٤ : ٢). و هـ ـ قصوبوت هنا لا تعني «الجزائز» (بمعنى النعاج المجزوزات)، بل هي بالتأكيد اسم مكان ، هو اليوم القُصَيْبات (قصيبت، مع أداة التعريف العربية) في مرتفعات ناحية الحُرَّث بمنطقة جيزان. وبالتالي، فإن الجملة تقرأ: «أسنانك كقطيع القصيبات الصادر من الغسل». وعلى بساطة المعنى المقصود في هذه الجملة، فما زال هناك جدل حول ترجمتها بين علماء التوراة، لأن أيّاً منهم لم يفكر بأن كلمة هـ ـ قصوبوت، التي اعتبرت حتى الآن من عويص الكلام العبري، قد تكون اسم مكان، كما هو واقع الحال.

٨ ـ «اذهب الى جبل المر (هر هـ ـ مور) وإلى تل اللُّبان (جبعت هـ ـ لبونه)» (٤ : ٦). عملياً، ليس في هذه الجملة أي شيء تصويري اطلاقاً . والواقع أنّ جبعت (أي «تلّ») هـ ـ لبونة هو بالتأكيد جبل من جبال اللُّبَيْني بناحية الحُرَّث من منطقة جيزان. و«جبل المر» (هر هـ ـ مور) يشير الى مرتفع من المرتفعات في أعلى وادي مَوْر. ووادي مَور يقع إلى الجنوب من ناحية الحُرّث، وهو اليوم من اليمن.

٩ ـ «هلمّي معي من لبنان (لبنون) يا أختي العروس، انظري من رأس أمانة (ءمنه)، من رأس شَنير (شنير) وحرمون (حرمون)،من خدور الأسود (معنوت ءريوت)، من جبال النمور (هري هـ ـ نمريم)» (٤ : ٨). إن «لبنان» و«أمانة» و«شنير» و«حرمون» هنا هي مرتفعات لبينان في شمال اليمن ، ويماني (يمن) المروي في ناحية العارضة، وشريانة (شرين) في جبل هروب، وخِمران

(**خمرن**) في ناحية الحَرَّث. و«خدور الأسود» (**معنوت ءريوت**) لا بدّ أنها قرية في جبل هروب اسمها اليوم المعاين (الجمع بالعربية للمفرد «معينة»، قابل بالمفرد العبري **معنه** وجمع المؤنث منه **معنوت**) . وهذه القرية معرّفة بالنسبة الى منطقة مجاورة لجبل هروب اسمها اليوم الرَّيْث (قارن مع العبرية **ءريوت**). و«جبال النمور» هي بوضوح قمم جبل ذو نِمْر بناحية الحُرَّث، إلا إذا كانت الاشارة هنا الى النمور (جمع نمر بالعربية)في ناحية الرُبوعة المجاورة.

١٠ ـ «أنت جميلة يا حبيبتي كتِرْصَة، حسنة كأورشليم، مرهبة كجيش بألوية (**ءيمه كـ ـ ندجلوت**)» (٦ : ٤). و**ندجلوت** العبرية هنا، المترجمة «ألوية»، والتي أوّلت بحرية لتفيد معنى «جيش بألوية»، لم ترد في أي مكان آخر من التوراة. والواضح أن هذه الكلمة هي جمع المؤنث من **ندجل**. وقد اعتبر المترجمون أن **ندجل** هو اشتقاق على وزن **نفعل** (بالعربية، **انفعل**) من الجذر **دجل**، أي «رَفْع اللواء». ولذلك ترجموها «ألوية»، واعتبروا انها تعني «جيش بألوية». والصحيح أن هذه الكلمة تشير الى سلسلة من الجبيلات في أقصى جنوب منطقة جيزان تسمى اليوم الجنادل (جمع الجندل، أي «الصخرة الضخمة، الجلمود»). والجنادل هذه قريبة من جبل جحفان عند حدود اليمن. وقد يضاف هنا أن ءيمه كـ ـ **ندجلوت** يجب أن تعني «رائعة كالجنادل»، وليس «مرهبة كالجنادل»، حيث أن جبال تلك المنطقة هي فعلاً رائعة في جمال وعرها. أما حول «ترصة» و«أورشليم» التوراتيتين فراجع الفصلين ١٠ و٩ على التوالي. ويلفت النظر هنا أن هذا المقطع من نشيد الأنشاد

يقارن جمال الحبيبة بثلاثة أماكن، وليس بمكانين وشيء ثالث من صنف آخر. فيقول «أنت.. جميلة كترصة، حسنه كأورشليم، رائعة كالجنادل».

١١ - «نزلت الى جنة الجوز (**جنت ءجوز**) لأنظر الى خُضَر الوادي، ولأنظر هل أقعل الكرم، هل نوَّر الرمان» (٦: ١١). وفي «جنة الجوز» يتوقع الانسان أن يرى أشجار جوز، وليس خُضَراً وكرماً ورماناً. وأكثر من ذلك، فان «جنة الجوز» كان يجب أن تكون بالعبرية **جنت هـ ـ ءجوز** (بتعريف المضاف إليه)، هذا إذا كانت **ءجوز** تعني بالفعل «جوز» أو «شجرة جوز» (التعبير لم يرد في أي مكان آخر من التوراة العبرية، وقد أُخذ على أنه يعني «جوز» استناداً الى مقارنته بالكلمة العربية جوز). وجنه (بصيغة المضاف **جنت**) قد تعني «جنّة» إذا اعتبرنا أنّ النون فيها مشدّدة، وهي مشدّدة في التحريك المسُّوري القابل للنظر. لكنها قد تكون من ناحية أُخرى اسم مكان، وليس ضرورياً أن تكون النون فيها مشدّدة. وفي هذه الحالة، يقابل الاسم **جنه** في منطقة جيزان اسم قرية الجناة (**جنت** بلا تصويت) وتقع هذه القرية في وادٍ من روافد وادي ضمد، في ناحية بني الغازي حيث تلتقي سفوح جبل فيفا وجبل بني مالك بمنخفضات جيزان الساحلية. وبالتالي، لا بدّ أن **ءجوز** هي الاسم التوراتي لناحية بني الغازي (بلا تصويت **غز**، قابل مع **ءجوز** وبدون الهمزة والواو **جز**، بلفظ الجيم على أنها غين، لأن الغين لا تكتب بالعبرية، بل تلفظ كترخيم للجيم). وهكذا تكون **جنت ءجوز** «جناة غازي»، أي قرية الجناة في ناحية بني الغازي. ويتوجب بالتالي تصحيح ترجمة المقطع المطروح ليقرأ

بالعربية كالتالي: «نزلت إلى جناة بني الغازي لأنظر إلى خُضَر الوادي، ولأنظر هل أقعل الكرم، هل نوّر الرمّان».

١٢ ـ «ارجعي، ارجعي يا شولمّيت (**هـ ـ شولميت**)، ارجعي، ارجعي فننظر إليكِ (**و ـ نحزه بك**). ماذا ترون في شولمّيت (**مه تحزو بـ ـ شولميت**)، مثل رقص صَفَّيْنْ (**كـ ـ محلت هـ ـ محنيم**) (وترجمة الجملتين الأخيرتين جاءت باللغات الأوروبية: «لماذا عليكم أن تنظروا الى شولميت كنظرتكم الى رقصة أمام جيشين؟») (٦: ١٣ في جميع الترجمات، و٧: ١ في التوراة العبرية). هنا **شولميت** هي صيغة المؤنث من النسبة الى **شولم**، ويمكنها أن تشير الى فتاة مما هو اليوم قرية الشملا (**شمل**)، وسكّانها من آل سلامة (**سلم**)، في جبل بني مالك. ومن الباحثين من قال ان الاسم ربما كان اسم فتاة، وهو ما أجده أقرب الى المعقول، على اعتبار أنه ورد في الجملة الواحدة مرة مع أداة التعريف ومرة من دونها (وهو مظهر عام في بعض أسماء الأشخاص بالعربية حتى يومنا هذا، فيقال مثلاً «وليد» و«الوليد»، و«حسن» و«الحسن»، الخ). ولعل **شولميت** بالعبرية، كاسم فتاة، هو الاسم العربي سلمى (**سلمء**، الصيغة المؤنثة من الاسم **سلمان**)، وطالما تغنّى الشعراء بسلمى منذ الجاهلية وإلى العصر الحاضر. وممّا يعزّز اعتبار **شولميت** الاسم العبري المقابل لسلمى هو ورود **شلمه**، أي سليمان أو سلمان، وهو مذكّر سلمى، كاسم الشاب العاشق في أغاني نشيد الأنشاد. وفي الفقرة قيد البحث، كما هي مترجمة في العادة، تجري مقارنة **شولميت** هذه برقصة جيشين (أو «صفين» أو «معسكرين»، **محلت هـ ـ محنيم**)، وهو ما ليس له معنى.

وعلى العموم، فان الجذر من **محله**، وهي مؤنث **محل**، هو **حله**، وبالعربية **حلي**، ومنه «الحِلي» (وبالعبرية **حلي**)، أي «ما تزّين به المرأة». ويبدو أن **محله** العبرية هي اشتقاق آخر من **حله** بمعنى «الزينة». أمّا **محنيم**، وهي جمع **محنه**، فترد بالعبريـة عادة بمعنى «الأحيـاء»، جمع «الحيّ»، وقـد تعني أيضـاً «المعسكرات» في بعض الأحيـان. وبـالتـالي، فمن الأصلح اعادة ترجمة النص كما يلي: «ارجعي، ارجعي يا سلمى، ارجعي، ارجعي فننظر إليكِ. لماذا تنظرون (مه تحزو) الى سلمى وكأنها زينة الأحياء؟».

١٣ ـ «عنقك كبرج من عاج (**مجدل هـ ـ شن**). عيناك كالبرك في حشبون (**حشبون**) عند باب بثّ رَبِّيم (**عل سعر بت ـ ربيم**). أنفك كبرج لبنان (**مجدل هـ ـ لبنون**) الناظر تجاه دمشق (**صوفه فني دمسق**). رأسك عليك مثـل الكرمـل (**رءشك عليك كـ ـ كرمل**)، وشعر رأسك (**دلت رءشك**) كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل (**كـ ـ ءرجمن ملك ءسور بـ ـ رهطيم**)» (٧ : ٤ ـ ٥ بالعربية وسـائر التـرجمات، ٧ : ٥ ـ ٦ في التوراة العبرية). بين أسماء الأماكن الواردة هنا، لا يتـوافق كل من **حشبون** و**بت ربيم** مع أي من أسـماء الأماكن الباقية قيد الوجود في منطقة جيزان أو في جوارها القريب، إلا إذا كانت حشبون هي قمة (أو «نبع») شِحب (**شحب**، تحوير لـ حشب من غير لاحقة التعريف القديمة) في رجال ألمع، وكانت بثّ ربّيم هي شَعْب البَرامِ (**برم**، تحـوير لـ **ربيم**) في المنـطقة نفسهـا. وقد تم قبـلاً تحديـد «لبنان»، وهو لبينـان اليمـن على حدود ناحيـة الحُرّث من منطقة جيزان. ومرتفعات لبينان هذا تقابل جبل بني مـالك حيث تـوجد «دمشق» (التي هي القـرية الحـالية ذا

مسْك، أو ذ ـ مسك، قارن مع دمسق التوراتية).
و«كرمل» (كرمل) وردت لدى الجغرافيين العرب على أنها جبل في منطقة جيزان. ومن الكلمات غير المعترف بها كأسماء أمكنة هـ ـ شن (مجدل هـ ـ شن، المفهومة على أنها تعني «برجٍ من عاج» أو «برج عاج»)، والتي ربما كانت تشير إلى السِّنّ (سن) في منطقة محايل، أو الى الشَّنُّو (شن) وهي قرية على قمة معزولة من جبل ضِرِم، في جوار منطقة بلّسمر. والجملة العبرية دلت رءشك كـ ـ ءرجمن ملك ءسور بـ ـ رهطيم، التي عوملت حتى الآن على أنها جملتين مختلفتين («شعر رأسك كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل»)، هي عملياً جملة واحدة. ودلت هنا تعني «الشعر غير المصفف» أو «الشعر» فقط، وليس «خصل الشعر» (كما ورد في الترجمات الأوروبية وليس في تلك العربية). و ءرجمن تعني «نسيج صوفي» أو «نسيج صوفي مصبوغ» أكثر مما تعني «اللون الأرجواني» (ومن يمكنه أن يفكر بشعر بلون الأرجوان؟) وءسور هي اسم مكان، هو اليوم آل يسير في منطقة تنومة من السراة، أكثر من كونه اسم نكرة يعني «مأسور». و رهطيم (جمع رهط) هي المثيلة لـ «رهاط» بالعربية (جمع الجمع من رهط) الواردة بمعنى «سجاجيد، بسط (جمع بِسَاط)، أنسجة، أغطية المفروشات»، ولا تأتي بمعنى «خصل» أو «ضفائر» أو «جدائل». وقد اعترف مترجمو التوراة عملياً بالشك المحيط بترجمة الجملة المذكورة، التي يجب ان تقرأ مترجمة: «شعر رأسك كبسط صوفية لملك ءسور (آل يسير)»، وهو ما يستقيم به المعنى. والبسط الصوفية، الملونة بأصباغ الخضار المحلية (التي استبدلت اليوم بالأصباغ

الاصطناعية) ما زالت تصنع اليوم في قرى السراة وتباع في أسواق أبها وخميس مشيط. وبشأن الأصباغ المحلية في هذه المنطقة، انظر فؤاد حمزه، «في بلاد عسير»، ص ٧٥.

١٤ ـ «كان لسليمان كرم في بعل هامون (**بعل همون**)» (٨: ١١). واذا أخذت **بعل** على أنها بـ ـ **عل** فانها تعني «فوق» أو «في المرتفع»، وليس «بعل» كاسم إله. وهامون (**همون**) يجب ان تكون وادي همن (**همن**) في مرتفعات الحُرّث. وبالتالي، فان الجملة تقرأ: «كان لسليمان كرم في أعلى (وادي) همن».

١٥ ـ «اهرب، يا حبيبي، وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب (**هري بشميم**)» (٨: ١٤). والاشارة هنا يمكن أن تكون الى البشامة (بشم بلا تصويت) في مرتفعات العارضة، أو الى البشامة في الهضاب المحاذية لوادي عِتْوَد. وقد تكون أيضاً إلى بَسّام (**بسم**)، من قرى ناحية بني الغازي، أو الى البثنة (**بثن**) في جبل فيفا. وفي جميع هذه الأحوال، فان صيغة الجمع في بشميم هي جمع النسبة الى **بشم** (أي جمع **بشمي**)، وليس جمع الاسم، أي أن الجبال (**هريم**) المذكورة هي «جبال البشاميّين»، وليس «جبال البشامات».

وليس «نشيد الأنشاد»، بشكل من الأشكال، هو المثال الوحيد من الأغاني الشعبية الذي يمكن العثور عليه في التوراة العبرية. وهناك مثال آخر يشمل المزامير المنسوبة الى «بني قورح» (**بني قرح**، انظر الهامش ٢ في الفصل ٩). وكما أشير قبلاً، فان بني قورح هؤلاء كانوا قبيلة من قرية القَرْحَة الحالية في جبل فَيْفا، أو من قرية القرحان في جبل بني مالك، والاسم الأخير هو المثيل العربي لـ **قرحيم** (الجمع بالعبرية لـ **قرح**)، مما

يعني قوم قرح، أو قبيلة قرح.

وكما ذكر سابقاً، فان محتويات «نشيد الأنشاد» لم تجمع في أيام سليمان، بل في أيام من خلفه. وهناك بعض الدليل الذي يبين أن هذه الأناشيد جمعت في وقت ما بعد موته وتقسيم مملكته، عندما كان أبناء ذريته يحكمون كملوك على «يهوذا» في «أورشليم»، في حين كان منافسوهم، ملوك «اسرائيل»، يحكمون من «ترصة». ففي الجملة التي تقول «أنت جميلة، يا حبيبتي، كترصة، حسنة كأورشليم»، يشير التوازن في ذكر الاسمين في جملة واحدة الى اعتراف بتماثل المنزلة بين المدينتين. ولم يكن لمثل هذا التماثل في المنزلة أن يوجد في أيام الملك سليمان، عندما كانت «ترصة» ما زالت مكاناً قليل الشهرة في مرتفعات غامد (انظر الفصل ١٠)، بينما كانت «أورشليم» عاصمة «كل اسرائيل».

خاتمة

يمكننا طبعاً أن نتابع اعادة تأويل جغرافيا التوراة العبرية في إطار غرب شبه الجزيرة العربية بدلاً من فلسطين، جزءاً بجزء. لكن مثل هذا العمل يخرج عن الغرض المحدود لهذا العمل الذي لا يتعدّى إظهار واقع الأمر عن طريق ما يكفي من التفاصيل. وذات يوم، إذا ما قرّر جيل جديد من باحثي التوراة أن يهجر التقاليد المتداعية والبالية التي درج اتباعها في هذا الحقل، سيكون لا بدّ من اعادة نظر شاملة في قراءة التوراة العبرية بالشكل الملائم، باعتبارها مجموعة من نصوص قديمة لم تحل رموزها التاريخية والجغرافية بعد. وقد وصلتنا هذه النصوص من ماضٍ سحيق بلغة ساميّة منسيّة منذ خمسة وعشرين قرناً، وقد تحورّت فيها المعاني في تلك الأثناء عن طريق إدخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة، مما يستوجب إعادة ضبطها بشكل جذري، وبالتالي اعادة ترجمتها إلى اللغات الحيّة.

وإذا ما قُرئت التوراة العبرية بكاملها من جديد، سيتمكّن الباحثون عندئذٍ من تحديد اسماء الأماكن الواردة فيها، فلا يعود هناك التباس بين ما هو بالفعل اسم مكان وما هو غير ذلك، والعكس بالعكس. وقد اختلط بعض هذا الأمر على الباحثين التوراتيين حتى الآن بشكل فاضح. وبعد إعادة قراءة كامل النصوص التوراتية وتحديد اسماء الأماكن فيها، يصبح من الممكن مقارنة جميع هذه الأسماء مع اسماء الأماكن التي تمّ

جمعها في المعاجم الجغرافية الحديثة لشبه الجزيرة العربية، وتلك الواردة في مصنّفات القدماء من الجغرافيين العرب، وكذلك في الأدب العربي القديم. وبعد ذلك يصبح من المستطاع وضع أطالس توراتية جديدة مختلفة كلّياً عن تلك التي اعتدناها حتى اليوم.

وعندما تعاد دراسة التوراة كسجلّ تاريخي على ضوء هذه الأطالس الجديدة، لا بدّ من أن ينجلي الكثير من الغموض ليس فقط عن التاريخ التوراتي، بل أيضاً عن مجمل تاريخ الشرق الأدنى القديم الذي درس حتى الآن على أساس مفهوم جغرافيّ مغلوط للتوراة، ومن قبل باحثين غربيين صعب عليهم كنه اسرار اللغات الساميّة اصلاً. وعندئذٍ يصبح باستطاعتنا الوقوف على حقائق لا نهاية لها بشأن التاريخ القديم لمصر والشام والعراق، ناهيك عن تاريخ شبه الجزيرة العربية حيث ترسخ، على ما يبدو، أقدم الجذور واعمقها لحضارة العالم. وهذا أمر لم يعط حقّه بعد.

هذا كلّه لا يمسّ إطلاقاً بالتوراة ككتاب يقدّسه المسيحيون واليهود، لأن الدين اليهودي والدين المسيحي هما شيء، والتاريخ والجغرافيا هما شيء آخر. وقد أظهر الباحثون التوراتيون، من مسيحيين ويهود، شكوكاً كبيرة في تاريخية التوراة، ونقدوا نصوصها على هذا الأساس وكذلك على أساس النقد اللغوي، وذلك منذ بداية علم التوراة الحديث في أواخر القرن الثامن عشر، ولم تؤثّر هذه الشكوك التاريخية واللغوية على شيء من أسس الدينين. والشكوك في الجغرافيا المعتمدة للتوراة حتى اليوم هي أيضاً لن تؤثر على هذه الأسس.

وفي التحليل الأخير، تبقى التوراة العبرية جزءاً هاماً من تراث العالم الحديث، مهما كانت الشكوك في أمرها، وبغضّ النظر عما إذا كانت قد كتبت أصلاً في فلسطين أم في غرب الجزيرة العربية. وتبقى لبني اسرائيل، وهم شعب التوراة في الأصل، مكانتهم الخاصة بين شعوب

الشرق الأدنى في العصور القديمة، بغضّ النظر عما إذا كانوا قد عاشوا في زمانهم في فلسطين أم في عسير وجنوب الحجاز، وسواءً أكانت أورشليم هي القدس أو قرية آل شريم أو غيرها في بلاد السراة. فالجغرافيا تؤثر على التاريخ، ولكنها لا تؤثر على القيمة التاريخية للشعوب سلباً أو إيجاباً، وأقلّ من ذلك على الدين والعقيدة، وكلّها أمور من مرتبة مختلفة تماماً. أضف إلى ذلك أن الأمور المتعلقة بالتاريخ السحيق للشعوب البائدة، ومنهم بنو اسرائيل، ليس لها علاقة مشروعة بأي هدف أو غرض قومي أو سياسيّ في العصر الحاضر، مهما كان هذا الهدف أو هذا الغرض.

وفي جميع الأحوال، تبقى للمعرفة المجرّدة مكانتها إذا ما ثبتت صحتها. والمعرفة الصحيحة هي أساس الفكر الصحيح، ولا يتأتّى عنها إلاّ الفائدة، مهما كان موضوعها.

ملحق:

آثار اسمية ليعقوب والأسباط في غرب شبه الجزيرة العربية

يعقوب، على ما يقوله سفر التكوين، هو ذاته اسرائيل الذي عرف شعب بني اسرائيل باسمه. وكانت أمه رفقة بنت بتوئيل الآرامي، وخاله لابان الآرامي هو والد زوجتيه ليئة وراحيل. وولد يعقوب ستة ابناء من ليئة هم رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويسّاكر، وزَبولون، وأبنان من راحيل هما يوسف وبنيامين. وولد له أيضاً ابنان، هما دان ونفتالي، من بِلْهَة جارية راحيل، وابنان آخران، هما جاد وأشير، من زلفة جارية ليئة (سفر التكوين ٢٩ و٣٠ و٣٥). وهؤلاء هم أجداد «الأسباط»، أي القبائل الاسرائيلية الاثنتي عشرة. ومن سبط يوسف فرعان تحدّرا من ابنيه أفرايم ومَنَسّى، وربّما اعتبرا من الاسباط. وهناك قبائل ومواقع في غرب شبه الجزيرة العربية ما زالت تحمل الاسماء المذكورة في هذه الفقرة بشكل أو بآخر.

والواضح من سفر التكوين أن بتوئيل، وهو جدّ يعقوب لأمه، كان آرامياً (ءرمي). وقد سبق تحديد آرام (ءرم) سفر التكوين بأنها كانت في جنوب الحجاز، حيث اليوم قرية أَرْيَمَة (ءريم بلا تصويت)، بسراة زهران. واسم بتوئيل (بالعبرية بتوءل) هو اليوم اسم قرية بُطَيْلَة بسراة زهران، الى الغرب من أرْيَمَة، وهي ليست بعيدة عنها. وفي سراة غامد، الى الجنوب من سراة زهران، قرية أثريّة اسمها الرِّبقة ما زالت تحمل اسم رِفقة (بالعبرية ربقه)، بنت بتوئيل ووالدة يعقوب. والاسم ذاته

تحمله قرية الربكة (تنويع عن ربقه) في جوار رابغ بتهامة الحجاز، حيث هناك ايضاً قرية تسمّى لبن، وأخرى تسمّى لبان بمنطقة الزَّيمة. وهذا هو اسم لابان الآرامي (بالعبرية لبن)، شقيق رفقة وخال يعقوب.

وهناك آثار اسمية في جنوب الحجاز لأمّهات أسباط بني اسرائيل، وهم ليئة بنت لابان وجاريتها زلفة، وراحيل بنت لابان وجاريتها بِلْهَة. فالاسم ليئة (بالعبرية ليه) هو اليوم اسم وادي لِيَّة (ليه) بمنطقة الطائف. وهناك اليوم قرية الزُلوف (زلف بلا تصويت) في المنطقة ذاتها، وكذلك قريتا الذُلْف والزُلْف في وادي أضم المحاذي لمرتفعات الطائف، والقرى الثلاث هذه تحمل اسم زلفة (بالعبرية زلفه)، جارية ليئة. واسم راحيل (بالعبرية رحل) هو اليوم اسم قرية الرُّخَيْلة (رخل بلا تصويت) في وادي لِيّة (راحيل التوراتية هي «أخت» ليئة) بمنطقة الطائف. وهناك رُخَيْلَة أُخرى في سراة زهران، ناهيك عن قرية رخل (وهو تماماً رحل) بجوار ينبع النخل، غرب المدينة. أمّا اسم بِلْهَة (بالعبرية بلهء) جارية راحيل، فهو اليوم اسم قرية البلهاء (بلهء بلا تصويت)، من قرى الليث بتهامة الحجاز. وكلّ هذا يشير إلى أصل حجازي لنسب «أمهات» بني اسرائيل.

واسم يعقوب (بالعبرية يعقب)، زوج ليئة وراحيل وأبو الأسباط، هو اسم فعل على وزن يفعل من الجذر عقب، يقابله بالعربية الاسم القبلي عُقْبَة. وهناك عدّة قبائل في مختلف انحاء شبه الجزيرة العربية تحمل هذا الاسم الى اليوم. وهناك قرية اسمها العَقْب في سراة زهران، وأربعة أخر اسمها عُقوب وعقيب والعقيبة واليعاقيب (جمع يعقوب، والواضح انها في الأصل اسم قبيلة) في منطقة الطائف. ومع الأخذ في الاعتبار أن جدّ يعقوب لأمه كان آرامياً، حسب سفر التكوين، وأن خاله لابان كان بالفعل يتكلّم اللغة الآرامية، وليس العبرية (انظر الفصل ١)، يمكن للباحث أن يفترض أن قوم «يعقوب» الذين خلّفوا اثرهم الاسمي في

جنوب الحجاز، حيث كانت آرام سفر التكوين، كانوا هم ايضاً من الآراميين في الأصل، ثم هاجروا جنوباً واندمجوا بقبائل عسير التي كانت لغتها العبرية. وهذا ما قد يفسّر القول الغامض الوارد في سفر التثنية ٢٦ : ٥ : «آرامياً تائِهاً كان أبي، فانحدر الى **مصريمه** (المصرمة، في جوار أبها) وتغرّب هناك في نفر قليل، فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة».

وها هي الآثار الإسمية لأسباط بني اسرائيل، من «أبناء» يعقوب، في مختلف أنحاء عسير وجنوب الحجاز:

«رأوبين» (**رءوبن**): يبدو أن أراضي رأوبين كانت في جنوب الحجاز، من بلاد زهران شمالاً. وهنالك قرية تسمى الرُّبيان (**ربين**) في سراة زهران، وأخرى اسمها رَبوان (**ربون**) في وادي أضم، وثالثة تسمّى رابن (**ربن**) في تهامة الحجاز بجوار بلدة رابغ. وهناك أيضاً الروابين (**روبن**)، من اسماء القبائل المشهودة الى اليوم في شمال الحجاز.

«شمعون» (**شمعون**): يبدو أن الوطن الرئيسي لقبيلة «شمعون» كان في الجزء الجنوبي من منطقة جيزان، عند حدود اليمن، حيث هنالك قرية تسمى الشَّعْنون (ولعلّه تحريف للاسم)، واثنتان تسميان الشِّماع (**شمع**، من دون لاحقة المبالغة أو أداة التعريف القديمة في **شمعون**). وهناك أيضاً شَمْع (**شمع**) في منطقة القنفذة، وآل شمعة (**ءل شمع**) قرب الطائف. والسماعنة أو السماعين (**سمعن**) من القبائل العربية بالشام، وربما كانت نسبتهم في الأصل إلى قرية السمعانية (**سمعن**) باليمن.

«لاوي» (**لوي**): الاسم مشابه تماماً لاسم القبيلة العربية لؤي (**لءي**). وتوجد بقعة اللاوات، (جمع لاوة، أي **لوه**) في منطقة جيزان، حيث

توجد أيضاً قرى اللاوي (**لوي** بلا تصويت) واللُّوي واللَّويّة. وهناك قريتان تسميان لاوة (**لوه**) واللَّوِيَّة في وادي أضم، وواحدة تسمى اللُّوِيَّة في تهامة زهران، وواحدة تسمى اللُّوَيَّة بمنطقة الطائف. والظاهر أن قبيلة «لاوي» كانت تتواجد في منطقة جيزان من ناحية، وفي جنوب الحجاز من ناحية أُخرى.

«يهوذا» (**يهوده**): انظر الفصل ٨ الذي يعالج هذا الاسم. والوهادين، والمفرد وهادي (**وهدي**)، من اسماء القبائل المشهودة إلى اليوم في شبه الجزيرة العربية. وهناك قريتان تسميان الوَهْدة (**وهده**) في رجال ألمع، وأخرى في سراة زهران، وثالثة في منطقة النماص، ورابعة في وادي أضم. وهناك كذلك الوِهاد (**وهد**) في منطقة بيشة. وعندما غزا الفلستيون «أرض يهوذا» في أيام شمشون، هاجموا لحي (**لحي**) التي هي اليوم لخية (**لخي**) في وادي أضم (انظر الفصل ١٤). وهذا يشير إلى أن الأرض الأصلية لقبيلة «يهوذا» كانت في ذلك الجوار. وهناك أدلة توراتية أخرى متوفرة حول هذا الأمر، ومنها الكلام عن «بيت لحم» و«إفرتة» في أرض «يهوذا»، وهما اليوم أم لحم والفرت أو الفرات في وادي أضم.

دان (**دن**): صيغة الجمع العربية للاسم القبلي، وهي الدنادنة، تحمله الى اليوم قرية في تهامة زهران. وهناك ايضاً دلائل توراتية أُخرى بأن أرض قبيلة «دان» كانت هناك (انظر الاشارات الاسمية في قصة شمشون في الفصل ١٤). والدوانية والدنيوي والدندن من اسماء القبائل المشهودة في شبه الجزيرة العربية إلى اليوم.

«نفتالي» (**نفتلي**): ربّما كانت الأراضي الأساسية لهذه القبيلة في منطقة البرك حيث هناك قرية اسمها آل مَفْتَلَة (**ءل مفتل**، أي إله نفتلي). وهناك في منطقة جيزان قريتان تسميان مَفْتَلْ نشب

ومفتل نشيلي. وبالاضافة الى ذلك توجد قرية اسمها المفتلي في منطقة بلّسمر وبلّحمر. و«المفاتيل» (جمع «مفتل») في الكلام المحلي هي «أبراج المراقبة»، وهي اشتقاق من **فتل** بالمعنى المشهود بالعبرية، وهو «قاتل، صارع»، ومنه الاشتقاق العبري **نفتل**. والفلاتين (**فلتن**) اليوم من قبائل شبه الجزيرة العربية.

«جاد» (**جد**): الجادية (**جدي** بلا تصويت) في سراة غامد، وجيدية (أيضاً **جدي** بلا تصويت) في منطقة الجموم بوادي فاطمة من جنوب الحجاز، والجَدْيَة في منطقة الطائف. أضف الى ذلك مدينة جُدَّة المعروفة، ووادي الجادة (**جد** بلا تصويت) بجنوب الحجاز، وقريتين تسميان الجدة وابن جدة في منطقة القنفذة، وقرية تسمّى الجدّيين (جمع النسبة الى **جد**) في منطقة جيزان. وبنو جَدَّة (**جد**) من القبائل العربية القديمة، وكانوا من قضاعة، وهناك رأي بأن مدينة جُدّة سميت باسمهم. ومن القبائل الحالية بالحجاز آل جُودي (**جد** بلا تصويت)، بين وادي يلملم والليث. ولعلّ أرض «جاد» الأساسية كانت في جنوب الحجاز.

«أشير» (**ءشر**): هو بالذات اسم المكان وِشْر (**وشر**)، في منطقة جيزان، مما يوحي بأن «أشير» كانت قبيلة جنوبية. وربما كانت شَرَوْرَا، أو شَرَوْرَة، هي الجمع بالعربية لاسم القبيلة نفسه «أي الشراورة»، والاسم لقرية في منطقة نجران. ومن قبائل شبه الجزيرة العربية اليوم ذوي شاري (**شر** بلا تصويت)، واسم هذه القبيلة لا يختلف عن ءشر، ولعلّه الاسم ذاته.

يَسَّاكَر (**يسسكر**، وهو اسم فعل على وزن **يفعل** من **سكر**): الشكل العربي للاسم هو «يشكر»، ويشكر من القبائل القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية، وفي جملة من يذكرها الهمداني. وقبيلة

الشُكَرَ (**شكر**) في وادي ساية، بجنوب الحجاز، تحمل ما يظهر على أنه الاسم نفسه. وهناك قبيلة الشُكَرَة أيضاً في وادي الدواسر، غرب وادي بيشة.

زَبولون (**زبلون**): الـزَبَّالـة (**زبل** بـلا تصـويت)، في مرتفعـات عسـير الجنوبية، هي احدى قبائـل غرب شبـه الجزيـرة العربيـة التي تحمـل هذا الاسم اليـوم، والأخرى هي قبيلة الـزُبَالـة (أيضاً **زبل**) في وادي حجر، بجنوب الحجاز. **وزبلون** التوراتية هي الاسم نفسه تماماً مرفقاً بأداة التعريف القديمة مضافة كلاحقة.

«يوسف» (**يوسف**): هناك قرية تسمى آل يوسف في منطقة بلّسمر بالسراة، ولكن الاسم أكـثر قربـاً من اللفظ التقليـدي لكلمـة **يـوسف** العبرية من أن يكون استمراراً في الوجود لهذا الاسم. والأرجح هـو أن الاسم التوراتي استمـر في الوجـود في الصيغة المعـرَّبـة الأصفـاء (**ءصف**)، وهـو اسم قـريـة في منـطقـة بني عمـرو بالسراة، واسم قرية أخرى قرب غُمَيْقَة بمنطقـة الليث، وهي المنطقة التي يبـدو أنها كانت المـوطن الأساسي لقبيلة «يـوسف» (انظر الفصل ٦).

«بنيامين» (**بنيمين**، أو **بن يمين**، التي يظهر أنها تعني «ابن الجنوب»): ان كون **يمين** هذه (مثل **يمن**) تعني «جنوب» هو أمر أكيد. واسم **بن يمين** التوراتي مـطابق تمامـاً لاسم «ابن يامن» الـذي أُطلق على اهل اليمن في الشعر الجاهلي. والقرى التي تحمل أسماء مشتقة من **يمن** (مثل اليماني وآل يماني) كثيرة في الأجزاء الجنوبيـة من عسير. واستناداً إلى سفر التكوين ٣٥ : ١٨، فان «بنيامين» كان قد سمي «بن أوني» (**بن ءوني**) قبل تغيـير اسمه الى بنيـامين. ويبدو أن **ءوني** أو **ءونيه** بالعبرية التوراتية كانت تعني «القافلة». (قارن بالعربية «الآنية»، وهي «الخرج على ظهر الدابة»). ولعلّ

قبيلة «بنيامين»، أي «ابن يامن» أو «ابن الجنوب»، كانت تسمّى في الأصل «بن أوني»، أي «ابن الآنية»، بسبب علاقتها بقوافل التجارة، لأن عسير الجغرافية في القدم كانت تعتمد في تجارتها الى حد كبير على القوافل القادمة اليها من اليمن.

تفرعات قبيلة «يوسف»:

«أفرايم» (ءفريم، مثنى أو جمع ءفر): لا بدّ أن أرض هذه القبيلة كانت في وادي المَلاَحة، في منطقة بني شهر على المنحدرات البحرية لعسير، حيث ما زالت هنالك قرية تسمى الوَفْرَيْن (مثنى وفر). ولعلّ اسم الفيران (فرن)، وهو من أسماء القبائل العربية المشهودة إلى اليوم، هو اسم «أفرايم» بالذات، مع تحويل ميم الجمع العبرية الى النون بالعربية.

منسىً (منشه): هناك قرية مَنْسِية في جوار صبيا بمنطقة جيزان، والمُنْشاة (منشه بلا تصويت) في منطقة بلّسمر جنوب بني شهر، والمَمْشَاة (ممشه بلا تصويت، ولعلّها تحوير عن منشه) في منطقة القنفذة. وهناك أيضاً منشية الفرع في سراة زهران. ويبدو أن التمركز الرئيسي لقبيلة «منسىً» كان قريباً جداً من تمركز قبيلة «أفرايم». وآل منسي (منس) من اسماء القبائل المشهودة إلى اليوم بالحجاز.

كشاف أسماء الأعلام والأماكن والموضوعات

ـ ب ـ

- ت -

- ح -

- خ -

- ش -

شاليم: ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩.

الشام: ١١، ١٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٨١، ٨٧، ٨٨، ١١٥، ١١٧، ١٥١، ١٩٧، ٢٠١، ٢١٩، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٩٦.

شاول: ٣٨، ٥٤.

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

ـ ك ـ

ـ ل ـ

- م -

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -